الحديث شجون

شرح الرسالة الجِدّية لابن زيدون

تأليف
جعفر بن أبي بكر اللبني
(ت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٥م)

تحقيق
د. سعيد بن مسفر المالكي
أستاذ الأدب الأندلسي المشارك
بجامعة الملك عبدالعزيز

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING



الحديث شجون

شرح الرسالة الجِدّية لابن زيدون

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-02-1100-1



هاتف: 6510421 - 6514222 فاكس: 6516593
جدة - الشرفية - شارع الستين - عمارة أبا الخيل

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING

editions.difaf@gmail.com

هاتف الرياض: 96650933772+

هاتف بيروت: 9613223227+

الحديث شجون

شرح الرسالة الجِدّية لابن زيدون

تأليف

جعفر بن أبي بكر اللبني

ت 1342هـ / 1925م

تحقيق

د. سعيد بن مسفر المالكي

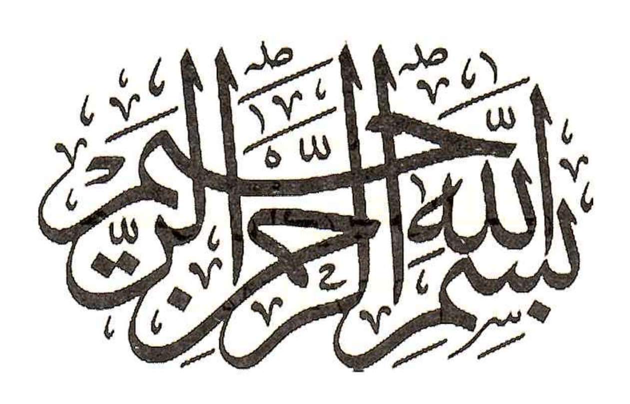
أستاذ الأدب الأندلسي المشارك

بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

منشورات ضفاف

DIFAF PUBLISHING





فهرس المحتويات



الإهـــداء

إلى ذكرى الأخ الصديق

خالد بن فيتل السلمي

- رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته.

ستبقى ذكراك العطرة

في وجدان محبيك.



مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام، **وبعـــد**:

مخطوطة (**الحديث شجون شرح الرسالة الجدية لابن زيدون**) لأبي بكر جعفر اللبني المكي المتوفى تقريباً سنة 1342هـ الموافق 1925م، قمت بدراستها عام 2004م دراسة أكاديمية عبر رسالة ماجستير باللغة الإسبانية في جامعة كومبلوتنسي بمدريد، بإشراف الدكتورة تيريسا قارولو، وفي عام 2013م صدرت بالعربية في كتاب أصدره، مشكوراً، نادي مكة الثقافي الأدبي.

ضم ذلك الكتاب في فصوله الثلاثة الحديث عن المؤلف وعصره، ودراسة للمخطوطة، لكن هذا الأمر لم يكن مجدياً في ظل عدم تحقيق المخطوطة وإخراج مكنونها إلى ساحة الوجود، فعملت خلال سنوات سابقة على كتابة المخطوطة وتحرير نصوصها، ثم تحقيق محتوى المخطوطة، بما في ذلك ضبط الكلمات والنصوص، وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونسبة المعلومات إلى مصادرها، والأخبار إلى مظانها.

اعتمدت في هذا التحقيق على نسخة فريدة، لذا لم يكن هناك مجال لإجراء مقابلة مع نسخة أخرى، بالرغم من أن جعفر لبني قد أشار إلى وجود نسختين للمخطوطة، إحداها هذه النسخة التي قمت بتحقيقها، والأخرى لم أستطع العثور عليها، سواء في مكتبة الحرم، أو في مكتبة مكة المكرمة قبل أن تُزال، أو لدى المهتمين بالتراث المكي، مثل أستاذنا الفاضل معالي الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبي سليمان الذي له الفضل الكبير - بعد الله سبحانه وتعالى - في تزويدي بهذه النسخة الفريدة عن طريق أستاذي ومعلمي الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي.

لكن ما يبعث على الاطمئنان أن النسخة التي بين أيدينا هي الثانية، فمن المعلوم أن المؤلف دائماً ما يعمل في النسخة الثانية تدارك ما وقع فيه من أخطاء في النسخة الأولى، إضافةً إلى ذلك فإن النسخة الثانية لمخطوطة (**الحديث شجون**) كانت بحالة ممتازة، فقد خلت من النقص، والخرق، والتصحيف، والتحريف، وغير ذلك من العيوب التي قد تلحق بالمخطوطات.

ومما يزيد - أيضاً - من الاطمئنان إلى هذه النسخة وعدم الحاجة الملحة إلى النسخة الأولى، أن هذه النسخة الثانية كانت بعناية المؤلف نفسه، فقد أُجريت مقابلتها وتصحيحها على النسخة الأولى، يقول جعفر لبني: «تم هذا الكتاب تبييضاً وتصحيحاً ومقابلةً على يد مؤلفه... جعفر اللبني... ونُقلت هذه النسخة من النسخة الأولى بخط مؤلفها أيضاً»[1].

أما تاريخ الانتهاء من كتابة هذه النسخة فهو السابع عشر من ذي الحجة من عام واحد وثلاثين وثلاث مئة وألف للهجرة[2]، أما النسخة الأولى فقد كانت في السابع من ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف للهجرة[3]، أي أن بين تاريخي الانتهاء من كتابة النسختين قرابة العام[4].

الشكل الذي كانت عليه هذه النسخة من المخطوطة فإنها كانت تقع بين دفتين من الورق المقوّى بمقاس 26 سم × 19 سم، في حين كان عدد الأوراق التي ضمتها دفتا هذه المخطوطة 245 ورقة بمقاس 24 سم × 17 سم تقريباً.

كُتبت هذه المخطوطة بخط جميل وواضح، إذ اُستخدم المداد الأسود في جلها، كما اُستخدم - أيضاً - اللون الأحمر، وأحياناً الأزرق لبعض العناوين التي عُنون بها

(1) انظر : جعفر لبني، الحديث شجون، ص 300.
(2) الموافق 16/نوفمبر 1913م.
(3) الموافق 16/نوفمبر 1912م.
(4) انظر : جعفر لبني، الحديث شجون، ص 300.

لأجزاء المخطوطة، التي وضعت على هامش الصفحة يميناً أو يساراً، وفقاً لابتداء الموضوع وهيئة الصفحة؛ لأن كتابة هذه المخطوطة كانت تتم على وجهي الورقة.

كتابة الأبيات الشعرية لم تُضبط بالشكل، لكن الناسخ قام بتمييزها عن غيرها بوضع علامات باللون الأحمر في ابتداء البيت وانتهائه.

المخطوطة خلت من ترقيم الصفحات تماماً، إذ اعتمد الناسخ على طريقة كتابة الكلمة الأولى التي في الصفحة التالية ووضعها في أسفل الصفحة السابقة لها. في حين أن كتابة التواريخ الواردة في المخطوطة كانت غالباً ما تكتب أرقاماً، وقل أن تُكتب حروفاً.

هامش المخطوطة لم يكن مزدحماً بكثرة التعليقات، غير أن الناسخ كان يستخدمه أحياناً لاستدراك بعض الأخطاء التي وقعت في المتن، وكذلك لبعض عناوين موضوعات المخطوطة.

ختاماً الشكر الخالص والحمد الأتم للمولى - عز وجل - وأحمده أن يسر لي تحقيق هذه المخطوطة، وأعانني على ذلك، وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعانني على إتمام هذه المخطوطة وإظهارها إلى ساحات المعرفة وميادين الثقافة وأروقة الفكر، في مقدمتهم معالي الأستاذ الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، وسعادة أستاذي الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي ، وسعادة الأخ الدكتور محمد عبيد، وسعادة الأخ الدكتور عاطف معوض، وسعادة الأخ الناسخ محمد القحمي وسعادة الشيخ يوسف الصبحي بمكتبة مكة المكرمة وسعادة الأخ المصمم سيد المصري.

والله الموفق ،،،



تحقيق المخطوطة

كتب اللبني:

إن أحسن شيء يوحيه الفكر إلى ضمير اليراع، فُتحلّى به لبات الطروس، وأجياد السطور بأبهر ابتداع، حمدُ الله الذي عجزت مصاقع البلغاء عن حمده حق حمده، وقصرت جوامع النبغاء عما يجب من الثناء لجلال وجهه وعظيم مجده. أحمده، وهو سبحانه المستحق لجميع المحامد على أن قلدنا من عظيم سننه أعظم قلائد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبلغ بها الموحد ما أمَّله، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، الذي بلغ من معرفته بربه أقصى مدى، وعلى آله وصحبه وأصهاره وأنصاره وذويه، والتابعين وتابعيهم بلا ضلال ولا ابتداع ولا تمويه، وكل من اقتفى أثرهم في صرفه وعدله، وتحلَّى بالجِد في القول، وتخلَّى عن هزله، ما هدلت الحمائم فوق الغصون، وتفتقت الكمائم عن الزهر المصون، **أما بعد:**

فإن الأدب هو الضالة المنشودة لكل ألمعي لبيب، والحلية التي يرغب في التحلي بها كل فطن نجيب، كيف وهو حبيب النفس المفدى، وبه تصدر من لتحصيله تصدى، به يحلو السمر في ليالي القمر، فيجلو الكدر، فتصفو الفِكر، تبسط الأذهان أردانها لاجتناء وروده، فتزيل أدرانها، وتسقي جنانها من تسنيمه بوروده، تباهى أربابه بلالئ مناظيمه قلائد النحور، وتضاهى بفرائد مناثيره مغازلة الولدان والحور:

وكم أهدت إلى الأسماع معنى ... كأنَّ نسيمه شَرِقٌ براح
ولفظا ناهب الحلى الغواني ... وأهدى السحر للحدق الملاح[1]

---

(1) البيتان لأبي القاسم عبدالصمد بن بابك، وقد ورد الشطر الأول مختلفا عما أورده **اللبني** حيث ورد كالتالي: أزرتك يابن عباد ثناءً...... انظر: عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: **المنتحل**، الإسكندرية، المطبعة التجارية 1319 هـ - 1901م، وقد لاحظت تأثر اللبني في هذه المقدمة بمقدمة ابن معصوم صاحب **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، انظر مقدمته.

إن هذا المقصّر العاجز، على ما به من الحاج، وهي أعظم حاجز، ممن دأب في تحصيل العلم بالحرم الشريف المكي، ودبَّ فيه ودرج، وتعطرت أعطافه بذلك الأرج المسكي، وذُكِرَ ثمة على ما فيه من عِوج ، وكنت وغصن الشباب غض، وطرف الحوادث مغمض، تعلقت بمطالعة كتب التواريخ والأدب آونة من الدهر، وناديت إذ ذاك بحيَّ على خير العمل وجهرت به أيما جهر، وقضيت ليالي ما لي سواه فيها سمير، ومضيت أيامًا بل أعوامًا لا يشتغل لي فيها بغيره ضمير، فتحصلت على طرف من معانيه هي أشهى من سلافة العصر، وتوصلت إلى غُرف من مبانيه هي أبهى من يتيمة الدهر ودمية القصر، واجتليت من عرائس مأثور النظم والنثر ما راقني اجتلاؤه، واقتنيت من نفائس طرائف الأدب وتليده ما يعز اقتناؤه، واعتنيت بتقييد شوارد الفوائد من بطون الأسفار، وجمع خرائد الأوابد من لطائف الأخبار، مقتطفاً ذلك اقتطاف الأزهار من أحاديث السمار، وربما نظمت من الشعر ما أتى عن ذهن نشيط لا عن وانٍ، ولم أبتذله، فما أحسنه وهو على الفضل عنوان:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد[1]

ثم نبذت كل ذلك ظهرا واشتغلت بعلم الفقه، إذ كان هو الأحرى، فحصلت - ولله المنة - على قسم منه منيف، يعرف ذلك من اطلع على ما لي فيه من التصانيف، فهو قيمتي إذا ذكرت القيم، ومطلب همتي إذا تسامت الهمم:

قيمة الإنسان ما أحسنه ... أكثر الإنسان منه أو أقل[2]

واستُخْدِمتُ في كتابة الدعاوى بالمحكمة الشرعية ، فكان ذلك داعيًا إلى تطبيق الأحكام على أصولها المرعية، فظهرت - ولله الحمد - فردا فوق الثبج[3] وأظهرت من القوة إلى الفعل ما أزلت به عن أرباب الدعاوى أنواعًا من الحرج،

(1) انظر: **ديوان الإمام الشافعي**، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ط 3، 2005م، ص 49.

(2) صلاح الدين الزماكي: **شرح لامية ابن الوردي**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2006م، ص 90.

(3) ثبج كل شيء معظمه ووسطه وأعلاه، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط 3، 1414هـ ، مادة (ثبج) ص 219/2.

وخدمت الوطن العزيز وأبناءه، تسع عشرة سنة[1] بما يجب على مثلي خدمتهم به، وأعده حسنة أي حسنة غير مبالٍ بحنق من يتعاطى الإرشاد في هذا الباب، وإن كان مشارًا إليه أو معدوداً من أولي الألباب؛ لأنهم جبلوا على إيقاع أرباب الأشغال في الصعوبات، لا يبالون بمن قال منهم في الهم والغم وبات، يدرجون العمائم، ويوسعون الأكمام؛ كي يبلغوا[2]، بإلقاء النمائم، أغراضهم من الأنام. ثم اقتضت الأحوال والظروف حسبما أراده الرب البر الرؤوف، أن تقلدت نيابة قضاء الليث، دُفعتُ إليه عن أذى كل دنيء، ومداهنة كل شرير خبيث:

ففي الأرض منأى للكريم عن الأذى   وفيها لمن خاف القلى متحولُ[3]

وقد قيل:

تقضي على المرء في الأيام محنته   حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن[4]

فائدة لا تخلو عن عائدة: قال ياقوت: الليث واد بأسفل السراة، أو موضع بالحجاز، أو موضع بديار هذيل[5]، وكلٌّ صحيح، فإنه بالحجاز وبقرب ديار هذيل، وإنه بأسفل السراة - وهي بفتح السين بلفظ جمع السري بمعنى الشريف لا بضمها، فإنه جمع الساري أي السائر ليلاً - الجبال المتسلسلة في جزيرة العرب، من ثغرة اليمن إلى أطراف بوادي الشام، ترتفع تارة وتنخفض أخرى، ويكون بينها فتوق تارة، وهي باليمن أوسع وتضاف في كل محل إلى من قرُب منها، فيقال: سراة ثقيف، وسراة عدوان، وسراة فهم، وسراة أزد شنوءة، وبأسفلها أودية تصب في بحر القلزم، منها الليث وهو يلي سراة فهم، وقد يُخص اسم الحجاز بالسراة ويعلل بحجزه بين تهامة ونجد.

---

(1) في المخطوطة تسعة عشر سنة ، والصواب ما أثبتناه.

(2) في المخطوطة : يبلغون ، والصواب ما أثبتناه.

(3) **ديوان الشنفرى**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1996م، ص 58، وفيه متعزّل بدل متحول.

(4) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، بيروت، دار صادر، ص 476/4، والبيت فيه للأمير يحيى.

(5) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط 2، 1995م، ص 38/5.

وجبل كرا بطريق الطائف من جملة السراة، والظاهر أن البُهيْتاء[1] من طريق اليمانية من الفتوق بين السراة، وكذا ريع سلاَّمة[2] بطريق الطائف من الليث، فإنه أيضاً من الفتوق المذكورة، والليث اليوم اسم للبلدة الصغيرة التي يمر عليها مسيل ذلك الوادي انصبابه إلى البحر، فيكاد يجتحفها، وهي تبعد عن البحر بمقدار فرسخ، وهي يماني مكة بينهما أربع مراحل، وبينها وبين القنفذة أول عسير واليمن أربع مراحل أيضاً، وبين الطائف ثلاث مراحل من ريع سلاَّمة بتشديد اللام، وسكانها الحضارم والسادة، وبعض بيوت من أجناس مختلفة من تُرك وهنود ومصارية ومغاربة، ويحيط بها قبائل من أعراب هذيل، وخزاعة وغيرهم، وأشراف ذوي حسن بن عجلان وأشراف عبادلة - يقال لهم صوامل - وأشراف مناديل وشنابرة، وهواؤها جيد، وماؤها من آبار تغلب عليها ملوحة السباخ[3] والحلو منه من ركايا[4] غير مطوية يُجدد حفرها كلما نضبت، وقلما تصفو وتروق، ويُجلب إليها من أطرافها السمن العجيب، ومنها إلى مكة وجدة، وهومن أحسن أنواع السمن يقال السمن الليثي.

[فصل] كان الليث، فيما مضى، مما يرمق بعين الرضا، ويُعد خصبًا وريفًا، وظلاً متفيَّأً وريفا[5]، لكن تتابع الإحن من فتن عسير واليمن أودت ببهجته، وألوت من مطْريه عنان بهجته، فتقلصت ثروة تجاره، وشردت بأبراره قبل فجَّاره، فأصبح خاويًا أو كالخاوي، [و[6]] قُطَّانه عبيد أو مواليد، وأعيانه بلاوٍ[7]، ما خلا من

(1) البهيتاء: غابة قريبة من السيل الكبير، تقع بالطائف.

(2) ممر جبلي يقع بطريق الطائف.

(3) السباخ من الأرض التي تَعْلُوهَا المُلوحَةُ وَلَا تَكَادُ تُنْبِتُ إِلَّا بعض الشَّجَرِ، أو هو مَا يَعْلُو الماءَ مِنْ طُحْلُب وَنَحْوِهِ، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (سبخ).

(4) الركايا هي الآبار، انظر: الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، (د. ت)، مادة (ركو).

(5) وريفا من الورف أي الطول والامتداد بخلاف و(ريفا) الأولى، انظر: الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مادة (ورف).

(6) زيادة من المحقق

(7) ربما قصد اللبني أن أعيان الليث كانوا على قدر كبير من الذكاء والحكنة والتدبير .

اتسم منهم بشرف أوسيادة، أو عُرف بالزعامة بين ذويه من أهل الرفادة وقليل ما هم، الفقر أدقعهم وكواهم، ولما حللت فيه، وتمعنت في ظاهره وخافيه، رأيتني حوتاً في بيداء، أو شعرة بيضاء في لمة سوداء، أجول في حوماته بين يعافير وبخت، فأتحقق قول أبي الفتح علي بن محمد، شاعر بست:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها - والله - في عدم الشكل[1]

فظلت تارة أشكو مرارة الثوى، وآونة أبكي لحرارة النوى، وأرجع باللوم على نفسي طوراً ، وأعود إلى التفويض على المقادير فوراً ، دخلت عليَّ هموم ما كان لها عليَّ من ولوج، فلذا أتمثل:

دخــول المــرء في الشــركات سهل ولــكــنَّ الـتـفـكُّـر في الخــروج[2]

فرأيت أن محض الصواب إشغال الفكر عما يبلغ به الارتياب؛ ليتم الصلح بين جفني والكرى، ولأحصل على نتيجة العمل فأحمد عند الصباح السرى[3]، وحاولت وضع شرح على الرسالة الجِديِّة لابن زيدون، أسوق فيه كل ماأدَّت إليه أدنى مناسبة من عالٍ لا من دون؛ ليكون سفراً مسفَّراً من فوائد جمة في فن المحاضرات، وفرائد عوائد متممة لما يرومه الألمعي الأريب في المسامرات، ومثالاً في الجملة للأعزاء من أدباء الأندية الحجازيةِّ، تقرّ به عين كل منصف كمَّل الله بالحجا زِيِّه، فهو إن ثقُل على غمر جاهل ذي طبيعة حجاريةِّ، فقد راق كل شهم نبيه ورد مناهل الفضل فأخذ من الحجا رِيَّه[4]، وما أحسن قول عبدالله بن

---

(1) الوطواط: **غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة**، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1429هـ – 2008م، ص 538، والبيت لأبي سليمان الخطابي.

(2) لم أجد هذا البيت فيما لدي من المصادر المطبوعة، وربما يكون مأخوذاً من إحدى منظومات الفقهاء .

(3) إشارة إلى المثل المشهور: عند الصباح يحمد القوم السرى، انظر: الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ص 2/3.

(4) أثبتنا كتابة [الحجا] بالألف الممدودة بدلاًمن الألف المقصورة وهو الصحيح، لورودها في النص هكذا؛ ولأن اللبني تعمد كتابتها بهذا الشكل، وأشار في الهامش بقوله: (الحجى بمعنى العقل، حقه أن يكتب بالياء - يعني الألف المقصورة - لكن لقصد رعاية الجناس في الفاصلة كُتبت بالألف فافهم، والزي الهيئة، والري بالراء مقابل العطش).

معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيَّار لما وقع بينه وبين الحسين بن عبدالله بن عباس ما وقع وكانا صديقين فتهاجرا[1].

وإنَّ حسيناً كان شيئاً ملففا ... فمحضه التكشيف حتى بدا ليا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

وضمَّن بعضهم البيت الأخير فقال:

ولست براءٍ عيب ذي الود كله ... ولا بعض مافيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا[2]

وهذا أوان الشروع، فمنه - تعالى - أستمد الأصول والفروع ، أما ابن زيدون فهو الكاتب الشاعر الشهير أبو الوليد أحمد بن عبدالله أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، ولد بقرطبة سنة 394هـ، ومات بإشبيلية سنة 463هـ[3]، قد ذكره غير واحد من المؤرخينو كابن حيان[4] وابن بسام[5] وأجروا نُبذًا من أخباره وفضائله، وله الرسائل العجيبة ومنها الرسالة الهزلية[6] التي قالها على لسان

(1) انظر الأبيات على اختلاف يسير في روايتها في: ابن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ، ص 87/3.

(2) أخطا اللبني عندما قال بأن بعضهم ضمن البيت الأخير؛ لأن البيتين أيضاً لعبد الله بن معاوية، وقد علق ابن عبدالبر قائلاً: وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر في أبياته التي يقول فيها، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه. انظر: ابن عبدالبر: **بهجة المجالس وأنس المجالس وشح الزاهن والهاجس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني من القسم الأول، ص 711.

(3) راجع ترجمته في: - ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص139/1.
- ابن تغري بردى: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، ص88/5.

(4) راجع: ابن حيان القرطبي: **المقتبس من أبناء الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1390هـ.

(5) راجع: ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، تونس، الدار العربية للكتاب، (د. ت).

(6) حقق الرسالة علي عبدالعظيم ضمن ديوان **ابن زيدون ورسائله**، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ، ط 3، 2004م، ص 439.

ولادة بنت المستكفي الأموي[1] يخاطب ابن عبدوس[2] بها، وله هذه الرسالة وتُلقَّب بالجِدِّيَّة[3]؛ لأنه قالها عن نفسه يستعطف بها أبا الوليد ابن جَهْوَر[4] أحد الجهاورة، من ملوك الأندلس، الذين يقال لهم ملوك الطوائف، تشبيهًا بملوك الطوائف للفرس، فإنه لما غلب الإسكندر[5] دار ملك الفرس لم يستأصل ملكهم؛ بل فرقه بين العمال، كما أشار به عليه أرسطاطاليس[6]؛ فسُمُّوا ملوك الطوائف[7]، كذلك لما ضعف أمر بني أمية بالأندلس، تغلب الولاة على ما بأيديهم؛ فكان بنو جهور بقرطبة التي كانت عاصمة بني أمية. وغلب بنو عباد على إشبيلية، وبنو ذي النون على طليطلة وهكذا؛ فتلقبوا بملوك الطوائف لذلك ، وكان ابن زيدون خصيصًا بأبي الوليد بن جهور المذكور، منقطعاً إليه، ذا مكانة من دولته، مُعتمدا[8] عليه في السفارة إلى ملوك الأندلس الآخرين، ثم اتفق أن نقم عليه وحبسه وأطال حبسه، فاستعطفه بالقصائد والرسائل العجيبة البديعة، فلم تنجع؛ فهرب من الحبس وفر، واتصل بابن عباد صاحب إشبيلية ، فتلقاه بالقبول والإكرام، وسُرَّ به وولاه وزارته، وبقي قائم الجاه عنده حتى مات، ومن أراد الاطلاع على أخباره، واستملاء لطيف نثره وأشعاره فلينظر الكتب المذكورة[9] والله أعلم.

---

(1) انظر ترجمتها في: ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، مرجع سابق، **ص** 376/1.

(2) انظر ترجمته في: - الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ - 2000م، **ص** 167/1.
- ابن النديم، **الفهرست**: تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1417هـ - 1997م، ص 160.

(3) وهي موضوع تحقيقنا هذا.

(4) انظر ترجمته في: ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، مرجع سابق، القسم الأول، المجلد الثاني، ص604.

(5) انظر ترجمته في: القفطي: **أخبار العلماء بأخيار الحكماء**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2005م، ص 48.

(6) انظر ترجمته في: الدينوري: **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، ط 1، 1960م، ص 38.

(7) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1997م، **ص** 527/1.

(8) جاء في هامش المخطوطة : مُعتمداً بالبناء لما لم يسمّ فاعله؛ لتناسق الصفات.

(9) ككتب ابن حيان، وابن بسام التي سبق ذكرها.

قال يخاطبه: ***يا مولاي***[1]، المولى له معانٍ، أوصلها في القاموس[2] إلى أحد وعشرين كما قال شارحه، قال: وأكثرها جاءت في الأحاديث فيضاف كل واحد منها إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، فحديث: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها**»[3] يراد منه القريب كابن العم بدليل رواية: «**بغير إذن وليها**»[4]، وحديث: «**مولى القوم منهم**»[5] يراد به العبد أو المعتَق بفتح التاء، وحديث: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[6]، فُسِّر بالناصر[7]، وحمله الشافعي على ولاء الإسلام[8] المعني به قول الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾[9] أي لا ولي لهم، وعلى أي تفسير حُمل؛ فليس نصاً ولا ظاهراً في إمامته - رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه - كما زعمه الرافضة[10]، وتمام الحديث: «**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار**»[11].

قال أئمة أهل السنة[12]: إن المراد من الحديث التنصيص على موالاة علي - رضي الله عنه - واجتناب بغضه ؛ لأن التنصيص على ذلك أوفى بمزيد شرفه،

(1) سوف أقوم بتمييز متن رسالة ابن زيدون في عموم المخطوطة على هذا الشكل .

(2) أبو بكر الأنباري: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1992م، ص 124/1.

(3) البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 3، 2003م، ص 167/1.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1975م، ص 399/3.

(5) النسائي: **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، **مكتب** المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1986م، ص 107/5.

(6) ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ص 45/1.

(7) محب الدين الطبري: **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، ص 173/3.

(8) الملا قاري: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ط 1، 2002م، ص 3937/9.

(9) سورة محمد: الآية (11).

(10) الأشعري: **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق: فوقية حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار، ط 1، 1397هـ، ص265.

(11) انظر: ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، مرجع سابق، ص 45/1.

(12) ناصر بن علي عائض حسن الشيخ: **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم**، الرياض، مكتبة الرشد، ط 3، 2000م، ص 588/2.

فالموالاة تكون بالمحبة والاتباع والقرب منه، وهذا المعنى هو الذي فهمه من الحديث أكابر الصحابة - رضي الله عنهم - منهم أبو بكر وعمر[1] - رضي الله عنهما - وناهيك بهما فإنهما لما سمعاه قالا له: «**أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة**»، كما رواه الدار قطني[2]، وروي أيضاً أنه قيل لعمر: إنك تصنع بعلي شيئاً - أي من التعظيم - لا تصنعه بغيره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنه مولاي[3]، وتختلف مصادره، فالولاية بفتح الواو في النسب والنصرة والعتق، وبالكسر في الإمارة[4]، والولاء بالمد وفتح الواو في المعتق[5] والموالاة، والنسبة إلى المولى مولوي[6]، ومنه المولوية غلب استعماله في المنسوبين إلى طريقة حضرة مولانا جلال الدين الرومي[7] - قدس الله سره - وأحسن مايراد به - هنا - في مقام الاستعطاف المنعم بصيغة اسم الفاعل.

وسيدي: السيد الرئيس، وقيل: الذي فاق غيره مقالاً ومالاً وفعالاً ودفعاً ونفعاً، المعطي ماله في حقوقه، المعيَّن بنفسه[8]، وفي الحديث: «**كل بني آدم سيد**»[9]

(1) ابن حجر: **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي، كامل محمد الخراط، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1997م، ص 110/1.

(2) ابن أبي شيبة: **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 1409هـ، ص 372/6.

(3) هذا حديث ضعيف لا يصح الاعتماد عليه ، انظر: الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، الرياض، دار المعارف، ط 1، 1992م، ص 693/10.

(4) الهروي: **إسفار الفصيح**، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط 1، 1420هـ، ص 686/2.

(5) البعلي: **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، 2003م، ص 378.

(6) وهو نسب شاذ على خلاف الأصل، انظر: النَّحَّاس: عمدة الكتاب، مرجع سابق، ص 256.

(7) انظر ترجمته في الطالبي: **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، بيروت، دار ابن حزم، ط 1، 1999م، ص150/2.

(8) الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، مرجع سابق، (سود).

(9) ابن السني: **عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد**، تحقيق: كوثر البرني، جدة / بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ص 236.

فالرجل سيد أهل بيته، والمرأة سيدة أهل بيتها، وعن الفراء: السيد الملك[1]، والسيد السخي، وسيد العبد مولاه، وسيد المرأة زوجها، وبذلك فسروا[2] قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾[3]، ومنه يُفسَّر ما هنا، وكاد في اصطلاح أهل مكة ومن جاورها أن لا يُطلق إلا على المنسوبين إلى البيت النبوي، ويأتي لنا توضيح الفرق بينه وبين الشريف في هذا المعنى[4]، وغلب عندهم قول سيدنا على أمير مكة، وفي المكاتبات سيدنا وسيد الجميع، ويجمع على سيايد على غير قياس[5]، وأما سادة فهو جمع سائد كقائد وقادة وذائد وذادة بالذال المعجمة لا بالزاي بمعنى حام[6]، ويُفرَّق بين سيد وسائد بما [ورد][7] عن الفراء يقال: هذا سيد قومه اليومً، فإذا أخبرت أنه عن قليل يكون سيدهم، قلت: هو سائد قومه[8].

الذي ودادي له: أي الذي ودادي أي محبتي مقصورة عليه، أخذاً من كون الجملة اسمية، فإنها تفيد القصر بمعونة المقام، والوداد، بكسر الواو، مصدر وادَّ مفاعلة، وهي من الجانبين، وعليه ففيه مع الاستعطاف نوع إلزام، ويستعار الود للتمني، ومنه قول الشاعر:

بودي لو يهوى العذول ويعشق فيعلمَ أسباب الهوى كيف تعلق[9]

---

(1) الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، سود.

(2) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ - 2000م، ص 45/16.

(3) سورة يوسف: الآية (25).

(4) النبهاني: **الشرف المؤبد لآل محمد**، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 52، وورد فيه: (لقد خاض من خاض في التفريق بين اللقبين، في الحجاز اصطلحوا على إطلاق الشَّرِيفِ على من كان حَسَنيًا، والسَّيِّدِ على من كان حُسَينيًا للفرق بينهما).

(5) الخطابي: **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، 1982م، ص 434/2.

(6) ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ص 172/2.

(7) زيادة من المحقق.

(8) الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1407هـ - 1987م، (سود).

(9) انظر: **ديوان البحتري**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، ط 3، ص 1534.

بنصب يعلم بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة في جواب التمني، وتطلق المودة على الكتاب وبه فُسرت في قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[1] أي بالكتب، وهو من غريب التفسير قاله السيد المرتضى[2]، ووُد بضم الواو صنم لقريش ومنه سمي عبد ود، ومنهم من يهمزه فيقول أُد ومنه أُد بن طابخة في أنسابهم[3]، أما صنم قوم نوح فبفتح الواو وقد يُضم، وقُرئ بهما في سورة نوح[4]، وكان بدومة الجندل[5] لكلب[6] بعد قوم نوح.

واعتمادي عليه: أي اتكالي عليه ***واعتدادي به***، إعداد الشيء واعتداده واستعداده وتعداده: إحضاره، والعُدة بالضم ما أعددته لحوادث الدهر من مال أو سلاح، ويقال: أخذ للأمر عدته وعتاده، بمعنى كالأهبة، قاله الأخفش[7]. ***وامتدادي منه***: المد يأتي لمعان يجمعها قول المجد في بصائره[8]: أصل المد الجر أي جر الشيء في

---

(1) سورة الممتحنة: الآية (1).

(2) هذا الرأي ليس للشريف المرتضي، وإنما قاله غلام ثعلب ونقله صاحب **الأمالي** عنه انظر: غلام ثعلب: **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: محمد بن يعقوب التركستاني، الرياض، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، 1423هـ - 2002م، ص 511.

(3) السمعاني: **الأنساب**، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، 1382هـ، ص 40.

(4) يقصد قوله تعالى : [ولا تَذَرُنَّ وُدًا] سورة نوح:الآية (23)، ووردت القراءتان في :

- أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف،القاهرة، دار المعارف، ط2، 1400هـ، ص 653.
- الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبدالله: **الحجه في القراءات السبع**، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط 4، 1401هـ، ص 353.

(5) أي اسم أد.

(6) أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي: **كتاب الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، 2000م.

(7) الأخفش: **معاني القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1، 1411هـ - 1990م، ص584/2.

(8) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص 25/4، 26.

طول، واتصال شيء بشيء في استطالة، فمن معانيه أخذ الحبر بالقلم من الدواة، والمداد الحبر، ويقال له النِقْس بكسر النون وسكون القاف[1]، ومما قيل على لسان الدواة:

حلَفت من يكتب بي ... بالواحد الفرد الصمد
أن لا يمد مده ... في قطع رزق أحد[2]

والعامة تقول: مزمزة بالزاي بدل الدال وهو غلط، والمادة كل ما يكون مدداً لغيره[3]، وهي ترادف الهيولا أو تكاد في لسان الحكماء، فإنهم يقولون: الهيولا هي المادة المدبرة للصورة، وهي أصل الشيء كالفضة للدراهم، والصورة جسمية ونوعية، وهي لا تنفك عن الهيولا، كما أنها لا تنفك هي عنها، ولهم في ذلك كلام طويل إن شئت فراجعه، فمعنى امتدادي - هنا - اتصال مواد حياتي بي مبتدأ منه، وفسره شارح بقوله: أي فريد حيوي[4].

ومن أبقاه الله ماضي حد العزم: عطف على المنادى أي ويا من أبقاه الله ماضي حد العزم، ومن اسم موصول والجملة بعده صلته، وماضي بالنصب حال من المفعول وهو هاء أبقاه الله، وماضي مضاف وحد العزم مضاف إليه، وكذا واري زند الأمل ثابت عهد النعمة، وليست جملة أبقاه الله دعاء له بالبقاء موصوفاً بكونه ماضي حد العزم.. إلخ؛ لأن الجملة الطلبية لا تقع صلة، كما لاتقع صفة، ويصح على بُعد أن يكون ماضي بالرفع خبر مبتدأ محذوف والتقدير: يامن هو ماضي حد العزم.. إلخ، وتكون جملة أبقاه الله دعائية معترضة بين الموصول وصلته، ثم إن التركيب استعارة مكنية حيث شبَّه عزم مدعوِّه بسيف له حد وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو حد، ثم وصفه بالمضاء.

---

(1) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق (مدد).

(2) البيتان في: أبو العباس المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالعظيم شلبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 40/1.

(3) انظر: الزَّبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، (مدد).

(4) يعني أن أحد المفسرين فسر الهيولا بأنه شيء فريد وحي، وانظر: أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي: **الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية**، ط 2، (د.ن)، ص 113.

وقوله: ***واري زند الأمل***: علمت أنه حال ثانية من الهاء في أبقاه وهو كناية عن كونه إذا أمَّل في شيء أدركه؛ لأن وُريَّ الزند خروج النار منه وقت اقتداحه، فقد شبَّه الهيئة الراسخة في النفس التي تنبعث عند محاولة أمر ما بالزند واستعار لها اسمه استعارة تصريحية، والوري ترشيح.

ثابت عهد النعمة: علمت أنه حال ثالثة من الهاء، ثم يحتمل أن يراد بالعهد الموثَّق أي أن له مع النعمة عهداً وميثاقاً ثابتاً متحققا؛ فلا تحول عنه، وهذا من البعد بمكان والأحسن أن العهد بمعنى الحفاظ ورعاية الحرمة، وإضافته إلى النعمة من إضافة الصفة إلى الموصوف، فيكون معنى التركيب: إن الله تعالى أبقاه ثابت النعمة المحفوظة أو المرعية الحُرمة، وفي الحديث: «**أن عجوزاً دخلت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فسأل عنها، وأحفى بها، وقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»[1]، وللعهد معانٍ كثيرة مستوفاة في كتب اللغة[2]، ومن ثمة اشتبه المراد بالعُهدة عند الفقهاء في تعامل الناس، وقولهم: والعهدة في ذلك على فلان، كما حرروه في كتاب الكفالة من كتب الفقه[3]، ويقال في تفقِّد الشيء وإحداث العهد به: تعهَّدته، وهو أفصح من تعاهدته، هذا وقد أطنب ابن زيدون في خطاب مدْعوِّه في هذا المقام والإطناب مناسب لمقام الاستعطاف.

إن سلبتني: إن شرطية وجوابه قوله: ***فلا غرو***، وجملة ***أعزك الله*** دعائية معترضة، وما أحسنها عند ذكر السلب مسند إليه ***لباس*** مفعول[4]، وهو مضاف ***ونعمائك*** مضاف إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه، أي نعمائك الشبيهة باللباس في كونها شملت جميع جهاتي ووقتني المضار، ***وعطّلتني*** يقرأ بالتشديد ففي حديث عائشة - رضي الله عنها - في امرأة توفيت فقالت: «**عطِّلوها**» أي انزعوا حليها واجعلوه

(1) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط 1، 1422هـ، ص 8/8.

(2) الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق، (عهد).

(3) السرخسي: **المبسوط**، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م، ص 175/19.

(4) أي الشيء الذي أحسن هذه الجملة الاعتراضية وجعلها حسنة هو إسناد ابن زيدون السلب إلى لباس.

(5) انظر ص 36.

عاطلاً ، وعطِّلت المرأة: إذا لم يكن عليها حُليٌّ والمصدر العطل بفتحتين[1] ومطلع لامية العجم:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل   وحلية الفضل زانتني لدى العطل[2]

ومن سجعات الأساس[3]: «رب عارية عطل، لا يشينها العري والعطل،وكاسية حالية لا يزينها الحلي والحلل»[4]، وهومن قبيل قول الحريري[5]:

ما أن يضر العضب كون قرابه   خُلقاً ولا البازي حقارة عشه[6]

وقول الآخر:

ماغير الجل أخلاق البعير ولا   نقش البرازع أخلاق البراذين[7]

وجمال معطَّلة لا راعي لها، وبئر معطلة لا يُستقى منها، وقرئ في الشواذ مُعْطلة من الأعطال، وكل ما تُرك ضياعاً فهو مُعْطل ومُعَطَّل، والحاصل أصل العطل الخلو من الحُلي ولكنه كثيرًا ما يستعمل في مطلق الخلو فيقال: عَطِل من الأدب أو من المال، وأيام التعطيل من الأشغال ومن التدريس في المدارس.

من حلي إيناسك: إضافة إيناسك إلى كاف الخطاب من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وإضافة الحُلي إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أي جعلتني خلواً من أن أكون ممن يؤنسك ويجالسك الحالة التي كانت لي كالحُلي .

---

(1) انظر: الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، مرجع سابق ، (عطل) .

(2) البيت للطغرائي، انظر: العكبري: **شرح لامية العجم**، دراسة وتحقيق: محمود محمد العامودي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد (10)، العدد(1)، 2002م، ص 2006.

(3) يقصد أساس البلاغة للعلامة الزمخشري

(4) الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ – 1998م، عطل.

(5) انظر ترجمته في: جلال الدين السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، المكتبة العصرية، ص 2/257.

(6) أبو محمد القاسم بن علي الحريري: **مقامات الحريري**، بيروت، مطبعة المعارف، 1873م، ص 219.

(7) البيت في: ابن الخطيب: **روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار**، حلب، دار القلم العربي، ط 1، 1423هـ، ص316.

وأظمأتني: أي أعطشتني وعدَّاه بإلى؛ لأنه ضمَّنه معنى أحوجتني، ***إلى برود إسعافك*** بَرود كصبور صيغة مبالغة وإضافته إلى إسعاف من إضافة الصفة إلى الموصوف، وإضافة إسعاف إلى كاف الخطاب من إضافة المصدر إلى فاعله ، أي منعتني عن إسعافك لي الشديد البرودة يعني اللذيذ، والبَرود أيضاً اسم بئر أو موضع به البئر العذبة الواقع **شامي** مكة، يبعد عنها نحو بريد[1]، يمر عليه الحاج العراقي، وتمر عليه قوافل الطائف من طريق اليمانية إذا قصدوا أن يجعلوا أول محطتهم قرية سولة[2] أو المضيق الذي هو وادي الليمون. وذلك أن الذاهب من مكة إلى الطائف له طريقان: أحدهما طريق البريد أعني البغَّالين والحمَّارين ونحوهم، وهو يمر مُشرِّقاً من مكة إلى عرفة، ثم إلى وادي نعمان، ثم إلى جبل كرا، فيصعدونه، وبأعلاه قرية الهدى، قرية جيدة الهواء، زاهية التربة، باهية المنظر:

لقد زاد شوقي يا أخلاَّء للهدى ... بلاد بها الإيناس والصفو والرضا
إذا كنت فيها كنت فيها منعَّما ... وعنك إذاً طرف الحوادث مغمضا[3]

ثم قد يقيلون بها ثم ينزلون إلى وادي قرن المنازل الذي هو ميقات أهل **نجد**، ويقال وادي المحرم ؛ لإحرام الناس منه، وبه مسجد لطيف، ومنه إلى الطائف. والآخر طريق أهل الأثقال السائرين بعوائلهم، ويسمى طريق اليمانية، وهو في الواقع **شامي** مكة لكن سمي باليمانية ؛ لأن أول محطة فيه الموضع المسمى بنخلة اليمانية، وهي القرية المسماة الآن بالزيمة[4]، أما نخلة الشامية فهو قرية المضيق المسمى وادي الليمون وبه عين البَردان[5]، ولكون الزيمة تعطلت عينها مدة من الزمن؛ اتخذ الناس محطةً بدلها قرية سولة بفتح السين مَنْحُوّاً بها نحو الضمة،

---

(1) مقياس للمسافة.

(2) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 285/3.

(3) لم أجد البيتين فيما لدي من مصادر، ويرجح أنها للبني.

(4) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق ، ص 165/3.

(5) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري: **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1397هـ ، ص 455.

فالقافلة السائرة من مكة قاصدة الطائف من هذا الطريق، بعد أن تتجاوز أعلام حدود الحرم، إن أرادت الزيمة لا تمر على البَرود بل تمر آخذةً عنه يميناً إلى أن تصل إلى ريع ماهو بالمرتفع جداً ،فإذا جازته تصل الزيمة بعد ساعتين تقريباً، وإن أرادت سولة مرت بالبَرود ، وإن شاءت استقت من مائه وأخذت ما يكفيها للشرب يوم مقيلها بسولة ؛لأن ماءها ما هو بالجيد، وبعد مرورها بالبَرود بنحو ثلاث ساعات تعارضها ثلاثة أرياع تمرها بأحمالها وركابها؛ إلا أن أحدها عالٍ ربما نزل بعض الركاب فيه عن راحلته، ومن آخر الأرياع إلى سولة لا يبلغ ساعة وهذه المرحلة إلى سولة أو إلى الزيمة لا تزيد على اثنتي عشرة ساعة، ومن أراد المضيق لا يمر الأرياع المذكورة بل يأخذ عنها ذات الشمال ماراً في وادٍ يسمى وادي حِراض[1]، ثم يعطف يميناً حتى يأتي المضيق، ومرحلتها تزيد قليلاً فإذا قالت القافلة في سولة رحلت منها، وبعد نحو ساعة من سيرها منها تمر على الزيمة، ثم تظل سائرة في وادٍ عظيم يسمى وادي اليمانية - بتلك المناسبة - فإذا قطعته سيراً أتت إلى موضعٍ يسمى البُهيتاء وتكون قد فارقت تهامة ، فتسير صعوداً نحو ثلاث ساعات، فيجد الإنسان حينئذ لطف الهواء ويتخلص من أذى الحر، فإذا قطع البُهيتاء أتى السيل وهو المحطة الثانية، والسائر إليها من المضيق لا يمر على الزيمة ولا على وادي اليمانية ولا البُهيتاء؛ بل يسير في وادٍ آخر متشاملاً حتى يعطف على السيل ، وبين الطريقين الموضع الذي يقال: إنه موضع سوق عكاظ، وهذه المحطة تستغرق نحو عشر ساعات أو تزيد قليلاً ، فيما لو كان السير إليها من المضيق. وليس بالسيل قرية سوى أنه يمر منه سيل وادي قرن وما ينضم إليه من الشعاب، وتبقى به غدران في الغالب تكون نظيفة حديثة، ثم يمر منها السيل إلى العقيق الذي يُحرم منه الحاج العراقي، ويمر بعده على ذات عِرق وعلى المضيق المذكور، ولا تقيل القافلة في السيل؛ بل ترحل منه قبل انتصاف النهار؛ لتقطع الريعان نهاراً، فإنها بعد سيرها منه بساعة تأتي ريعاً يسمى ريع الزلالة[2] ليس بالهين. وبعده بساعة تأتي ريعاً آخر

(1) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 234/3.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط 4، 1422هـ/ 2001م ، ص 210/15.

يسمى ريع الحنطة[1] وهو ريع هين نسبة، وبعد ساعة تأتي ريع المنحوت، وهناك غالب الركاب ينزلون عن الشقادف[2]، فإذا قطعت ريع المنحوت سارت نحو ساعة فأتت ريع النبيعات[3]، وليس جبلاً؛ بل مضيقاً عسيراً بين جبال تظل الإبل سائرة فيه بأحمالها نحو ساعة حتى تقطعه؛ فتخرج منه في شبه زقاق ضيق إلى وادٍ فسيح يسمى السيل الصغير ، وعند ذلك تكون قطعت خمسي المرحلة، وغالباً تقف القافلة هناك لصلاة المغرب والعَشاء بفتح العين، ثم تسير مارةً أثناء سيرها على مجاري السيول المتصلة بالسيل الصغير، إلى أن تأتي ريعاً صغيراً يسمى ريع الأذيرع، فإذا جاوزته مرت سائرة في سهول تسمى خرم القُميع إلى أن تأتي أول قرى الطائف أم الحمض، ثم القديراء بالتصغير، ثم لقيم، ثم المليساء، ثم شُبرى والعقيق، ثم الطائف، وهذه المرحلة من السيل إلى الطائف لا تزيد على ست عشرة[4] ساعة، فجميع المسافة بين مكة والطائف من طريق اليمانية ثمان وثلاثون ساعة بسير الإبل، ولو سيرت بالحمير والبغال لا تبلغ عشرين ساعة، ولكنهم لم يتعودها لعدم وجود المقاهي بهذا الطريق التي يسمونها غُرز بضم ففتح غرزة، أي موضع يُنزل فيه للراحة قليلاً بخلاف جبل كرا فإن بطريقه غُرزاً عديدة، ومسافته بالحمير والبغال نحو خمس عشرة[5] ساعة، فإن من مكة إلى الكُر - بوزن بُر قاع جبل كرا من جهة تهامة - نحو ثماني ساعات. والغُرز فيه: منىً، فعرفة، فشدّاد، كحداد، فالكُر[6]، ويصعد منه إلى الهدى في نحو ثلاث ساعات أو أربع ساعات، ثم من الهدى إلى الطائف مثلها.

---

(1) المرجع السابق، ص 133/12.

(2) الشقادف مراكب أكبر من الهودج تركبها الحجاج إلى بيت الله الحرام، واحده :شقدف، انظر: الزَّبيدي، تاج **العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق (شقدف).

(3) لم أقف عليه فيما لدي من المراجع.

(4) في المخطوطة: ستة عشر ، وهو خطأ.

(5) في المخطوطة : خمسة عشر، وهو خطأ.

(6) يلحظ هنا **عدم صحة تركيب هذه الجملة** فالمراد: فأن من مكة إلى الكُر (على وزن بُر وهو ما يطلق على المنطقة السفلى لجبل الكرا من جهة تهامة، وفيه تكثر الغرز) ثماني ساعات منى فعرفة......

أما لو أريد المسير في هذا الطريق بالجمال وقد يُحتاج إليه، فمن مكة إلى الكُر مرحلة واحدة تستغرق نحو خمس عشرة ساعة[1] ثم ينزل الركاب عن الجمال ويصعدون الجبل مشياً، أو تُحضر لهم حمير أو بغال أو أسِرَّة تحملهم فيها أشخاص بالتناوب، يصعدون من الطريق المعتاد لأهل البغال والحمير، والجمال تصعد بأحمالها من طريق آخر تسلكه الجمال، لكن لا بالحمل الثقيل، ولا يركب فيه قطعاً في نحو خمس ساعات، وتقيل في الهدى وتهبط بحمولها إلى قاع الجبل من جهة الطائف في نحو ساعة ، فيركبون ويسيرون نحو سبع أو ثماني ساعات، فيردون الطائف ، وبذلك يتبين أن ارتفاع جبل الكرا من جهة تهامة أكثر منه بكثير من جهة نجد، ولذا يعدون قرية الهدى مرتفعة عن سطح البحر بنحو ألفي متر، ومكة بنحو مئتي متر، والطائف بنحو ألف وسبعمائة، والله أعلم.

ونفضت بي كفّ حياطتك: نفض الثوب أو المزادة أو السُفرة حرَّكه بعنف ليتناثر ما فيه، والباء في «بي» للتعدية مثلها في: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾[2] أي أذهبه، والحياطة مصدر حاطه يحوطه حفظه وصانه وتعهده، أي:[3] نثرتني وطرحتني من حفظك أو من تعاهدك إيَّاي، كما ينفض الإنسان كفه ليتناثر مافيه من بقايا الطعام، مثلاً.

وغضضت عني طرف حمايتك: غض طرفه خفضه وكسره؛ لئلا ينظر إلى أمر كرهه، وفي الحديث: «**إذا فرح غض طرفه**»[4] أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه؛ ليكون أبعد من الأشر والمرح، وكل شيء كففته فقد غضضته، أي أنك غضضت عني طرفك الذي كنت تنظر إليَّ به لتقيني حوادث دهري.

---

(1) في المخطوطة: خمسة عشر، والصواب ما ذكرناه.

(2) سورة البقرة: الآية (17).

(3) في المخطوطة كررت كلمة أي ، وهو سهو من الناسخ.

(4) الطبراني: **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط 2، ص 155/22.

بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك: الظرف متعلق بسلب، وما بعده مما عُطف عليه، أي وقع منك في حقي ما وقع من هذه المصائب المسرودة، بعد أن كنتُ ممن عُرف بالانتساب إليك، والوقوف عند بابك، والتردد على رحابك ، مؤمِّلاً في جنابك تأميلاً رآه الأعمى، أي رآه كل أحد حتى إن الأعمى نظر إليه، والتأميل وإن كان أمراً معنوياً لا يُحس بحاسة البصر لكن لشدة التلبُّس به وبروزه إلى العيان صار بحيث ينظره الأعمى وفي ذلك من المبالغة ما لا يخفى.

وسمع الأصم ثنائي عليك، وأحسَّ الجماد باستحمادي[1] إليك: أي إن محبتي لك وانتسابي إليك لم يبق مجهولاً، فإن ثنائي عليك وحمدي إياك الناشئين عن المحبة والانتساب قد سمعه الأصم وأحسَّ به الجماد، أي صار بحيث لا يستطيع أن ينكره أحد، وفي ذلك من استعطافه وحمله على العفو عنه ما لا يخفى، فإن الكريم لا ترضى شيمته أن يصدر عنه ما لا يرى العموم إمكان صدوره عنه، وأصل هذا المعنى للمتنبي استعمله في شعره، قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم[2]

أي إن أدبي قد صار معلوماً مُسلَّماً عند كل أحد حتى إن الأعمى نظره، وشعري قد سمعه كل أحد حتى الصُم .

لطيفة: كان أبو العلاء المعري أعمى، وكان ينتصر للمتنبي فكان يقول: كأنما عناني المتنبي بهذا البيت فهو من معجزاته[3]، ومن ظريف التلميح أن الشريف الرضي، وكان ينتصر لأبي تمام، انتقص المتنبي يوماً بحضرة أبي العلاء، فقال له أبو العلاء: لولم يكن لأبي الطيب إلا قوله أي إلا قصيدته التي مطلعها[4]:

لك يا منازل في القلوب منازل

(1) اختلاف الرواية: استنادي.

(2) انظر: **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 332.

(3) أبو العلاء المعري: **معجز أحمد**، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 276.

(4) ديوان المتنبي ، مرجع سابق، ص 177.

فانفعل الشريف وغضب وطرده من مجلسه. فقيل له: ما فعل شيئاً ، قال:إنما أراد قوله منها:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل[1][2]

وحكى سري الدين الرفاء قال[3]: حضرت مجلس سيف الدولة بعد قتل المتنبي فجرى ذكره، فأثنى عليه وذكر شعره، فقلت : يقترح لي الأمير أي قصيدة من قصائده، فإني أعارضها بما يُعلم الأمير أن أبا الطيب قد خلّف[4]، فقال: عارض:

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى   وللحب ما لم يبق مني وما بقى[5]

فرجعت إلى منزلي وتأملت القصيدة ولم أرها من مختاراته فاستقصيتها، فرأيت فيها قوله:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غباري ثم قال له: الحق[6]

فعلمت أنه أراده، فسكتُّ[7].

ويعجبني ما حكاه بعض الظرفاء قال: مرت امرأة مليحة ملفوفة في كساء، على شاب من أهل الخلاعة، فرمقته ورمقها ، فقال: من أنتِ ؟ فقالت: أنا السادس في السابع ، لمَّحت إلى قول ابن سكرة في كافات الشتاء[8]:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه   سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا   مع الكباب وكس ناعم وكسا[9]

فكأنها قالت: أنا الكس الناعم في الكساء، فنظم الشاب هذا المعنى فقال:

(1) السابق، ص 180.

(2) انظر : القصة كاملة، ابن حجة الحموي: **ثمرات الأوراق**، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية ، ص 139/1.

(3) انظر بتفصيل: داوود الأنطاكي: **أشواق العشاق**، القاهرة، المطبعة الأزهرية، 1302هـ ، ص 190.

(4) آي خلف وراءه تلامذة أكفاء، من باب خير خلف لخير سلف.

(5) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 345

(6) السابق، ص 347.

(7) انظر: ابن حجة الحموي: **ثمرات الأوراق**، مرجع سابق، ص 140/1.

(8) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق ، ص 113/4.

(9) ابن حجة الحموي: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شقيو، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2004م، ص408/1.

رأيتها ملفوفة في كسا مخافة الكاشح والطامع
قلت لها: من أنتِ يا هذه؟ قالت: أنا السادس في السابع[1]

وقعد رجل على جسر بغداد، فأقبلت امرأة حسناء من جهة الرصافة واستقبلها شاب فقال: يرحم الله علي بن الجهم، فقالت: يرحم الله أبا العلاء، وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرِّبة، قال: فتبعتها وقلت: والله لتخبريني بما عنيتما أو لأفضحكما، فضحكتْ وقالت: أراد قول ابن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري[2]

وأردت قول أبي العلاء:

أيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[3]

ومن هذا الباب أن المأمون العباسي كان يقرأ على الكسائي ،ومن عادة الكسائي إذا غلط القارئ ينكت بمحجنه في الأرض ، فقرأ المأمون سورة الصف وأتى على آية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[4] فقرع الكسائي بمحجنه، فرجع المأمون على الآية فلم يجد أنه غلط، ومضى على قراءته، ثم أتى أباه الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت وعدت الكسائي بشيء فأوف له، فقال: ولمَ؟ هل قال لك شيئاً؟ قال: لا بل كان كيت وكيت، فسُر الرشيد بحدة ذهن ابنه وسرَعة انتقاله إلى الفهم المراد، وقال: إنه كان سألني شيئاً للقرَّاء، فوعدته به.

وحج المنصور فأصحب معه الهذلي الشاعر الشهير؛ ليعرِّفه ببعض مواضع بالمدينة المنورة ومكة المكرمة. فبينا هو سائر معه ببعض أزقة المدينة مرا على بيت، فقال: هذا، يا أمير المؤمنين، بيت عاتكة الذي يقول فيه بعض الشعراء:

يا بيت عاتكة الذي أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل[5]

---

(1) الأنطاكي: **تزيين الأسواق**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط 3، 1994م ، ص 190/1.

(2) أبو عبيد البكري: **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي]**، تحقيق وتنقيح: عبدالعزيز الميمني، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 53/1.

(3) الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1424هـ ، ص 450/2.

(4) سورة الصف: الآية (2).

(5) البيت للأحوص، انظر: الأحوص: **شعر الأحوص الأنصاري**، حققه وقدم له عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي ، ط 2، 1990، ص 207.

فأنكر المنصور في نفسه ابتداءه بالخبر خلاف عادته، وقال: هذا رجل حكيم، ما ابتدأني إلا وقد أراد معنى في نفسه، وأمرَّ فكره على القصيدة فوجد فيها بيتاً وهو:

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل[1]

فتذكر أنه كان وعده بوعد، فوفى له به[2]، هكذا فقلتُ هذه الحكاية عن بعض أدباء أهل الشام ممن ورد حاجاً بيت الله الحرام.

وحُكي أن الشريف حسناً ابن أبي نمي شريف مكة وأميرها بعد أبيه من سنة 992هـ إلى سنة 1008هـ، وهو الذي به الشرافة كما قال الشهاب الخفاجي في ريحانته: جلس يوماً للتهنئة لما بنى داره التي اشتهرت بدار السعادة، وكانت قبالة المسجد الحرام تجاه باب أم هاني وباب الشريف وباب أجياد، أي موضع التكية المصرية والحميدية دار الحكومة، واحترقت في حدود سنة 1184هـ لما وُلِيَ مكة من ذوي بركات الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نُمي، وكان عنده يومئذٍ أخوه الشريف ثقبة، وكان ذا أنفة وشهامة، فدخل بعض الأشراف، وجلس فوق الشريف ثقبة مما يليه ولم يكن ممن يماثله ويضاهيه، فتقطب وجه الشريف ثقبة غضباً، وعرف أخوه الأمير ذلك في وجهه فقال: إنه ليأخذ مني بالعجب، وتهزني به أريحية الطرب قول أبي الطيب:

فؤاد ما يسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللئام[3]

فتهلل وجهه بعد القطوب إذ علم أنه أراد من القصيد قوله:

ولو أن المكان له علو لطار الجيش وانحط القتام[4]

---

(1) السابق، ص 214.

(2) انظر القصة في: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مرجع سابق، ص 2/297.

(3) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 101.

(4) السابق، ص 102.

وحكى مثل ذلك الشهاب الخفاجي وذكر مؤرخو مكة[1] أن الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نُمي لما ولِّي مكة سنة 1037هـ بعد ابن عمه الشريف محسن بن حسين بن حسن، وبعد محاربة وقعت بينهما أسفرت عن انكسار الشريف محسن وسفره إلى اليمن، وكان به ضغن على الشيخ عبدالرحمن بن عيسى المرشدي مفتي مكة المكرمة يومئذ الذي طار صيته في الآفاق، وانعقد على فضله الوفاق، لما كان من اتصاله واختصاصه به ولحوادث عصرية بينهما، فقصد الانتقام منه، فأنهب داره، وخفض مقداره، وحبسه وقيده، وكان ذلك آخر العُشر الأوسط من شهر رمضان سنة 1037هـ، فلما كانت ليلة عيد الفطر، والعادة فيها أن يجتمع الخطباء وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام، ثم يسيرون في موكب عظيم آخذين في التكبير إلى دار الإمارة، ويومئذ تشفَّع بعض الأفاضل، قيل هو السيد زين العابدين الطبري عند الشريف في الشيخ، فأمر بإحضاره، فأُحضر يجر قيوده والمجلس محتبك بالأعيان أقرانه ومعاصريه، فأنشد لما وقف بين يديه بأثبت جِفان غير مرتبك:

لا تضع من عظيم قدراً وإن كنت عظيماً وحزت قدر عظيم
فالعزيز الكريم ينقص قدراً بالتعدي على العزيز الكريم[2]

فتطاير من الشريف الغضب، وأمر عليه بسوء المنقلب، فتعجب الحاضرون، وقال ناظور أولئك الأعيان وهو السيد زين العابدين المشار إليه: مانراه أتى شراً، فقال: بل أتى شيئاً نكرا، إذ جعل نفسه عقلاً وجعلني خمراً، أما تعلمون مابعد هذين البيتين:

ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ـر بتنجيسها وبالتحريم[3]

---

(1) انظر: - عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ-1998م، ص 436/4.
- المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مرجع سابق، ص 239.

(2) البيتان والبيت التالي للشاعر الحيص بيص، انظر: عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبدالله: **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، جميل سعيد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375هـ - 1955م، - قسم شعراء العراق جـ 1، ص 320.

(3) السابق والصفحة.

فانظروا إلى انطلاق لسانه في سبي، وثبات جنانه في ثلبي. وأنا أعلم أنه أفضلكم، ولكن، ياغلام، ارجع به الى الحبس؛ ليعلم عاقبة أمره، وبقي الشيخ في الحبس إلى الحج من تلك السنة، فقدم قانصوه باشا[1] أميراً على الحج المصري، وكان للشيخ به علاقة، فوصله عائلة الشيخ وتوسلوا إليه، ليشفع له عند الشريف، فوعد بذلك، فبلغ الشريف أنه سيشفع فيه عنده غداة يوم النحر يوم قراءة الفرمان المعتاد يومها لأمراء مكة، فأرسل إليه عبداً أسود قتله ليلة النحر في الحبس خنقاً، ودُفن بالشبيكة بقرب حوطة المساوى أي في شامي المقبرة المذكورة مما يلي الركن الغربي منها، وكان له هناك قبر يزار وقد نُسي اليوم - رحمه الله تعالى[2] - فلما تشفع فيه الباشا المذكور قال: قد سبق فيه أمرنا، فأضمرها في نفسه، وقدم قانصوه باشا المذكور سنة 1038هـ وصحبته ثلاثون ألف عسكري لحرب اليمن، ولكن وصل مكة زمن الحج، فضرب مخيمه أسفل مكة، وكان له مع الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن محبة سابقة، ومن سابق أمر الله أن الشريف أحمد بن عبدالمطلب أيام حربه مع الشريف محسن أخذ مسعوداً هذا في بطانته ووعده بالاشتراك معه في الأمر؛ لأن أباه إدريس كان أمير مكة قبل محسن مدة طويلة، وكان له شأن عند الأشراف، وغاية أحمد في ذلك أن يثبط عنه آل أبي نمي، ثم لم يفِ له بذلك، فوقعت المواطأة بين الباشا ومسعود على أمر دبروه، ولما قضت الحجاج مناسكهم، وسافروا، مكث قانصوه بعسكره مخيماً ثمة إلى استهلال سنة 1039هـ. فأخذ في استمالة عساكر الشريف ووجوه رجاله إلى أن تم له ما تم، ففي 14 صفر سنة 1039هـ أشار إلى رجل من أبناء الطواف يتعاطى خدمته، فحسَّن للشريف أن يغدو إلى الباشا للوداع، ففعل وذهب، فأدخلوه الخيام، وقطعوا عنه خدمه، وقتلوه تلك

(1) قائد عسكري في الدولة العثمانية، تولى إمارة الحج سنة 1037هـ وكذا نيابة اليمن سنة 1039هـ توفي سنة نيف وستين وألف، انظر: المحبي، خلاصة الأثر، مرجع سابق، ص 297/3.

(2) ذكر المؤرخون أسباباً عدة لقتله منها: أنه عرض بالشريف أحمد عند خطبته إحدى النساء في خطبة الجمعة، ومنها أن الشريف أحمد وجد فتيا من الشيخ المرشدي تصفه بالباغي والجائر. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، مرجع سابق، ص 298/3.

القتلة التي قتلها المرشدي، وأخرجوه مقتولاً ونادوا في الحال بالشرافة للشريف المسعود، ولم يثر لقتله ثائر، ومكث الشريف مسعود هذا أميراً إلى يوم 18 شهر ربيع الثاني سنة 1040هـ، أي سنة وشهرين وأربعة أيام[1]، وفي زمنه كان السيل الذي هُدمت منه الكعبة[2]، وبستانه الذي توفي فيه بمرض الدق[3] بأم عابدة الحارة التي يقال لها اليوم المعابدة، والظاهر أنه الذي عند حوض أبي طالب أي المشهور سابقاً ببستان مسعود واليوم ببستان العواجي.

تنبيه: مسعود هذا ليس هو أبا الشريف أحمد بن مسعود[4] صاحب القصيدة التي مطلعها:

ألا هبي فقد بكر الندامى ... ومج الطل من ظلم الندى ما[5]

التي قالها يمدح السلطان مراداً لينال بها شرافة مكة، بل ذاك أبوه مسعود ابن الحسن ابن أبي نمي[6]، ومن ذرية مسعود ابن الحسن، أحمد بن غالب بن محمد ابن مسعود[7] الذي وُلِّي شرافة مكة أول القرن الثاني عشر مدة قليلة، وكان

---

(1) انظر: المحبي، خلاصة الأثر، مرجع سابق، 433/4.

(2) كان سنة 1039هـ حيث دخل السيل المسجد وغرق نحو ألف شخص، انظر: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 434/4.

(3) حمى قاتلة، انظر: ابن سينا: **القانون في الطب**، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، ص 148/1.

(4) شاعر وأديب طمع في ولاية مكة فقصد استنابول ومدح السلطان مراد خان، وكذلك فعل مع إمام اليمن، لكن دون جدوى، توفي تقريباً 1042هـ انظر: علي بن أحمد بن محمد معصوم، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، مرجع سابق، ص 14/1.

(5) انظر: وبعد البيت :

وهينمت القبول فضاع نشر ... روى عن شيخ نجد والخزامى
وقد وضعت عذارى المزن طفلاً ... بمهد الروض تغذوه النعامى
فكم خفر الفوارس في وطيس ... فتى منا وما خفر الذماما
وكم جدنا على قلٍ بوفر ... وأعطينا على جدب هجاما

انظر: السابق، ص 14/1-15، وفيه بعض عبارات مختلفة عن رواية المخطوطة.

(6) تولى ولاية مكة مدة قصيرة ثم أخذها من بعده أخوه أبو طالب بن الحسن ،انظر: المحبي، خلاصة الأثر، مرجع سابق، ص 362/4.

(7) تولى إمارة مكة عام 1109هـ ودام والياً فيها قرابة سنة وتسعة أشهر بعد أن تغلب عليه الشريف محسن الحسين، توفي عام 1113هـ، انظر: السابق، ص 197/1.

له شأن عند الأشراف، وله الركاني البستان القريب من حده. أما هذا فهو مسعود ابن إدريس ابن الحسن، ولما مات مسعود هذا أجمع الأشراف على تولية كبيرهم يومئذ، وهو عبدالله ابن الحسن[(1)] جد العبادلة الذين منهم ساداتنا ذوو عون أمراءً مكة اليوم، وكان اجتماعهم لذلك في السبيل الذي عند الصفا الذي عُلُوُّه دار الشيخ علي الأيوبي[(2)] ومكث الشريف عبدالله بن الحسن أميراً إلى أن حج بالناس عامئذٍ، ثم في محرم الحرام عام 1041هـ خلع نفسه من الشرافة وقلَّدها ابنه الشريف محمداً، أو أشرك معه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن، وكان باليمن مع أبيه محسن ثم رجع مكة بإشارة له من الشريف عبدالله، أقول وحسين جد زيد كان [قد[(3)]] توفي في حياة أبيه الحسن وخلف ابنه محسناً الذي كان زاحم أعمامه، ولعل عبدالله كان أخا حسين شقيقاً، أو كان له به اختصاص، وإلا فلمَ اختار زيداً واستدعاه من اليمن لشركة ابنه محمد مع وجود الجم الغفير من حفداء الحسن وأبنائهم؟ وتوفي الشريف عبدالله في 10 جمادى الآخرة سنة 1046هـ بعد أن تمت عمارة الكعبة، وفي شعبان من ذلك العام استشهد الشريف محمد المذكور في قتال وقع بين الأشراف وعساكر الأتراك الجلاوية، أي الذين أجلاهم قانصوه باشا من اليمن لفسادٍ وقع منهم، فجاءوا مكة وعاثوا فيها فساداً، وكانوا أرسلوا إلى الشريف محمد وطلبوا منه الإذن بدخول مكة، فمنعهم وغوَّر الأبيار في طريقهم، لكنهم تغلبوا، فتقاتلوا مع الأشراف عند قوز المكاسة[(4)] فاستشهد كثير من الأشراف ومنهم الأمير محمد بن عبدالله، ونادوا بالإمارة

---

(1) السابق، ص 455/3.

(2) انظر: **نظم الدرر**، **خلاصة الأثر**، مرجع سابق، ص 38/3.

(3) زيادة من المحقق.

(4) انظر: عاتق بن غيث البلادي: **معجم المَعَالم الجُغْرَافيَّة في السِّيرَة النَّبَويَّة**، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط 1، 1402هـ – 1982م، ص 14. وقوز المَكَاسة موضع يقع جنوب غربي مكة كان يؤخذ فيه المكوس وهو كالضريبة على البضائع القادمة من اليمن من قبل أمراء مكة فسمي الموضع باسمه، انظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، مكة المكرمة، دار مكة، ط 1، 1402هـ، (البلاد).

للشريف نامي بن عبدالمطلب، وهرب زيد إلى المدينة المنورة، وبعد مائة يوم وردت الخلع بالإمارة للشريف زيد وألبسها في الروضة المطهرة، ثم قدم من المدينة إلى مكة بالعساكر التي جاءته من مصر لتأييده، ومكث أميراً نحو 35 سنة، وهو جد آل زيد وكان ميمون الطلعة، مبارك النفس، محبوباً عند الخاص والعام، ومن ذريته **سيدنا الشريف عبدالمطلب**، فإنه ابن غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد.

وذوو غالب بمكة من انتسب إلى غالب بن مساعد وليسوا سوى حفداء عبد المطلب وعلي ابني غالب. وذوو سرور من انتسب إلى سرور بن مساعد أخي غالب الذي كان أميراً قبله من سنة 1189هـ إلى سنة 1202هـ، وهم حفدة عبدالله بن سرور، ويحيى بن سرور، وسعيد بن سرور، وهؤلاء هم الظاهرون من ذوي زيد اليوم، مع أنه كان لزيد أولاد غير سعد، وكان لسعد أولاد غير سعيد، وكان لسعيد أولاد غير مساعد، لكنا لم نجد ممن ينتسب إلى من فوق غالب وسرور إلا أقل القليل، وأمثلهم دخيل الله العواجي خِتن سيدنا الشريف عبدالمطلب، فإنه ابن مسعود ابن دخيل الله بن عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد، وكان عبدالله بن فهيد صاحب الدار التي بعلو الصفا، فإنه عبدالله بن فهيد بن عبدالله بن سعيد، ومنهم آل مساعد الذين بحارة الغزة ولا أعلم من المراد بمساعد الذين ينتسبون إليه، فإنهم متعددون كما يُعلم من التواريخ، وكذا الشريف ماضي بن سرور بن ماضي، والظاهر أنه يتصل نسبه بسعيد بن سعد، أما العبادلة ذرية عبدالله بن الحسن بن أبي نُمي فأكثر الأشراف اليوم عدداً وشوكة وشكيمة، فإن منهم ذوي عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن الحسن نصاب الملك اليوم، وهم ثلاثة شعوب: الأول حفداء سيدنا المرحوم الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون، ثم أولاد أخيه الشريف هزاع بن عبدالمعين بن عون ، وهم ذوو هزاع سكان القطبية ،القرية المعروفة خارج الطائف، ومنهم صاحبنا الشريف حامد بن حمود بن هزاع، ومنهم الشريف علي بن عمر ابن هزاع المستوطن بالآستانة منذ ثلاثين سنة، ثم ذرية ناصر بن فواز بن عون ويقال لهم ذوي ناصر، ومنهم اليوم أمير الطائف وعمدة الأشراف السيد الشريف

والسيد الغطريف مولانا الشريف زيد بن فواز بن ناصر بن فواز بن عون. ومن العبادلة أيضاً الأشراف الصوامل، وهم ذرية زامل بن عبدالله بن الحسن، وهم المتاخمون في الحدود للأشراف ذوي حسن بن عجلان، سكان الشواق بأطراف اليمن[1]، ومنهم الأشراف الفعور سكان وادي لية من أعمال الطائف، ومن ذرية زين العابدين عبدالله، ومنهم ذوو لؤي سكان الخرمة وتربة، ومنهم الحمديون سكان التهم، أي تهامة أطراف مكة من نعمان وعرفة وما يلي ذلك من يماني مكة، وهم ذرية حمود بن عبدالله الذي كان مع زيد بن محسن شريكاً أو كالشريك لا يقطع أمراً دونه، وصاهره وأجمعت الأشراف عليه بعد زيد، ولكن ما ساعدته المقادير، بل تمت الإمارة لسعد بن زيد رغماً على من أرادها لحمود، ومن أرادها لأحمد بن زيد الذي هو أكبر من سعد ﴿**وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾[2].

فلا غرو: قد علمت أن هذا جواب الشرط: إن سلبتني... إلخ، أي فلا عجب أو فليس بعجيب، أي مهما وقع عليَّ من المصائب أو المكروهات من محل كنت أتوقع منه كل محبوب، فليس هذا بأمر عجيب أتأسف له؛ لأن له نظائر أتأسَّى بها فإنه لاغرو.

قد يغص الماء شاربه: استئناف بياني قصد به بيان قوله: فلا غرو، أي فإن الماء الذي به حياة كل شيء، وبه الإنبات والإرواء قد يغص من يشربه فيشرق به فيموت، وفي الأمثال: «**لو بغير الماء غصصت**»[3]، يقوله من أتى من قِبل من يثق به، وقال عدي بن زيد:

لـو بـغـير المـــاء حـلـقـي شَـــرِق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري[4]

(1) انظر :حمد بن محمد الجاسر: **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، الرياض، النادي الأدبي الثقافي في الرياض، ط1، 1401هـ - 1981م، ص 157.

(2) سورة البقرة: الآية (247).

(3) أبو هلال العسكري: **جمهرة الأمثال**، بيروت، دار الفكر، ج (2)، ص 203/2.

(4) انظر: **ديوان عدي بن زيد العبادي**، حققه وجمعه: محمد جبار المعيبد، بغداد، دار الجمهورية للنشر، 1965م، ص93.

أي أن الغصان وهو من غص بلقمة أو بريقه يعتصر أي يسوغ غصته بالماء، ومن غص بالماء فبماذا يعتصر؟! .

ويقتل الدواء المستشفى به: أي وقد يستعمل الإنسان الدواء ليستشفي به من مرض قائم به فلا يوافق مزاجه، فينشأ عنه مرض آخر يقتله.

واكون منية المتمني في أمنيته: الأمنية اسم من التمني، يُجمع على أماني، والمنيّة الموت ، وتُجمع على منايا، قال الشاعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا[1]

أي قد يتمنى الإنسان أمراً فتكون منيته فيه ، كما يقع كثيراً للقائمين بأخذ البيعة لبعض الأئمة كأبي مسلم الخراساني وطاهر بن الحسين ، ويقرِب من هذا المعنى قول بعض الشعراء:

أأحـــرم دولـتـكـم بـعـدمـا ركـبـت الأمــانـي وأنـفـيـتـهـا

ومـا لي ذنـب سـوى أنـنـي رجـوتكمـو فتمنيتـهـا[2]

ويؤتى الحذر: الحَذِر بكسر الذال صيغة مبالغة، من مأمنه أي أن كثير الحذر المتنبه اليقظ الآخذ حذره من كل مايخاف منه، قد يؤتى أي يأتيه ما يكرهه من حيث ما يأمن.

والحين، أي الهلاك، ***قد يسبق جهد الحريص***: هذه الجملة من قبيل إرسال المثل[3] وهي شطر بيت لعدي بن زيد وصدره:

قد يدرك المبطئ من حظه والحين ....[4]

---

(1) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 441.

(2) انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **نكث الهميان في نكت العميان**، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1. 1428هـ/2007م، ص 248.

(3) شهاب الدين النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، 1423هـ، ص290/7.

(4) عبدالقادر بن عمر البغدادي: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418هـ - 1997م، ص 351/1، وتتمة البيت: **قد يسبق جهد الحريص**.

أي أن الحريص يبذل جهده وطاقته في نيل آماله، فيسبقه الهلاك، فيموت قبل نيلها، والمقصود من هذا كله إراءة سيده، أنه غير متسخّط مما جرى عليه منه، ليتم له استعطافه ببيان أن ذلك يقع مثله كثيراً، وقد حكي أن بعضهم مات له ابن فلم يجزع، فقيل له في ذلك، فقال: هذا أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره[1]، قال بعضهم:

ولا خير فيمن لا يوطّن نفسه   على نائبات الدهر حين تنوب[2]

وقال كُثير عزة:

أقول لها عزّ كل مصيبة   إذا وطُنت يوماً لها النفس ذلت[3]

قال عبدالملك بن مروان لو كان هذا البيت في وصف الحرب لكان - أي كُثير - أشعر الناس. ولبعضهم:

تجري الأمور على وفق القضاء وفي   طي الحوادث محبوب ومكروه

فربما سرني من كنت أحذره   وربما ساءني من كنت أرجوه[4]

وقال آخر:

كم شارب عسلاً فيه منيته   وكم تقلّد سيفاً من به ذُبحا[5]

هذا ابن الزيات أُلقي في التنور الذي اصطنعه ليعذب فيه الناس، قبل أن يعذب فيه أحداً[6]، وقال أبو العتاهية:

[و][7] قد يهلك الإنسان من باب[8] أمنه   وينجو بإذن الله من حيث يحذر[9]

(1) عبدالقادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مرجع سابق، ص 322/10.

(2) البيت لغريقة بن سافع العبسي، انظر: الأصمعي: **الأصمعيات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر - عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط 7، 1993م، ص 98.

(3) **ديوان كثير عزة**: جمعه وشرحه: إحسان عباس ، بيروت، دار الثقافة، 1971م، ص 97.

(4) البيتان لأبي الصلت، انظر: ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: **تحفة القادم**، أعاد بناءه وعلّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1406هـ - 1986م، ص 13.

(5) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي: المحاضرات في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 103.

(6) انظر: المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي ، ط 3، 1417هـ - 1997م، ص 10/2.

(7) الزيادة من الديوان، وبها يستقيم الوزن.

(8) في الديوان : وجه.

(9) انظر: **ديوان أبي العتاهية**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م، ص 177.

قال عز وجل: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، قال رجل لمعاوية - رضي الله عنه -: والله لقد بايعتك وأنا كاره، فقال: لقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً[2]، انظر إلى حلمه - رضي الله عنه - وسياسته، وقد أحسن **ابن زيدون** ماشاء فيما أورده من ضروب الكلام ليتم له هذا المرام، ثم انتقل إلى أسلوب آخر، فأراه أن كل ذلك هيّن لو لم يشتمل على مايشمت به حساده بقوله:

كل المصائب قد تمر على الفتى   وتهون غير شماتة الحساد[3]

البيت لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة من ذرية المهلب، من قصيدة يعاتب بها ذا اليمينين وهي:

من مبلغ عني الأمير رسالةً   مخصوصةً عندي عن الإنشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى   فتهون غير شماتة الحساد
وأظن لي منها لديك خبيئةً   ستكون عند الزاد آخر زاد
ما لي أرى أمري لديك كأنه   من ثقله طود من الأطواد
وأراك ترجيه وتمضي غيره   في ساعة الإصدار والإيراد
الله يعلم ما أتيتك زائراً   من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائراً لك راجياً   بك رتبة الآباء والأجداد
قد كان لي بالمصر يومٌ جامعٌ   لك مصلحٌ فيه لكل فساد
ودعوت منصوراً فأعلن بيعةً   في جمع أهل المصر والأجناد
بارت مسارعتي إليك بطاعتي   كل البوار وآذنت بكساد
في الأرض منفسحٌ ورزق واسع   لي عنك في غوري وفي إنجادي[4]

وابن أبي عيينة كان من رؤساء البصرة، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه للمأمون مع أخيه الأمين، وهو الذي أتم له أمر البصرة.

---

(1) سورة النساء: الآية (19)، وفي المخطوطة: وعسى، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.

(2) المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص 256/1.

(3) السابق، ص 26/2.

(4) السابق، ص 26/2.

وذو اليمينين[1] كان من كبار رجال الدولة العباسية المأمونية النافذي الكلمة فيها، وكان ابن أبي عيينة له صداقة تامة مع إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان إسماعيل هذا جليل القدر في قومه مطاعاً في مواليه، فوصل ابن أبي عيينة إسماعيل بذي اليمينين حتى ولاه البصرة، ووُلي ابن أبي عيينة البحرين واليمامة وغوص البحر، فلما رجعا إلى البصرة تناكرا أو تناكرا بمقدار ما كان بينهما من المُعارفة والتقارب، وعُزل ابن أبي عيينة، وسأل ذا اليمينين، أن يعزل إسماعيل، فشح به واستبقاه، وصار يدافع ابن أبي عيينة فيه، فوقع بينهما ما أدى إلى هذه المعاتبة، وشماتة الحساد فرحهم وابتهاجهم بما ينال محسودهم من المكروهات، ولايزال أهل الفضل محسودين ممن هو دونهم، وقصرت باعه عن شأوهم، وكل يشمئز من شماتة حساده إلا من رزقه الله نظراً عالياً، وعلمَ أن الأمور كلها بيد الله، وأن النافع والضار هو الله وحده، فإنه حيئذ لا ينفعل من الحساد وما يبدونه، ويعلم أن الحسد داء عظيم، يفعل بالحاسد أكثر مما يفعله بالمحسود، فإن الحاسد لايزال مغموماً بما تحلَّى به محسوده من الخصائص، وتخلَّى عنه من النقائض، خصوصاً إذا رآه غير مكترث بوقائحه، ولا متاذيًّا من قبائحه، ولذا قال بعضهم:

إني أرحم حاسديّ لعظم ما ... ضمَّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار[2]

ومن دعاء بعض الكملة لمن يحبه: كثَّر الله حاسديك، أي أعلى قدرك؛ لأن كثرة الحساد دليل على رفعة القدر، ويحق للعاقل أن يفرح بحاسده لِما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود[3]

---

(1) ذو اليمينين هو طاهر بن الحسين، ولذا لم يكن اللبني موفقاً في تركيبه إذ ظهر أن ذا اليمينين ليس هو طاهر بن الحسين. انظر: شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ / 1985م، ص 18/10.

(2) البيتان لأبي الحسن التهامي، انظر: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن: **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1414هـ، ص 148/1.

(3) انظر: **ديوان أبي تمام الطائي**، فسر ألفاظه وقدمه للطبع: محيى الدين الخياط، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال، القاهرة، نظارة المعارف العمومية، ط 1، ص 85.

ولله درُّ القائل:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً　　　لأصبح الصخر قيراطاً بدينار[1]

وإني لأتجلد، وُري الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعضع: ثم ناسب المعنى الذي عناه، وهوأنه إنما يجزع من شماتة الحساد بقوله: وإني لأتجلد، أي أتكلف الجلد وأُظهر القوة وعدم الجزع، وأرِي بضم الهمز وكسر الراء فعل مضارع من الإراءة، واللام في للشامتين زائدة؛ لأن رأى البصرية يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، وبالهمزة إلى مفعولين، فالشامتين هو المصدر المنسبك من أن وما بعدها هو الثاني، لكنه أراد محاكاة البيت الآتي ذكره وإن كانت اللام في (للشامتين) فيه متعلقة بتجلدي، إني لريب الدهر لا أتضعضع: ريب الدهر حادثه، ولا أتضعضع لا أنكسر للمصيبة فتشمتَ الأعداء، وهذا حل بيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي الشاعر، يذكر أبناء له ماتوا مطلعها:

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهمو　　　فتصرَّموا ولكل جنب مصرع[2]

ويروى: فتُخُرِّموا بدل فتصرَّموا، والبيت هكذا:

وتجلدي للشامتين أريهمو　　　أني لريب الدهر لا أتضعضع[3]

قيل: أتى ابن عباس معاوية – رضي الله عنه – في مرض موته يزوره، فلما استأذن أذن له بعد أن أمر أنْ يجلسوه مسنداً ويمسحوا وجهه وعينيه، وتمثَّل البيت، فدخل ابن عباس وقد أحسَّ بما ذكر وسمع إنشاده البيت، فقال متمثِّلاً من القصيدة:

وإذا المنية أنشبت أظفارها　　　ألفيت كل تميمة لا تنفع[4]

(1) انظر: محاضرات في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 103.

(2) أبي سعيد السكري: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ص 7/1.

(3) السابق، ص 10/1.

(4) السابق، ص 8/1.

فزاره وخرج، وإذا الناعية عليه[1]، وهذه الحكاية وأمثالها مما يأتي به المؤرخون يستبعدها من يقدر الصحابة حق قدرهم - رضي الله عنهم - وغالب الظن أن ذلك من تصنيعات الملحدين؛ لإضلال الضعفاء. والمؤرخون وأهل الأخبار لا يتحرون فيما يقولونه، فما هذه قاعدة المحدثين، وقد قال العراقي[2]:

وليعلم الناقد أن السيرا   تنقل ما صح وما قد أنكرا[3]

ثم لا يتوهم من كلامنا هذا أننا نذم علم التاريخ، فإنه علم جليل من علوم الأدب الاثني عشر، وفوائده جمة، ومطالعته مهمة، وفائدته الاطلاع على أحوال الأمم وأجيالهم وماكانوا عليه من البذخ والترف، والاتعاظ والاتساء بما وقع على الملوك وأهل الفضل من الاضطهاد إلى غير ذلك مما يجمل بكل حازم معرفته، ولكن ينبغي أن يكون الإنسان قد عرف ما وجب عليه معرفته من قواعد وعقائد للدين وما عليه أهل السنة والجماعة، فإننا رأينا كثيراً من الأشراف والسادة اغتروا بأمثال هذه الحكاية، فوقعوا في حق سيدنا معاوية، بل في حق سيدنا عثمان، ورأينا كثيراً من المتحذلقين يتقربون إلى ساداتنا الأشراف بأمثال هذه الخرافات، فتجدهم ينبسطون إليهم انبساطاً ناشئاً من الجهل وعدم المبالاة بأمور الدين، وقد ألَّف شيخنا وشيخ مشيختنا المرحوم مولانا السيد أحمد دحلان[4] في ذلك كتابه (الفتح المبين) المطبوع على هامش (السيرة النبوية)، فمن أراد بسط الكلام فعليه به[5]، ولكنا جربنا أن الجدل في هذا البحث مع هؤلاء لايزيد إلا ضغناً، فكن فطناً كيساً - ولله الأمر.

---

(1) انظر: المبرد: **التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا**، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 44.

(2) هو الحافظ العراقي: عبدالرحمن بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي، ت 806هـ، انظر: محمد بن عبدالله الشافعي: **الرد الوافر**، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط، 1393هـ، ص 107.

(3) أبو الفضل زين الدين العراقي: **ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية**، بيروت، دار المنهاج، ط 1، 1426هـ، ص 29.

(4) انظر: الإدريسي: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1982م، ص 99/1.

(5) أي كتاب الفتح المبين للشيخ أحمد دحلان.

فأقول: عطف على أتجلد ومرتب عليه[1]، ***هل أنا إلا يد أدماها سوارها***: استفهام انكاري بمعنى النفي، أي ما أنا إلا كاليد التي أُلبستْ سواراً لتتحلى به، فأدماها أي جرحها فأسال دمها، فلا يحقٍ لها أن تتألم منه، والسوار ما تلبسه المرأة في يدها، وسينه تُكسر وتُضم، ويقال أسْوار بضم الهمزة وسكون السين وهو فارسي معرَّب، **دستور لفظ مركب من دست بمعنى اليد، ووار بمعنى صاحب أو لا** هذا بحسب الأصل، وفي الاستعمال مفرد، والعربي الأصل قُلب بضم فسكون، قال ابن معتوق:

وصمتة قلب عض منها بمعصم ... ووسواسه الخناس ينفث في صدري[2]

وجبين عض به إكليله: الواو بمعنى أو، أي أو ما أنا إلا جبين عض به إكليله والباء زائده أي عضه ، والإكليل التاج أو شبه عصابة تُزيِّن بالجواهر تحيط بمقدم الجبين[3]، ولعله الذي يقال له في عرف أهل مكة شاقح، أواستفان، والعض هنا مجاز مرسل تبعي عن مطلق الخدش.

ومشرفيٍّ ألصقه بالأرض صاقله: أي وما أنا إلا كمشرفي أي سيف، ألصقه أي دلكه بالأرض صاقله ليذهب خبثه لا لهوانه عليه، والمشرفي بفتح الميم والراء في الأصل السيف المصنوع في مشارف الأرض، وهي كل قرية بين بلاد الريف وجزيرة العرب؛ لأنها أشرفت على السواد، وجاء في حديث سُطيح: كان يسكن مشارف الشام[4]، أو يقال لها المزارع أيضاً، وإنما لا يقال مشارفي ؛لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن[5]، ثم صار يطلق المشرفي على السيف مطلقاً عُرفاً شائعاً، قال كُثير:

فما تركوه عفوة عن مودة ... ولكن بحد المشرفي استقالها[6]

---

(1) يعني أن هذا الشطر من بيت أبي هذيل الذي ذكره ابن زيدون معطوف على قوله: وإني لأتجلد

(2) عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن درهم: **نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار**، بيروت، دار العباد، ص158.

(3) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، كلل.

(4) الخرائطي: **هواتف الجنان**، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1421هـ - 2001م، ص 58.

(5) الصبان: **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ/ 1997م، ص 217/2.

(6) ديوان كثير عزة، مرجع سابق، ص 80، وفيه : عنوة مكان عفوة .

وقال رؤبة:

والحـرب عسـراء اللقاح المغزى   بالمشـرفيـات وطعـن وخزا[1]

وقال امرؤ القيس :

أيقتلني والمشـرفي مضاجعي؟   ومسنونة زرق كأنياب أغوال[2]

وسمهريّ عرضه على النار مُثقّفه: أي وما أنا إلا كالسمهري وضعه مُثقِفُه على النار؛ ليقيم معوجه لا لإتلافه، وتثقيف الرمح تسويته وإقامته، قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

إذا عض الثقاف بها اشمأزت   وولـتـه عشـوزنـة زبـونـا

عشـوزنة إذا انقلبت أرنـت   نشـج قفا المثقف والجبينا[3]

الثقاف من آلات المثقف: حديدة يُقوِّم بها الرمح، والضمير في (بها) للقناة في البيت قبله المستعار للعز[4]، والعشوزنة الصلبة الشديدة، والزبون الدفوع، والمثقف بصيغة اسم الفاعل، يقول: إن عِزنا كقناة صلبة إذا أخذها المثقِف بحديدته - آلته التي تسمى الثقاف - نفرت منه، وولته منها صلبة شديدة ، وصوتت وشجت قفاه وجبينه، والسمهري الرمح الصلب نسبة إلى سمهر رجل كانت له زوجة تسمى رُدينة بالتصغير، كانا يثقفان الرماح، أو كانا يبيعانها بالخِط بكسر الخاء المعجمة اسم موضع تُنسب إليه الرماح، فتجدهم تارة يقولون: الرديني، وتارة الخِطي، وتارة السمهري، ويقال للرماح: السمر، والواحد أسمر، وللسيوف: البيض، والواحد أبيض[5].

(1) انظر: **ديوان رؤبة بن العجاج**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، الكويت، دار قتيبة للطباعة والنشر، ص64، وورد البيت في الديوان على هذا النحو:

إذا الأمور أولعتْ بالشخز   والحربُ عسراء اللقاح المغزى

(2) **ديوان امرئ القيس**: اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ط 4، 2008م، ص 137.

(3) **ديوان عمرو بن كلثوم**: حققه وجمعه وشرحه: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1991م، ص79-80، ،فيه : وولتهم مكان : وولته.

(4) يقصد قول عمرو: **فإن قناتنا يا عمرو أعيت   على الأعداء قبلك أن تلينا**

انظر الديوان، المرجع السابق، ص 79.

(5) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، (ردن).

وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

فقسا ليزجروا ومن يك حازماً   فليقسُ أحياناً على من يرحم[1]

أي أو عبد إلخ، وهذا البيت لأبي تمام الطائي، فإن الإنسان قد يُرِي عبده القسوة في معاملاته لا بقصد أذيته وهلاكه، بل بقصد زجره عن القبائح، وهذا من الحزم، فإنه ينبغي للعاقل أن يعامل من يستحق الرحمة أحياناً بالقسوة بقصد تأديبه لا بقصد إهانته.

هذا العَتَب محمودٌ عواقبه: سمى العقاب الواقع عليه منه عتاباً؛ ليُرى أنه غير ضجر منه بالمرة، ثم أدَّعى أن عاقبة هذا العتب المتوقعة بعده محمودة، أخذ ذلك من قول المتنبي:

لعل عتبك محمودٌ عواقبه   وربما صحت الأجسام بالعلل[2]

لكن المتنبي وقف موقف المترجي، وابن زيدون قطع به، وكل ذلك من باب:

أُعلل النفس بالآمال أرقبها   ما أضيق العيش لولا فُسحة الأمل[3]

بل ذلك من ابن زيدون لقصد الاستعطاف ببيان أنه لم يقطع اليأس من نواله وعطفه، فهو على ذلك السباق، وكان الظاهر محمودة بالتأنيث، لكنه نظر إلى البيت وهو مؤنث مجازي، والإسناد إلى ظاهر لا مضمر، قال ابن مالك في الألفية:

وإنما تلزم فعل مضمر   متصل أو مفهم ذات حر[4]

وهذه النَّبوة غَمرَةٌ ثم تنجلي: تضمين للمثل السائر «**غمرات ثم ينجلين**»[5] يضرب في تحمل الأمور العظام، والغمرة الشدة تغمر الواقع فيها، أي تعمه قهراً فلا يجد لنفسه متنفساً، والنَّبْوة الجفوة والتباعد، ونبا السيف نبواً كلَّ؛ لأن معناه

---

(1) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ص 291/7.

(2) ديوان المتنبي ، مرجع سابق، ص 339.

(3) العبكري: لامية العجم، مرجع سابق، ص 227.

(4) ابن مالك: **ألفية ابن مالك**، القاهرة ، دار التعاون، ص 25.

(5) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 58/2.

تجافى وتباعد عن الضريبة، وفي الأمثال «**لكل سيف نبوة ،ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة**» [1]، وفي (الخلاصة) [2]: وفعَلة لمرة كجَلسة بفتح الفاء، والكبوة العثرة، والهفوة الزلة.

وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعَ: النكبة ما يصيب الإنسان من حوادث دهره، من نكبت الحجارة قدمه أصابتها، أو من نكبه على الأرض طرحه، والأولى من نكبه الدهر ينكبه نكباً، بلغ منه فهو منكوب[3]، وسحابة صيف.. إلخ مثل يُضرب في الشيء ينفض بسرعة[4]، ويضارعه لفظاً سحابة نوء ماؤه حميم[5]، يُضرب لمن لسانه لطيف ومنظره جميل وليس وراءه خير، أما النكباء بالمد فهي الريح بين ريحين، فإن الرياح أربع: الصبا، والدَبور، والشمال، والجنوب، ونكباواتها أربع: نكباء الصبا والجنوب وهي الأزيب، ونكباء الصبا والشمال وهي الصابية ، وقد يقال لها نُكيباء بتصغير التعظيم ؛لأنهم يستبردونها، ونكباء الشمال والدبور وهي **جِربياء** بكسر الجيم، ونكباء الجنوب والدبور وهي الهَيْف بفتح فسكون ، وهذه تناوح أي تُقابل النكيباء، و**الجِربياء** تناوح الأزيب[6]، وأنشد ذو الرُّمة بلال بن أبي بُردة يمدحه:

سمعت الناسُ ينتجعون غيثاً	**فقلت لصيدح انتجعي بلالاً**
تناخى عند خير فتى يمانٍ	**إذا النكباء ناوحت الشمالا**[7]

(1) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 308/1.

(2) ابن مالك: **الخلاصة النحوية**، مطبعة بومبي، 1916م، ص 63. يتكلم ابن مالك عن صياغة اسم المرة واسم الهيئة والبيت بتمامه: وفَعلة لمرة كجلسة وفِعلة لهيئة كجلسة.

(3) الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (نكب).

(4) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 344/1.

(5) السابق، ص 331/1.

(6) انظر: - المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 46/3.
- الأصفهاني: **الأزمنة والأمكنة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ، ص 162.

(7) انظر: **ديوان ذي الرمة**، شرح: أحمد بن حاتم الباهلي، رواية: أبي العباس ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبي صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط 1، 1982م ، ص 1535.

الناس بالرفع مبتدأ، وجملة ينتجعون غيثاً خبره، والمراد حكاية هذه الجملة أي سمعت قائلاً يقول: الناسُ... إلخ، وصيدح اسم ناقته ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث فهو مجرور بالفتحة، وبلال هذا حفيد أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - لأنه بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى، كان قاضي البصرة وأميرها، وكان يقال: إنه أول من أظهر الجور من القضاة، وكان يقول: إن الرجلين ليتقدمان إليَّ فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له، وكان رحمه الله لقناً أديباً، يقال: أن ذا الرُمة لما أنشده البيتين قال: ياغلام، مر لناقته بقت ونوى، أراد أنه لا يحسن المدح، لكنه أفحمه الفرزدق يوماً، دخل عليه وهو أمير البصرة وعنده أصحابه، فنقصوا تميماً نكايةً بالفرزدق ورفعوا اليمن، ورأى الفرزدق ابتهاجه لذلك وهو تميمي، فقال: لو لم يكن لليمنِ إلا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول - صلى الله عليه وسلم - لكفاهم فخراً. فقال بلال: إن فضائله كثيرة أيها أردت؟ فقال: حجامته، فقال: صدقت قد فعل ذلك، ولم يكن فعله بأحد قبله، ولا فعله بأحد بعده، فقال له الفرزدق: الشيخ أتقى لله من أن يُقدم على نبيه من غير حذق فيُجرِّب عليه، فأمسك بلال، وعجب الناس من حذق الفرزدق في هذا التعريض. ويروى أنه وفد على عمر بن عبدالعزيز فقام ليلة عند سارية من سواري المسجد بحيث يراه، وأطال الصلاة، فقال عمر لمن كان معه، وهو العلاء بن المغيرة بن البندار: إن يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل العراق غير مدافع، فقال: أنا آتيك بخبره، فأتاه وهو يصلي بين العشاءين، فقال: اشفع صلاتك فإن لي إليك حاجة، ففعل، فقال: تعلم حالي مع أمير المؤمنين، فإن أنا أشرت بك لولاية العراق فما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة وهي عشرون ألف ألف درهم، قال: فاكتب لي، فأربد أي أسرع إلى منزله، وأتى بدواة وكتب له بذلك، فأتى بها عمر، فكتب إلى والي الكوفة عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، أن بلالاً غرَّنا فكدنا نغترَّ، فسبكناه فوجدناه زيفاً، فلا تستعن به على عملك، وزاد بعضهم ولا بأحد من آل أبي موسى[1]. قال الحقير[2]: وأرى أن

(1) المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص 41/2.

(2) اللبني هنا يقصد نفسه.

هـذه الحكاية مكذوبة عليه يأباها ماعُرف من حزمه وتنبُّهه، إذ كيف يُعقل أن يكتب مثله ذلك بمجرد ما ذُكر، فلينتبه، ومدحه يحيى بن نوفل الحميري فقال[1]:

ولـو كـنـت ممـتـدحـا للـنـوا ل فتـى لامـتـدحـت عليـه بـلالا
ولـكـنـنـي لـسـت مـمـن يـريـد بمـدح الـرجـال الـكـرام الـنـوالا
سيكفـي الـكـريـم أخـاه الـكـريـم ويـقـنـع بـالـود منـه نـوالا

ولن يَرِيبَني من سيدي أن أبطأ سيبه: السيب العطاء، ويريب بفتح الياء وضمها من راب أو أراب، وقد روي «**دع مايريبك إلى ما لا يريبك**»[2] بالوجهين، أي اترك الأمر الذي فيه شك وتجاوزه إلى الذي لاشك فيه ، ومن اللطائف ما في وصية أبي بكر لعمر - رضي الله تعالى عنهما - عليك بالرائب من الأمور وإياك والرائب منها، الأول من راب اللبن يروب واوي العين، والثاني من راب يريب يائيُّها[3] معناه عليك بالذي لا شك فيه كاللبن الرائب الصافي، واترك الذي فيه شبهة وكدورة، وإنّ من : (**أنْ أبطأ**) بفتح الهمزة مصدرية أي [لا][4] يشككني في سيدي إبطاء عطائه عني .

أو تأخَّر عطف على أبطأ، ***غير ضنين غناؤه***، الغَناء بفتح الغين والمد النفع، وغَيرَ بالنصب على الحال منه ، وفيه نوع بديعي يسمى الاحتراس، وهو أن يأتي الفصيح في كلامه بما يدفع مايوهم خلاف المراد[5]، وهنا دفع إيهام أنه بخيل الناشيء عن تأخير الغناء كما قيل في قوله:

فسقى ديـارك غيـر مفسـدهـا صـوب الـربيـع وديمـة تهمي[6]

(1) انظر: - المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 42/2.
- المزي: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1980م، وفيه: إخاء بدل أخاه.
(2) انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 53/3.
(3) أي عين الفعل ياء
(4) سقطت [لا] وأثبتناها إذ المعنى لايستقيم إلا بها
(5) القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ص 108/3.
(6) انظر: **ديوان طرفة بن العبد**، اعتنى به: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 2003م، ص 82، وفيه بلادك مكان ديارك، والغمام مكان الربيع.

فإنه لما دعا للديار بالمطر زاد في الدعاء أن لا يكون المطر المدعو به مُفسداً لها، إذ ربما يتوهمه السامع من الناس، أما المسؤول منه وهو الله سبحانه وتعالى فلا يتوهمه عاقل، ومن لطائف هذا النوع :دخل أعرابي على الرشيد وبيده عصا خيزرانة فقال: ما هذه يا أخا العرب؟ قال: كعوب الرماح، فتجافى عن لفظ خيزران؛ لأنه اسم أم الرشيد، ومنها أن شخصاً دخل على بعض الأكابر وبيده مساويك، فسأله عنها فقال: عيدان الأراك، فلم يقل مساويك وهو أخصر؛ لئلا يتوهم أن المراد عيوبك، ومن هذا القبيل كثير في كلام الأدباء[1]، ثم علل عدم شكه من سيده بما ذكر بقوله.

فأبطأ الدّلاء فيضاً أملؤها: فالفاء تعليلية، فاض الماء فيضاً كثُر حتى سال كالوادي، ومراده أن الدلو إذا كان أشد امتلاءً كان أبطأ خروجاً من البئر، فاستعمل الفيض في الخروج أو الارتفاع من البئر.

وأثقل السحائب مشياً أحفلها: الثقل ضد الخفة، والسحائب جمع سحابة، وأحفلها أجمعها ماءً، قال الراغب: الثقل والخفة متقابلان فكل ما يترجح على مايوزن به يقال هو ثقيل وأصله في الأجسام، ثم يقال في المعاني نحو: أثقله الغرم والوزر[2]، والثقيل من الناس من يكرهون صحبته، لجمود في طبعه، وجفاء فيه من أصل خلقته، فيثقل على أرواحهم، فيضجرون من عشرته، فيقال: أنت ثقيل على جلسائك ، وما أنت إلا ثقيل الظل بارد النسيم، ويقال: مجالسة الثقيل تضني الروح، وأنشدوا:

وثقيل قال: صفني ... قلت: مافيك أصف؟
كل مافيك ثقيل ... خل عني وانصرف[3]

---

(1) انظر: أبو منصور الثعالبيّ، **الكناية والتعريض**، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط 1، 1984م، ص 71.

(2) الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط 1، 1412هـ، ص 174/1.

(3) الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق (ثقل)، مع اختلاف يسير في الرواية.

وقال شخص للجاحظ: يقول الناس: إن لك أجوبة مسكتة، فإذا قال لي إنسان: يا ثقيل الروح يا ديوث ماذا أقول له؟ قال: قل له صدقت، ومن النادر استعماله في المدح نحو قوله :

تخف الأرض ما إن زلت عنها وتبقى مابقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر العز منها فتمنع جانبيها أن يميلا[1]

وهذا لا يعرف الآن حتى قال بعضهم في ذم الثقيل: كيف تحمل الأمانة أرض حملته؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد أن أقلته؟ وقال بعضهم لبشار بن برد بضم الباء الموحدة وسكون الراء: إن الله تعالى إذا أصاب إنساناً في كريمتيه، أي عينيه، عوضه عنهما شيئاً، فما عوضك فيهما؟ يريد تبكيته، قال: الطويل العريض، قال: ماهو؟ قال: أن لا أرى ثقيلاً مثلك، وللثقلاء - أعاذنا الله منهم - أخبار كثيرة طافحة بها كتب الحكايات، ثم إن ابن زيدون أخذ هاتين الفقرتين من قول المتنبي:

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهاما[2]

فإن الجهام السحاب الذي لا ماء فيه، أو الذي هرَّاق ماؤه.

وأنفع الحيا ما صادف جدباً: الحيا بالقصر المطر، أي أكثر المطر نفعاً ماكان وقت كون الأرض مجدبة، يريد أن سيده أخَّر إنقاذه لا لهوانه عليه، بل لتشتد حاجته وتلهفه فتصادف نعماؤه منه مكاناً فتكون أكثر نفعاً، لأن أنفع الحيا.. إلخ، أما الحياء بالمد فاسم من الاستحياء، قال الراغب: هو انقباض النفس عن القبائح[3]، وفعله حيي كرضي، ويقال استحى واستحيى بياء واحدة وبياءين، وهي لغة أهل

---

(1) انظر: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبدالساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 3، 1996م، ص71، ورواية الديوان:

تخف الأرض إن تفقدك يوما وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
لأنك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها أن يميلا

(2) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 167، وفيه : الجهام بالرفع.

(3) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 270/1.

الحجاز وبها جاء التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾[1]، وفي الحديث: «**الحياء شعبة من الايمان**»[2]، قال ابن الأثير: وإنما كان كذلك لأن الايمان ائتمار بما أمر الله وانتهاء عما نهى، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الايمان، ولذا ورد: «**إذا لم تستح فاصنع ماشئت**» لفظه أمر ومعناه توبيخ وتهديد[3]، وله معنى آخر قرره السيوطي في (عقود الجمان): إذا لم يكن ثَمَّ ما تستحي منه فاصنع ما شئت[4]، وهو بعيد.

تنبيه: جاء هذا الحديث على غير لغة أهل الحجاز، وإلا فحقه إذا لم تستحي بحاء ساكنة وياء مكسورة، وحذفت الياء الثانية للجازم، أما على اللغة التي جاء بها فهو بياء واحدة حُذفت للجازم والكسرة دليل عليها - والله أعلم - وأنفع بالفاء ويُحتمل أن يكون أنقع بالقاف تسكين الماء للعطش، وفي المثل: «**الجرع أروى والرشيف أنقع**»[5]، أي أن الشرب جرعاً أي بلعاً للماء أسرع، وأما الشرب رشفاً فهو أقطع للعطش وإن كان يبطئ، يضرب هذا المثل لمن يقع في غنيمة يؤمر بالمبادرة واقتطاع ما قدر عليه؛ لئلا يأتيه من ينازعه، وقيل يضرب في الأمر بالاقتصاد في المعيشة، فإنه أولى من الإسراف وأدعى إلى استبقائها، واسم ناقع أي ثابت.

وألذ الشراب ما أصاب غليلاً: الغليل العطش أو شدته أو حرارته أو حرارة الجوف، كالغَل والغَلَة والغَلَل بفتحتين، وهو أخذه من قول الشاعر:

هذا الشراب هو الحياة وما له … من لذة حتى يصيب غليلاً[6]

---

(1) سورة البقرة: الآية (26).

(2) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ص 11/1.

(3) ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث**، ص 470/1.

(4) يقصد السيوطي الإباحة، انظر: السيوطي، **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، وبهامشه: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري، بيروت، دار الفكر، ص 55.

(5) الميداني: **مجمع الأمثال**، مرجع سابق، ص 167/1.

(6) القيرواني: **زهر الآداب وثمر الألباب**، بيروت، دار الجيل، ص 144/1.

ومع اليوم غد: هذا مأخوذ من المثل «**إن مع اليوم غداً**»[1] يضرب في تنقل الدول على مر الأيام وكرِّها، فيمكن أنه أراد مع التسلية تذكير مولاه بالعاقبة في لطف، وكذا يقال في: ﴿***لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ***﴾[2]، أي لكل شيء مدة وغاية ينتهي إليه، وينقضي بانقضائها .

تخف الأرض ما إن زلت عنها وتبقى مابقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر العز منها فتمنع جانبيها أن يميلا[1]

له الحمد على اهتباله، ولا عتب عليه في اغتفاله: الاهتبال له معان أحسن مايراد منها هنا الاغتنام مع التحيُّن، ومنه الحديث: «**من اهتبل جوعة مؤمن كان له كيت وكيت**»[3] أي تحينها فاغتنمها، ولا عتب عليه في اغتفاله، أي تغافله عني وتركه إيّاي، مع كوني على ذكرٍ منه، والمعنى بهاتين الفقرتين الثناء على سيده فيما كان منه عليه في اغتنام فرص إسداء المعروف عليه وتوقع أوقات حاجاته، فهو يقول: أنا أحمده وأثني عليه بما كان منه في حقي ، ولا أعتب عليه في هذا الحال من التغافل عني، وعلل ذلك بقوله متمثلاً بقول أبي الطيب:

فإن يكن الفعل قد ساء واحداً فأفعاله اللائي سررن ألوف[4]

أي أن هذه السيئة التي وقعت منه عليَّ واحدة لا يحق لي أن أستاء بها ؛لأن أفعاله التي جلبت لي المسرات ألوف تتلاشى بجانبها هذه السيئة الواحدة ، وقد اختلفت منازع الناس في العتب ، فمن مستقص يقول العتاب صابون القلوب وإليه مال من قال:

يقولون: إن العتب باب إلى القلا فقلت: وترك العتب باب من الحقد[5]

(1) الميداني: مجمع **الأمثال**، مرجع سابق، ص 30/1.

(2) سورة الرعد: الآية (38)، وفي المخطوطة : ولكل، والواو زائدة ، وقد أورد ابن زيدون **الآية الكريمة في رسالته**.

(3) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، ص 239/5.

(4) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 255.

(5) البيت للشيخ فتح الله بن محمود الحلبي ت 1402هـ، انظر: علي بن أحمد بن محمد معصوم، **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، مرجع سابق، ص 329، وفيه إلى الحقد بدلاً: من الحقد.

ومن متجاوز يتمثَّل كثرة العتاب تُوجب البغضاء، والحق التوسط والقصد في كل الأحوال، ثم الأخذ بقول من قال:

إذا عاتبتني في كل ذنب ... فما فضل الكريم على اللئيم[1]

وقال بشار بن برد من بائيته المشهورة:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه ... يقارف ذنباً تارة ويجانبه[2]

وقال آخر:

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهداً كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[3]

وقال الحريري في المقامات:

وأعلم بأنك إن أرد ... ت مهذباً رمت الشطط[4]

وللنابغة:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب؟[5]

أي أنك إذا لم تلم أخاك وترضَ به على شعثه، أي مع ما فيه من عيوب فإنك لا تبقي لنفسك أخا؛ لأنه لا يوجد إنسان بريء من المساوئ، وأرسل لذلك مثلاً قوله: أي **الرجال المهذب؟**[6]، وهو استفهام إنكاري، أي لا يوجد رجل مهذب، أي متخل عن جميع النقائض، وقال زهير بن أبي سُلمى بضم السين:

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرةٍ ... يضرّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم[7]

---

(1) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1404هـ، ص 1/69.

(2) **ديوان بشار بن برد**، إعداد: هاشم مناع، بيروت، دار الفكر العربي، ط 1، 1994م، ص 51، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

(3) البيتان لمحمد بن حمير الهمذاني، انظر: ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، مرجع سابق، ص 5/190، وفيه: يبقي مكان: يسلم.

(4) أبو محمد القاسم بن علي الحريري: **مقامات الحريري**، مرجع سابق، ص 230، وفيه طلبت مكان: أردت.

(5) **ديوان النابغة الذبياني**، مرجع سابق، ص 28.

(6) الميداني: **مجمع الأمثال**، مرجع سابق، ص 1/23.

(7) انظر: **ديوان زهير بن أبي سلمى**: شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1988م، ص 110.

المنسم: خف البعير، وقال منها :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم[1]

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لم يتّق الشّتم يشتم[2]

وهي من غُرر القصائد لاجرم كانت إحدى المعلقات، وكان سيدنا عمر كثيراً ما يقول: من ينشدنا: ومن ومن، فإن فيها نحو ثمانية[3] أبيات مُصدَّرة بـ (ومن)، ويعجبني منها قوله:

وكائن تَرَى من صامت لك مُعْجِب ... زيادتُه أو نَقْصُه في التكلُّم

لسانُ الفَتى نصْف ونصف فُؤاده ... فلم يَبْق إلاّ صورةُ اللحْم والدَّم[4]

كائن هي كأي بمعنى كم التكثيرية ، تمثَّل بهذين البيتين الأحنف إذ جالسه رجل مدة لم يتكلم فقال: تكلم نسمع ،فقال:هل تقدر أن تمشي على هذا الحائط ،فقال: عمك قد هرِم وأنشدهما[5].

ذُكِّرت بالمشي على الحائط حكاية وهي أن قتيبة بن مسلم الباهلي لما فتح سمرقند وأفضى إليه من الرياش والأثاث ما لم يُر مثله أراد أن يعرف القوم مقدار مافتح الله عليه، فأمر بدار فُرشت ووضع في صحنها قدوراً تُرقى بالسلالم، وإذا الحضين، بالضاد المعجمة، ابن المنذر أقبل وهو شيخ هرِم، كان بيده لواء علي - كرم الله وجهه - على ربيعة يوم صفين، وله قال من قال:

لمن راية سوداء يخفق ظلها ... إذا [قيل][6] قدمها حضين تقدما[7]

---

(1) السابق، ص 111.

(2) السابق، ص 110.

(3) في المخطوطة: ثمان، والصواب ما أثبت .

(4) السابق، ص 111، 112.

(5) انظر: - ابن الجوزي: **أخبار الحمقى والمغفلين**، شرحه: عبدالأمير مهنا، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1990م، ص 155.
- ابن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ص 1217/3.

(6) زيادة من الديوان.

(7) انظر: **ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب**، جمع وترتيب: عبدالعزيز الكرم، ط1، 1988م (د.ن)، ص17، وفي الديوان: لنا الراية الحمراء، بدل : لمن راية سوداء

فرآه عبدالله بن مسلم، أخو قتيبة، وكان سخيفاً، وسبق منه أن تسوَّر حائطاً على امرأة وافتضح، فأراد أن يطارح الحضين بالكلام ومنعه قتيبة، وقال: إنه خبيث الجواب فأبى، وقال للحضين: أمن الباب دخلت أبا ساسان، فقال: أجل، أسن عمك عن تسوُّر الحيطان؟ يُعرِّض به، واستمر يطارحه ويستظهر عليه إلى أن غضب عبدالله فقال: والله لقد علمت أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حُبلى من غيره، فقال الحضين مع كمال التؤدة: وماذا يكون؟ تلد غلاماً فيقال: فلان ابن الحضين، كما يقال: عبدالله ابن مسلم! **فتلافا** قتيبة المجلس، وكان حازماً - رحمة الله عليه -[1].

وأعود: أي أرجع، فانتقل عن الأسلوب المبني على الصبر والتسلي إلى أسلوب آخر مبني عن بقايا العتب، ***فأقول: ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك؟*** أي أن عفوك عظيم واسع، فماذا يكون ذنبي بجنبه على فرض وقوعه وعظمه؟ولِمَ لم يسعه عفوك المعروف المشهور؟ ***والجهل***: أي وما هذا الجهل الذي وقع مني في حَقك فعظُم عندك؟ حتى إنه، ***الذي لم يأت من ورائه بعده حلمك*** فيمحوه، والإضافة للعهد[2] أي حلمك المشهور المعهود، والحلم الأناة وضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، والحلم أيضاً العقل ومنه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا﴾[3]، وفي الحديث: «**ليلني منكم ذوو الأحلام والنهى**»[4] أي ذوو العقول، وقال الشاعر:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه[5]

ويروى أحلامهم أي عقولهم، ومعنى البيت: إن هؤلاء الممدوحين لهم أحلام نيِّرة ووجوه مضيئة يُستنار بها في الليل بحيث ينظم فيه الجذع من ثقبه، وهذا مبالغة في وصف أحسابهم أو أحلامهم بالاستنارة ووجوهم بالإضاءة، إذ شبهها

---

(1) انظر القصة في: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 12/3.

(2) أي: حلمك المعهود، والإضافة فيه للعهد.

(3) سورة الطور: الآية (32).

(4) البيهقي: السنن الكبرى، مرجع سابق، ص 137/3.

(5) البيت لأبي الطمحان العتيني، انظر: ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، القاهرة، دار الحديث، 1423هـ، ص 376/1.

بالقمر مثلاً وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإضاءة، ثم رشَّح ذلك بزيادة دعوى أن تلك الإضاءة شديدة بحيث ينظم فيها الإنسان الجذع.

فائدة: ينبغي للعاقل أن يستعمل مع الحلم أحياناً بعض الشدة، فيكون كما قال الشاعر[1]:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا[2]

ويصح هنا إرادة كل من معنيَّ الحلم والثاني أنسب.

والتطاول: تطاول واستطال امتد وارتفع لينظر إلى شيء، وتطاول أيضاً رفع رأسه ورأى أن له فضلاً على آخر في القدر وهو مذموم[3]؛ لأنه يستعمل موضع التكبُّر أي أو حصل مني تطاول في ملازمتي، أعاتبك ***فما هو هذا التطاول الذي لم يستغرق***، أي يشمله فيغطيه فيعدمه؟ ***تطوُّلك***، أي تفضُّلك وكرمك، ومن نوع القول بالموجب من الأنواع البديعية[4] قوله:

قلت: ثقلت إذا أتيت مراراً قال: ثقلت كاهلي بالأيادي

قلت: طولت قال: لا بل تطولـ ـت وأبرمت قال: حبل ودادي[5]

والتحامل، أي أو حصل مني تحامل في صحبتك وخدمت ؟ أي ارتكبت ما لا ترضاه؟ فما هو هذا التحامل الذي لم يفِ به احتمالك؟ التحامل يأتي لمعانٍ منها:

(1) لم يكتف اللبني بشرح أجزاء الرسالة بل لجأ أحياناً إلى شرح بعض الأبيات وتحليلها.

(2) **ديوان النابغة الجعدي**، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، بيروت، دار صادر، ط1، 1998م، ص 85، وفيه: تكن، مكان: يكن.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، (طول).

(4) القول بالموجب: ومنه القول بالموجب وهو ضربان: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم ، والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقة، انظر : عبد المتعال الصعيدي: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، ط 17، 2005م، ص 633/4.

(5) البيتان لابن الحجاج، انظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ص 259/1.

تحامل عليه: مال وألقى عليه ثقله، وتحامل في الأمر: تكلَّف على مشقة وإعياء، وهما لا يأتيان هنا، وتحامل عليه كلَّفه ما لا يطيق، وهذا يمكن أن يُراد هنا مجرداً في مطلق التكليف وهو الذي أشرنا إليه، فالمعنى أو أ كلفتك أمراً لم ترضه؟ فماهو هذا الأمر ***الذي لم يفِ به احتمالك*** وأنت صاحب السلطان والمقدرة؟ وقد أحسن ما شاء الله في مراعاة النظير في التطاول والتطوُّل ، والتحامل والاحتمال[1].

ولا أخلو من أن أكونَ بريئاً فأين عدلك؟ أو مسيئاً فأين فضلك؟ : أي أنا فيما نسب إليَّ عندك، ورُميت به بين أمرين لا ثالث لهما: أما أن أكون بريئاً فأين عدلك المأثور عنك وتثبُّتك في الأمور وعدم المؤاخذة بها من أول وهلة؟ أو أكون مسيئاً وما نُسب إليَّ صحيح واقع فأين فضلك؟ لمَ لم تعاملني به وأنا ممن شملته عواطفك؟ وأراد بهذا الاستفهام إلزامه بالصفحَ عنه على طريق الاحتجاج بالأدلة مع الإدلال على تصغير ذنبه بجنب عفو مولاه الكبير، واستشهد لذلك ببيتين[2] الأول للبحتري وهو:

إلا يكن ذنب فعدلك واسع وكان لي ذنب ففضلك أوسع[3]

والثاني وهو :

فهبني مسيئاً كالذي قلت طالباً قصاصاً، فأين الأخذ يا عز بالفضل[4]

مأخوذ من قول كثير عزة وتغيير له بما يقتضيه المقام، وهو :

هبيني ظلوماً نلته بمساءة قصاصاً فأين الأخذ يا عز بالفضل؟![5]

---

(1) مراعاة النظير وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص 583/4.

(2) لم يرد في نص الرسالة عند الصفدي استشهاد ابن زيدون ببيتين، بل فقط بيت واحد، انظر: الصفدي: **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1969م، ص 103.

(3) ديوان البحتري، مرجع سابق، ص 1313.

(4) إذا ثبت استشهاد ابن زيدون بهذا البيت ، فإن كل شطر من هذا البيت لشاعرين مختلفين ، فالشطر الأول لأحد بني الأشتر قاله أمام الخليفة المنصور، انظر: المستطرف، أما الشطر الثاني فهو للحماسي، انظر: الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، مرجع سابق، ص 101.

(5) لم أجده في ديوان كثير في النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق.

ويضارع هذا الاستعطاف لكنه نجح[1]، قصة إبراهيم ابن المهدي ابن المنصور العباسي، خرج على ابن أخيه المأمون بن هارون الرشيد ابن المهدي وبايعه كل العباسيين وسائر الناس بالخلافة وأطاعوه، والمأمون يومئذ بخراسان في بعض المهام، فبلغه الخبر فرجع إلى بغداد وتلافى الأمور التي كانت السبب في نقض العباسيين بيعته، فاستقام له الأمر، فاختفى إبراهيم فتُطلب حتى ظفر به في قصة طويلة ، فحبسه ثم أدخله عليه فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: لا سلَّم الله عليك ولا قرَّب دارك، استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بما تنقطع دونه الأوهام، فقال له إبراهيم: مهلاً ، يا أمير المؤمنين، فإن ولي الثأر مُحكَّم في القصاص والعفو، والعفو أقرب للتقوى، ولك من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شرف القرابة وعدل السياسة، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء، فأمن عادية الدهر على نفسه هجمت به الأيام على التلف، وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك، فإن أخذت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك، والفضل بك أولى يا أمير المؤمنين وقال:

ذنبي إليك عظيم	وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا	فاصفح بعفوك عنه
إن لم أكن في فعالي	من الكِرام فكنه[2]

فلما سمع المأمون كلامه وشعره وظهرت الدموع في عينيه، قال: يا إبراهيم، القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وبينهما عفو الله وهو أعظم مما يحاول، وأكثر مما يؤمل، ولقد حُبِّب إليَّ العفو حتى ظننت أن لا أوجر عليه، لا تثريب عليك، ورد أمواله عليه فقال مخاطباً له:

رددت مالي ولم تمنن عليَّ به	وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فإن جحدتك ما أوليت من كرم	إني لباللؤم أولى منك بالكرم[3]

(1) أي أن استعطاف ابن زيدون لم ينجح .

(2) أبو علي القالي: **الأمالي**، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبدالجواد الأصمعي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1926م، ص 199/1.

(3) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، مرجع سابق، ص 317/4.

وقد نسي إبراهيم هذا البيت الثاني، فإنه ذات يوم كان في مجلس المعتصم وفي خنصره خاتم ثمين، فسأله العباس ابن المأمون عنه، فأجابه بقوله: هذا خاتم كنت رهنته أيام أبيك وخلَّصته زمن أمير المؤمنين - يعني المعتصم - فأجابه العباس: لله أبوه! لو لم يكن لأبي عليك منَّـه: إلا أنه عفا عنك وقد استوجبت القتل كان كافياً[1]. وإبراهيم هذا ابن خليفة، المهدي، وأخو خليفتين الهادي والرشيد، لكن الرشيد عهد بالخلافة لابنه الأمين ثم المأمون، فأخطات إبراهيم مع ما كان عليه من العكوف على آلات اللهو، قال ابن خلدون: عتبت مرة على أحد أبناء الملوك في تعاطيه آلات اللهو والطرب، فقال: ليس في ذلك لوم، ألا ترى إلى إبراهيم ابن المهدي، فإنه كان من المجيدين في ضرب العود! فقلت: ألا ترى كيف قعد به ذلك عن الخلافة[2]! وبالجملة فإن هذه البلوى عامة في جميع أبناء الأمراء والذوات، فإنه يصل الترف والبذخ إلى حضور مجالس الطرب، ثم تتدرج بهم الحالة إلى إدمان ذلك، وتنازع بعضهم نفسه حتى يضحي مشتغلاً بها ليلاً ونهاراً، وينسون ما أحكم به آباؤهم قواعد المجد من اعتزال سفاسف الأمور والتحلي بالمناقب العالية، والله الهادي لأقوم طريق.

حنانيك: تثنية حنان وهو منصوب بفعل محذوف، أي أطلب حنانك أي تحننك ورحمتك مرة بعد أخرى، فليس المراد بالتثنية حقيقتها؛ بل التكرار على حد ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾[3] أي كرة بعد كرة، وكما قيل في: لبيك وسعديك، ولا يستعمل هذا المثنى إلا مضافاً إلى كاف الخطاب، ولم يُسمع في غيره[4]، وقال طرفه حين أمر النعمان بقتله في قصة:

أبـا منـذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض[5]

(1) أبو الفرج الجوزي: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م، ص 215/10.

(2) ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1408هـ - 1988م، ص 27.

(3) سورة الملك: الآية (4)، ورد في المخطوطة : فارجع البصر....، والصواب: ثم ارجع....، ويجب التنبيه هنا على أمر مهم، وهو أن المؤلف قد أخطأ في بعض الآيات ولا ندري السبب هل في قلة حفظه أم من باب السهو في الكتابة؟

(4) انظر: ذكر معنى لبيك وسعديك في: سيبويه: **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، 1988م ، ص 253/1.

(5) ديوان طرفة بن العبد، مرجع سابق، ص 61.

قد بلغ السيل الزُّبى[1]، الزُّبى جميع[2] زُبية بالزاي المعجمة ، وهي حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وتكون في الروابي العالية، فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً، ولذا كان هذا المثل يُضرب في مجاوزة الأمر حده، وقد يغلط بعض الناس ويقول: بلغ السيل الرُبى بالراء، فإنه خلاف رواية المثل وإن كان المعنى صحيحاً أيضاً، فإن الرُبى جمع ربوة وهي الموضع المرتفع، رُوي أن معاذ بن جبل أتي إليه بثلاثة نفر قتلهم أسد في زُبية، فلم يدر كيف يفتيهم وسأل علياً - كرم الله وجهه - وهو محتب[3] بفناء الكعبة، فقال: قصوا علي خبركم، فقالوا: أصدنا أسداً في زُبية، فاجتمعنا وتدافع الناس عليها، فرموا فيها رجلاً فتعلّق بآخر وهو تعلق بثالث، فهووا فيها ثلاثتهم، فقضى فيها - رضي الله عنه - للأول بربع الدية، وللثاني بنصفها، وللثالث بكلها، فأُخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك فقال: «**لقد أرشدك الله للحق**»[4].

أقول على تقدير صحة النقل يحتاج المقام إلى إيضاح فليتدبر[5]، وفي معنى هذا المثل «**بلغ السكين الحنجرة**»[6]، «**وبلغ منه المخنق**»[7]، «**وبلغ الدماء الثنن**»[8]، «**وجاوز الحزام الطُّبْيَيْنِ**»[9] تثنية طُبْي كظبي، وهو لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، والحزام إذا بلغ الثدي فقد جاوز حده فكيف إذا تجاوزه، رويَّ أنه كتب عثمان إلى علي - كرم الله وجهه ورضي عنهما - أما بعد: فإن السيل

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 166/1.
(2) يقصد : جمع، وكلاهما مستخدم.
(3) أي جالس، انظر: الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، مرجع سابق ، (حبو).
(4) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 91/1.
(5) دأب اللبني على نقد الروايات خاصة إذا تعلق الأمر بالحديث
(6) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 96/1، وفيه : بلغ السكين العظم.
(7) أي الحنجرة ، الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 69/1، وفيه العظم بدل الحنجرة.
(8) يعنى ثن الخيل وهي شعيرات فوق الرسغ، أي كثرت الدماء حتى خاضت فيها الدواب، انظر: الزمخشري: **المستقصي في أمثال العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987م، ص 13/2.
(9) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 166/1.

بلغ الزُبى، وجاوز الحزام الطبيين، وتجاوز الأمر بي قدره، وطمع فيَّ من لا يدفع عن نفسه[1]:

وإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب[2]

ورأيت القوم لا يقصرون دون دمي :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أُمزق[3]

وحدَّث قنبر[4] قال: نادى عثمان علياً يوماً فخلى به وأنا بناحية عنهما ، فجعل يكلمه وعلي ساكت لا يرد جواباً، فقال: ما لك لا تجيبني! قال: إن تكلمت أحفظتك وليس لك عندي إلا الطاعة وما يرضيك[5]، كأنه - والله أعلم - أراد أنه لو تكلم لأشار عليه بإجابة الجند إلى مطلوبهم، تسكيتاً للفتنة، كتسليم مروان بن الحكم إليهم، وعزل بعض من أرادوا عزله من عماله.

ونالني ما حسبي به وكفى: أي وأصابني من المشقة التي أوهت جلدي، ماحسبي به أي شيء كافٍ هو فلا أتحمل غيره، فحسب بمعنى كافٍ مضاف إلى ياء المتكلم والباء في به زائدة، وكفى تأكيد لحسب، ونالني من النيل، يقال: نال ينال وينيل من باب ضرب وعلم، والأمر منه نَلْ بفتح النون لا من النول، والنوال بمعنى العطية فإنه نال ينول، ويقال فيه أيضاً: ينال حسبما يقتضيه الإعلال، والأمر منه نُلْ بضم النون، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾[6] إن كان من نلت أنال يائي العين فلا إشكال، وإن من نلت أنول واويها فنيلاً أصله نيْولاً بسكون الياء وكسر الواو، أُدغمت الواو في الياء ثم خُففت، كما قالوا في ميِّت بالتشديد وميْت، وعلم من

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 90/1.

(2) ديوان امرئ القيس، مرجع سابق ، ص 75.

(3) البيت للمزق العبدي، انظر: الأصمعي: الأصمعيات، مرجع سابق، ص 166.

(4) هو يغنم بْن سالم بْن قنبر مولى علي بْن أبي طالب ، روى أحاديث ، انظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مرجع سابق، ص 418/1.

(5) لم أستدل على هذا الخبر فيما لدي من المصادر.

(6) سورة التوبة: الآية (120).

هذا أن نال يُذكر في القاموس وما هو على قاعدته من كتب اللغة مرتين: مرة قيل: هائي العين كنهل وهو واوي العين ، ومرة بعده وهو يائيها، فافهمه وقس ما أشبهه كنوك ونيك[1]، ثم إن هذه الجملة تمهيد لما بعدها، ومعلَّقة به وهو قوله:

وما أراني إلا إلى آخرها... : فكأنَّه يقول: لأني ما أراني إلا... إلخ، قد فكَّرت في نفسي، وفي المصيبة التي حلَّت بي منك، فما وجدت لنفسي مثلاً إلا أني لوكنت ارتكبت جميع هذه الجرائم المسرودة والآثام المعدودة؛ لكان الذي نالني كافياً في عقوبتي، فأرى فعل مضارع من رأى العلمية والنون للوقاية والياء مفعوله الأول، والشرطية لو وشرطها وجوابها في محل نصب هي المفعول الثاني، ومجموع الذي عده ولمَّح إليه من الحوادث التاريخية التي اشتملت على تلك الجرائم أربع وعشرون، الأولى لإبليس والأخيرة والتي تليها للحجاج، فلذا يمكن أن تُعتبر ثلاثاً وعشرين بجعل الأخيرتين واحدة.

لو أُمرت بالسجود لآدم، فأبيت، واستكبرت: لو حرف شرط وأُمرت بالبناء للمجهول شرطها ومابعده عطف عليه، والجواب قوله: لكان فيما جرى... إلخ، وهذه إشارة إلى ذنب إبليس - لعنه الله - فإن الله أمره أن يسجد لآدم فأبى **﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**[2] و**﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**[3] فجعل نعمة الله عليه حجة له على الله في عدم امتثاله أمره، وهذا من سوء الأدب كما رُوي عن بعض الأفاضل لما اشتدت به الحاجة إلى قوت يومه خرج هائماً يتلمَّس من يُغدِّيه أو يُعشِّيه، فصادف حاكم تلك البلدة في صولة عظيمة يأمر وينهى، وهو من الجهل في أقصاه حتى إن بعض الفلاحين ذكر له عدم صلاح القطن تلك السنة؛ فقال: ازرعوا صوفاً، فحدَّثت ذلك الفاضل نفسه بما معناه: أنا الفاضل النبيه العاقل الكامل في هذه الحالة من الجوع والفاقة، وهذا الجاهل بهذه

(1) عياض السبتي: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاهرة ،المكتبة العتيقة ودار التراث، ص 32/2.
(2) سورة البقرة: الآية (34).
(3) سورة الأعراف: الآية (12).

الحالة من النعمة والأمر والنهي ، فنودي في سره لطفاً به: أتجعل نعمتنا عليك حجة لك علينا ؟ فهل ترضى أن نسلب منك ما منحناك ونعطيك ما أعطيناه ؟ وعند ذلك استغفر الله وأناب إليه ، فليعتبر ذلك صاحب الفضل والأدب ومن حلاه الله بحِلية المعارف إذا رأى الجهلة يتقلبون في النعيم، لا يغتبط بهم ولا يتمنى ماهم فيه ، فإن ما منحه الله تعالى من الآداب والعلوم أعلى وأغلى بكثير، وليرض بأن يكون ممن يذم له الزمان ، لا ممن يذم الزمان به وبالجملة:

لو كان بالحيل الغني لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي

لكن من رزق الحجا حُرم الغنى ... ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[1]

وقد ذكرت هنا بيتين للفاضل الشيخ محمد بن أحمد المنوفي المكي من أعيان القرن الحادي عشر، هما:

عَتبْتُ على دهري بأفعاله التي ... أضاقَ بها صدري وأضْنَى بها جسْمي

فقال: ألم تعلمْ بأن حَوادثي ... إذا أشْكلتْ رُدَّتْ لمن كان ذا عِلْمِ![2]

وهو يضارع من وجه قول الآخر:

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل ... وتأخير ذي لب فأبدت لي العذرا

بنو الجهل أبنائي وأما بنو النهى ... فإنهم أبناء ضرتي الأخرى[3]

وقد شطر بيتي المنوفي حفيده ابن معصوم صاحب (السلافة)[4] فقال:

عتبت على دهري بأفعاله التي ... براني بها بري السهام من الهم

ليصرف عني فادحات نوائب ... أضاق بها صدري وأضنى بها جسمي

---

(1) الأبيات للشافعي في ديوانه، مرجع سابق، ص 86، وفيه : بأجل أسباب، بدل : بنجوم أقطار.

(2) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 360/3، علي بن أحمد بن محمد معصوم، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، مرجع سابق، ص 74.

(3) ابن الخطيب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، مرجع سابق، ص 140.

(4) هو: علي بن أحمد بن محمد بن معصوم، الأديب الشاعر البليغ الحسيني المكي، مؤلف سلافة العصر في تراجم أدباء العصر، وله شعر كثير، وهو من شعراء النفخة، توفي سنة 1121هـ، انظر: بن الغزي: **ديوان الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1411هـ - 1990م، ص 277/4.

فقال : ألم تعلم بأن حوادثي ... وأخطارها اللاتي تلم بذى الفهم
يضيق بها ذو الجهل ذرعاً وإنما ... إذا أشكلت رُدَّتْ لمن كان ذا علم[1]

وشطرت أنا البيتين الآخرين فقلت[2]:

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل ... عريض قفا نذل وتخويله الصدرا
وترفيع ممقوت وإخمال فاضل ... وتأخير ذي لب فأبدت لي العذرا
بنو الجهل أبنائي وأما بنو النهى ... فبغضهم لي حط عندي لهم قدرا
ودأبي موالاة المحبين لا السوي ... فإنهم أبناء ضرتي الأخرى

ومن دعاء أم الإسكندر له: رزقك الله حظاً يخدمك به أولو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الحظوظ[3] ، فافهم تغنم. ولله در من قال:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما[4]

ومنها:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهِينوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما[5]

ومنها:

إذا قيل لهم هذا مطلب قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا مطلب صيرته لي سلما
ولو لم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما[6]

---

(1) علي بن أحمد بن محمد معصوم، **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر** ، مرجع سابق، ص 74.

(2) لأول مرة نجد للبني شعراً وقد أفاد في المقدمة أنه ترك الشعر ولم تكن هذه الأبيات لا تنم عن شاعرية قوية فهي تشطير.

(3) انظر: - الزمخشري: **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط 1، 1412هـ، ص 434/1.
- الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، مرجع سابق، ص 180.

(4) الأبيات للقاضي عبدالعزيز الجرجاني، انظر: ابن حجة الحموي: **القصة في ثمرات الأوراق**، مرجع سابق، ص154/2.

(5) السابق، ص 154/2.

(6) السابق، ص 154/2.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] فمن آتاه الله العلم، وحلاه بحلية الحكمة، ثم يتطلع لما بأيدي أهل الثراء، ويتمنى ما هم فيه؛ فيتملق لهم؛ فقد احتقر ما عظَّم الله ، فليتق الله وليتأس بمن قال :

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديـ ... ـب وفيضي آبار تكرور تبرا

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً ... وإذا مت لست أُعدم قبرا

عيشتي عيشة الفقير ونفسي ... نفس حر ترى المذلَّة كفرا[2]

فحبذا هذا المشْرَب ألهمنا الله رشدنا.

وقال لي نوح: اركب معنا. فقلت: سآوي إلى جَبَلٍ يعصمني من الماء: هذه الثانية، فإنه أشار إلى ذنب ابن سيدنا نوح - عليه السلام - لما خالف أباه، فإن قوم نوح لما عصوه وقدَّر الله تعالى أن يُؤخذوا بعذاب الاستئصال، وأمره بصنع الفلك ووعده بنجاته وأهله، وركبوا السفينة وامتنع ابنه، قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[3]، أي وقد وعدتني نجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[5] وهلك مع الهالكين.

لطيفة: روي أن الحجاج أتى هذه الآية فتوقف في عمل هل هو مصدر مرفوع خبر إن وغير بالرفع نعت له؟ أم هو فعل ماض مفتوح الآخر وغير بالنصب مفعوله؟ وطلب قارئاً فأتي به، وقد قام من مجلسه، فأودع الرجل الحبس ونُسي، ولم يكن له من يسأل عنه، فمكث ستة أشهر إلى أن جاء أوان استعراض المحبوسين وسؤالهم عن أسباب حبسهم، فأتى على ذلك القارئ وسأله: فيما حُبست؟ فقال: في ابن نوح إنه عمل غير صالح ، فاستغرق الحجاج في الضحك وأمر بإطلاقه[6]، ومن المعلوم أن التلاوة بالوجه الأول ولم يقرأ بالثاني أحد، والله أعلم.

---

(1) سورة البقرة: الآية (269).

(2) ديوان الشافعي، ص 53، وفيه : همتي همة الملوك، بدل : عيشتي عيشة الفقير.

(3) سورة هود: الآية (45).

(4) سورة هود: الآية (45).

(5) سورة هود: الآية (46).

(6) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 295/5.

وأُمرت ببناء صرح لعلّي أطّلع إلى إله موسى: هذا ذنب فرعون فإنه، عدا عن ادعائه الألوهية وكفره بخالقه، سوّلت له نفسه بناء صرح يصعد فيه ليرى خالقه - والعياذ بالله - فهذا غاية في الكفر، والصرح قيل: هو القصر، وقيل: كل بناء مرتفع عالٍ، وقيل: بيت واحد يُبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء[1]، ولعل هذا هو المراد هنا، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾[2] أي مطول أي مملس من زجاج، وقال بعض المفسرين: الصرح - هنا - بلاط اتُّخذ لبلقيس من قوارير[3]، وممن اتخذ له الصرح بخت نصَّر[4] الجبار الشهير، قرب بابل بالعراق.

وعكفت على العجل: العجل ولد البقر، وهذا ذنب بعض بني إسرائيل إذ عبدوا العجل وعكفوا عليه لما ذهب موسى لميقات ربه وأضلهم السامري، وهو علج من كرمان أو عظيم من عظماء بني إسرائيل اسمه، موسى ابن ظفر منسوب إلى موضع لهم أو قبيلة يقال لهم سامرة، وهي غير سامُرَّاء بضم الميم وتشديد الراء ممدودة التي هي سُر من رأى، وقصة السامري وما سولت له نفسه شهيرة[5]، ومن اللطائف أن رجلاً من اليهود قال لباب مدينة العلم[6] - كرم الله تعالى وجهه -: ما مضت ثلاثون سنة بعد نبييكم حتى اختلفتم قال: بل أنتم ما يبست أرجلكم من اليم حتى قلتم ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[7]، وقال له رجل مرة

(1) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (صرح).
(2) سورة النمل: الآية (44).
(3) انظر: - النيسابوري: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ، ص 372/3.
- الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (صرح).
(4) بختنصر ملك الفرس، وطئ الشام وفتح بيت المقدس، وسبى بني إسرائيل. قال المسعودي: والعامة تسميه «البخت ناصر»، انظر: المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1982م، ص 228/1.
(5) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 3، 1407هـ، ص 159/2-160، وقد أخطأ اللبني في اسمه فالصحيح موسى بن ظفر.
(6) لقب علي رضي الله عنه
(7) سورة الأعراف: الآية (138).

مُبكتاً: مابال الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر، واختلفوا عليك وعلى عثمان؟ فقال: أبو بكر وعمر، كنت أنا وعثمان وأمثالنا من رجالهم، وكنت أنت وأمثالك من رجالي ورجال عثمان[1].

واعتديت في السبت: السبت سابع أيام الأسبوع وأولها الأحد على المشهور، وكان بنو إسرائيل قد أُمِروا بترك الأعمال يوم السبت والسكون فيه ، وكانت لهم قرية عند البحر وكانت الحيتان يوم السبت تأتيهم شُرَّعا، أي رافعة رأسها على وجه الماء، وقيل: معنى شُرَّعا خافضة رأسها للشرب، فكانت تأتيهم بكثرة وهم ممنوعون من الاصطياد ولا تأتيهم في غيره، فاتخذوا حيضاناً عند البحر لها منافذ على الماء إذا دخلت الحيتان فيها يوم السبت سدوا منافذها وأخذوها يوم الأحد، حيلة دبروها أو دبرها لهم شياطنهم، فبعض رضي بها وعمل، وبعض أقرَّهم عليها بالسكوت، وبعض نهوا وهم الذين نجوا، والآخرون مُسخوا قردة، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ....**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[2] فهذه الفقرة إشارة إلى ذنب هؤلاء.

وتعاطيت فعقرت: إشارة إلى ذنب عاقر ناقة صالح وهو قدار بن سالف، فضُرب به المثل في الشؤم؛ لأن العذاب نزل بقومه بشؤم ذنبه، ويقال له: أحمر عاد، وقال بعضهم: هذا غلط وإنما هو أحمر ثمود[3]، وقيل إن العرب تسمي ثمود عاداً الأخرى، وقوم هود عاداً الأولى[4]، وتعاطى: قام على أطراف أصابع رجليه ورفع يديه، فعقر أي ضرب الناقة فأبان عرقوبها ثم نحرها.

---

(1) انظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين: **شرح العقيدة السفارينية**، الرياض، دار الوطن للنشر، ط 1، 1426هـ، ص 662.

(2) سورة الأعراف: الآية (163) إلى (166).

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 177/3.

(4) المقدسي: **البدء والتاريخ**، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ص 36/3.

وشربت من النهر الذي ابْتُلِيَ به جيش[1] طالوت: إن بني إسرائيل كانوا على جانب عظيم من الحق واتباع أوامر الله والمحافظة على حدوده ، وكان لهم ملوك منهم يدبرون أمورهم ويقودون جيوشهم، وأنبياء يرشدون الملوك ويبلغونهم أوامر الله تعالى، وكان لهم تابوت يتوارثونه - اختلف العلماء في المراد بالسكينة التي فيه والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون اختلافاً كثيراً - يحملونه معهم في حروبهم ويزحفون به، فلا يقوم لهم عدو؛ إلى أن تعدوا حدود الله تعالى بعد يوشع ابن نون فاضطرب أمرهم، واختلفت أحوالهم وسلّط الله عليهم أعداءهم[2] العماليق، وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان و ساحل البحرين ومصر وفلسطين؛ فظهروا عليهم، وغلبوهم على كثير مما بأيديهم، وسبوا كثيراً من ذراريهم، وأسروا أبناء ملوكهم ، وأخذوا توراتهم وتابوتهم، فبقوا أذلاء مستصغرين، إلى أن بعث الله فيهم شمويل النبي - عليه السلام - فسألوه أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه، فأتاهم بطالوت بأمر الله تعالى، ولم يكن من أسباط الملك ولا من أسباط النبوة، وقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾[3] الآية. ثم رضوا به لما رأوا الآية التي قصها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِه...﴾[4] وذلك أن الذين أخذوا التابوت جعلوه في الأردن وخبأوه عندهم فلم يفلحوا، وتوالت عليهم نكبات لم يعلموا أسبابها حتى أرشدتهم إلى ذلك امرأة بأن مادام هذا التابوت فيكم لن تزالوا كذلك، فردوه على أهله فاتوا بعجلة وعلقوا عليها ثورين وزجروهما فأقبلا يسيران به ووكّل الله تعالى الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[5] حتى أتوا به على قرية لبني إسرائيل ووضع التابوت فيها ورجع الثوران، فلم تدر بنو إسرائيل إلا والتابوت عندهم، فكبروا الله وحملوه واجتمعوا على طالوت، ولما فصل طالوت بالجنود من أرض بيت المقدس

---

(1) جيوش عند الصفدي

(2) في المخطوطة : أعداؤهم ، وهو خطأ والصواب ما أثبت.

(3) سورة البقرة: الآية (247).

(4) سورة البقرة: الآية (248).

(5) سورة البقرة: الآية (248).

وكان فيهم سيدنا داوود - عليه السلام - قبل بعثه، وكان شديد الأيد، أي القوة، وكان جالوت، ملك العماليق يومئذٍ، من أشد الناس، أيضاً، أيداً وأقواهم، يهزم الجيش وحده، فبرز جالوت وطلب من يبارزه، فامتنع الناس عن مبارزته، إلى أن برز له داوود، فقتله، وكان ما كان من انهزام العماليق، ورجوع مجد بني إسرائيل وانتظام أمرهم واستيثاق ملكهم، أما النهر فهو نهر الأردن، بين الأردن وفلسطين، عذب يقال له أدمى[1]، ابتلاهم الله به، أي اختبرهم ليظهر طاعتهم وهو تعالى أعلم بهم، فقال لهم طالوت بأمر شمويل: **﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾**[2]، أي ليس من أهل ديني وطاعتي، **﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾**[3]، فمن عصى وشرب وخالف أمر الله تعالى سودت شفاههم واشتد عطشهم، فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو، وهم الذين قالوا: **﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾**[4] وانصرفوا ولم يشهدوا الفتح، ومن اقتصر على الغُرفة الواحدة، كما أمر الله تعالى، قوي قلبه، وصح عزمه، ورجح إيمانه وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغُرفة الواحدة ريَّاً لنفسه ولدوابه إلى أن انقضى أمر الفتح[5]، وهم الذين يظنون أي يعلمون أنهم ملاقو الله وقالوا: **﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[6] الآية.

وقدت الفيل لأبرهة: هو عامل ملك الحبشة على اليمن فإن الحبشة ملكوا أرض اليمن مدة طويلة، وسبب ذلك أن ملك اليمن زرعة ابن حسان الملقب ذا النواس،

---

(1) يسمى نهر أدمى.

(2) سورة البقرة: الآية (249).

(3) سورة البقرة: الآية (249).

(4) سورة البقرة : الآية (249).

(5) انظر: - ابن عساكر: **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبدالحميد مراد، محمد مطيع، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط 1، 1404هـ - 1984م، ص 167/11.

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 191/1.

(6) سورة البقرة: الآية (249).

بضم النون؛ لذؤابتين كانتا تنوسان، أي تتحركان، على ظهره، وكان على اليهودية، قصد نجران وهم على دين عيسى ابن مريم ودعاهم إلى اليهودية، فأبوا، فخيَّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود وحرق بالنار من حرق فهم أصحاب الأخدود، وقتل بالسيف من قتل وهرب منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان من سبأ على فرس سلك به الرمل فأعجزهم، ومضى على وجهه حتى أتى قيصر، فاستنصر به على ذي نواس وجنوده، فقال: بلادكم بعيدة عنا، ولكني أكتب إلى ملك الحبشة فهو قريب منكم في البحر، وكتب إلى النجاشي أمره نصره والطلب لثأره، فبعث النجاشي مع دوس سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط وكان معه في جنده أبرهة الأشرم، فركبوا البحر ونزلوا بساحل اليمن ومعهم دوس ذو ثعلبان وسار إليهم ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا لم يكن بأسرع من أن انهزم ذو نواس وجنوده ، وهرب ذو نواس على فرس خاض به البحر وذاك آخر العهد به، فهذا سبب تملُّك الحبشة أرض اليمن، ثم تنازع أرياط وأبرهة وتفرَّق أمر الحبشة هناك، وانحاز إلى كلٍ طائفة، وسار أحدهما إلى الآخر ولما تقارب الجيشان أرسل أبرهة إلى أرياط: علام يقتل الحبشة بعضهم بعضا لأجلينا؟ ابرز إليَّ أنت وأيُّنا قتل الآخر انقادت له الحبشة، فأنصفه، فبرز له، فقتل أبرهة أرياطاً، وصفا له اليمن، وبلغ النجاشي فغضب وحلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته، وبلغ ذلك أبرهة فحلق رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعث بذلك مع كتاب صورته: إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك واختلفنا في أمرك وكلٌ منا طاعته لك، إلا أني كنت أقوى منه على أمر الحبشة وأضبط وأسوس، وقد بعثت إلى الملك بشعر ناصيتي وتراب أرض اليمن ليبر الملك قسمه فيَّ ، فرضي عنه وقال: اثبت مكانك حتى يأتيك أمري، ثم إن أبرهة بنى بصنعاء قصراً سماه قليساً؛ ليجعله كنيسة لم يُر مثلها، وكتب بذلك للنجاشي قائلاً: لا أنتهي حتى أصرف العربَ إليه ، فبلغ كتابه هذا العرب، فأتى رجل منهم القليس، فأحدث عنده وهرب، فأُخبر أبرهة بذلك وبأن الفاعل لذلك من العرب الذين لهم البيت الذي تحجه العرب بمكة فإنه كان من النسأة، أي أهل النسيء من

قريش، فحلف أبرهة ليسير إلى ذلك البيت ويهدمه، وأمر الحبشة فتهيأوا، وخرج بهم وأخرج معه الفيل، وسمع بذلك العرب فرأوا جهاده فرضاً عليهم فقاتله أولاً ذو نفر وهو من أذواد اليمن أي من أشرافهم، فهم جمع إليه من أجابه من قبائل العرب فهزمهم وأسر ذا نفر وأراد قتله ثم استبقاه محبوساً، وسار ثم تعرض له نُفيل بن حبيب الخثعمي في قبائل خثعم وناهس وشهران وغيرهم فهزمهم وأخذ نُفيلاً أسيراً ، وكان أراد قتله فقال له: لا تقتلني أكن دليلك بأرض العرب، فمضى حتى أتى الطائف فخرجت إليه ثقيف فقابلوه وقالوا : نحن عبيدك سامعون لك وليس بيتنا هذا - يعنون اللات - هو البيت الذي تريده ذاك بمكة، وبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق وسار به إلى أن أنزله المغمس[1]، ومات هناك أبو رغال، فرجمت الناس قبره بالحجارة، ومن هناك سيَّر رجالاً من الحبشة على خيل فساقوا إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وفيها مائتا بعير لعبدالمطلب ابن هاشم، فهمَّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرب ، ثم تركوا ذلك إذ عرفوا أن لا طاقة لهم به، وبعث أبرهة رجلاً من حمير لأهل مكة وقال له: سل عن شريفها وائتني به، فأتاه بعبدالمطلب ومعه بعض بنيه، فجاء عبدالمطلب ذا نفر في محبسه وكان بينهما صداقة ،فقال: هل عندك نفع فيما نزل بنا؟، فقال: وما غناء أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً؟ ولكن أدلك على أنيس سائس الفيل فإنه صديق لي، وأرسله إليه وأوصاه به وعظمه عنده، فأتى به أبرهة واستُأذن له عليه فأذن، وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم، فلما رآه أجله، ولكن كره أن يجلسه معه على السرير فتُفتن به الحبشة، فجلس على بساط وأجلسه معه إلى جنبه وقال لترجمانه: سله حاجته، فقال: مائتا بعير لي يردها الملك، فقال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت عظُمت في عيني، ولكنني زهدت فيك حين كلمتني في الإبل ولم تكلمني في بيت هو دينك ودين آبائك، قال عبدالمطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يحميه وسيمنعه، فقال: ماكان ليمنعه مني، قال: أنت وذاك، ورد على عبدالمطلب

(1) المُغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف، انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مرجع سابق، ص 161/5.

إبله، فانصرف إلى أهل مكة وأمرهم بالخروج إلى الشعاب والجبال؛ تخوُّفاً عليهم من معرة الحبشة، وأتى مع نفر فأخذ بحلقة الباب يدعو الله ويستنصره، ثم ذهب إلى الشعب، وأصبح أبرهة متهيئاً لدخول مكة، وعبى جيشه وهيأ الفيل مجمعاً على هدم البيت والعود إلى صنعاء، ووجهوا الفيل إلى نحو مكة فبرك، فضربوا رأسه بالطبرزين، وأدخلوا في مراقه[1] المحاجن وبزغوه، فأبى القيام، فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول، ثم أرسل الله إليهم طيور الأبابيل وهي طيور من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجر في منقاره، واثنان في رجله، أمثال الحمص لا تصيب أحداً منهم إلا هلك، فرجعوا هاربين طالبين اليمن يسألون عن نفيل بن الحبيب؛ ليدلهم على الطريق فقال:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب[2]

ومروا يتساقطون بكل طريق ويهلكون، وأصيب أبرهة في جسده وأخذوا به وهو يتساقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع قلبه من صدره.

وابن زيدون يمكن أنه أراد أبا رغال ولَمَّح إليه، ويمكن أنه أراد لو كنت قدت الفيل لما برك وامتنع عن انقياده فذللته وأوصلته، وقيل: إن الذي قاد الفيل لأبرهة كان من هذيل، رأيت في (الكامل) للمبرد[3] أن أسدياً وهذلياً تفاخراً فرضيا برجل، فقال: لا أقضي بينكما إلا أن تجعلا لي عقداً وثيقاً أن لا تضرباني ولا تشتماني فإني لست في بلاد قومي، ففعلا، فقال: يا أخا بني أسد، كيف تفاخر العرب، وأنت تعلم أنه ليس حي أحب إلى الجيش، ولا أبغض إلى الضيف، ولا أقل تحت الرايات منكم؟ وأنت يا أخا هذيل كيف تُكلم الناس وفيكم ثلاث خِلال: كان منكم دليل الحبشة إلى الكعبة ، ومنكم خولة ذات النحيين، وسألتم رسول الله -

---

(1) المَرَاقُّ، أسفَلُ البَطن وَمَا حَوْله حَيْثُ استَرَقَّ الجِلْد، انظر: ابن سيده: **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط 1، 1996م، ص 157/1.

(2) ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ص 47/1.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 76/2.

صلى الله عليه وسلم - أن يحل لكم الزنا، ولكن إن أردتما بيتي مضر فعليكم بهذين الحيين: تميم وقيس، قوما في غير حفظ الله.

وبقي مُلك اليمن في يد الحبشة [سبعين][1] سنة إلى أن استنقذه منهم سيف بن ذي يزن، من سراة اليمن، أيضاً استنصر بكسرى كما استنصر ذو نواس بقيصر فأمده بالجيوش، وكان ذلك قبل مولده - صلى الله عليه وسلم - بسنتين، فكانت له معهم وقائع مشهورة وكان غلبهم على الملك[2].

فائدة: لمح إلى هذه القصة من أشراف مكة الشريف أحمد بن مسعود بن الحسن ابن أبي نمي، فإنه كان تطلّب ملك مكة، فلم تساعده الأقدار وسافر إلى القسطنطينية قاصداً مولانا السلطان مراداً ومدحه بقصيدة مطلعها:

ألا هبي فقد بكر الندامى ... ومج المرج من ظلم الندامى[3]

إلى أن قال فيها:

وقد وافاك عبد مستميحٌ ... ندا كفيك والشيَمَ الكراما
وقد نَزَلَ ابنُ ذي يزن طريداً ... على كسرَى فأنزله شماما
أتى فرداً فعاد يَجُرّ جيشاً ... كسا الآكامَ خيلاً والرغاما
به استبقَى جميلَ الذكر دهراً ... وأنتَ أجلُّ من كسرَى مقاما
وسيف لو سما دُوني فإني ... عِصاميّ وأسموه عِظاما[4]

إلى آخرها، ولم يحصل على شيء من الملك، ولكنه أجزل صلته، وقبل ذلك كان قصد إمام صنعاء محمد ابن القاسم ومدحه وطلب منه مساعدته على تخليص مكة من أميرها أحمد بن عبدالمطلب، بقصيدة مطلعها:

سلا عن دمي ذات الخلاخل والعقد ... بماذا استحلت أخذ روحي على عمد[5]

---

(1) سبعين: سقطت ووضعت في الهامش وأثبتناها.

(2) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مرجع سابق، ص 193/1.

(3) انظر: المحبي: **نفحة الريحانة**، ص 9/2.

(4) انظر: السابق، ص 9/2.

(5) انظر: السابق، ص 6/2.

إلى أن قال فيها:

أغث مكةً وانهض فأنت مؤيدٌ — من الله بالفتح المفوض والجدّ
وقدم أخا ودّ وأخر مبغضاً — يساور طعناً في المؤيد والمهدي
ويطعن في كل الأئمة معلناً — ويرضي عن ابن العاص والنجل من هند[1]

وإيقاعه هذا، في سيدنا عمرو بن العاص وسيدنا معاوية، إما تشيّع منه أو تظاهر به لممدوحه نفاقاً ليعينه على مُلك مكة، لا جرم لم يُسخَّر له، ولعمري ليس الملك مما يُنال بالقصائد، والذي تولى مكة بعد أحمد بن عبد المطلب هو مسعود بن إدريس بن الحسن، وأما أحمد هذا فإنه مات قبل أن يناله في سنة 1042هـ بالشام عائداً من القسطنطينية .

وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة: ذلك أن قريشاً لما رأوا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - في اعتلاء وقد أسلم حمزة وعمر - رضي الله عنهما - ورأوا عزه بمن معه، وقالوا عند إسلام عمر: انتصف الناس، ورأوا فُشو الإسلام في القبائل المجاورة لهم، أجمعوا أن يقتلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وقالوا: قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، وقالوا لقومه بني هاشم: خذوا منا دية مضاعفة، ويقتله رجل من غير قريش فتريحونا منه، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأمرهم فدخلوا الشعب أي شعبهم وأدخلوه معهم ومنعوه ممن أراد قتله، وأجابوا كلهم إلى ذلك، مؤمنهم وكافرهم، حميةً على عادة العرب، وانخزل عنه بنو عبد شمس ونوفل مع أنهما أخوا هاشم كالمطلب، ولذا قال أبو طالب من قصيدة:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً — عقوبة شر عاجلاً غير آجل[2]

ومن أخرى:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا — وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما[3]

(1) انظر: السابق والصفحة.
(2) ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 249/1.
(3) السابق، ص 15/2.

فاجتمعت قريش وتشاورت أن تكتب كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا النبي - صلى الله عليه وسلم - للقتل، فكتبه، قيل: بغيض بن عامر ابن هاشم بن عبد المناف بن عبد الدار وهو المشهور، وقيل غيره من بني عبد الدار، وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وهو من الذين سعوا في نقضها، وجُمع بأنه يحتمل أن يكونوا كتبوا نسخاً كثيرة منها، وأخذ كل جماعة منهم نسخة، وعلقوا صحيفة منها في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وكان اجتماعهم لذلك في خيف بني كنانة وهو المحصب، وكان أبو لهب مع قريش، وأقاموا في الشعب سنتين أو ثلاثاً، فيها ولدَ عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، وكان لا يصلهم شيء من الميرة إلا سراً، وجهدوا حتى أكلوا الخبط وورق الشجر، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - من كان معه من المؤمنين أن يخرجوا إلى الحبشة ويلتحقوا بمن هاجر إليها قبل، وقريش في ذلك بين كاره وراضٍ، وكان بعضهم يصل بني هاشم في الشعب سراً، فمنهم هشام العامري المذكور، وعلمت به قريش فمنعوه، مرة بعد أخرى يجيبهم ويعود فاغلظوا له، فقال لهم أبو سفيان ابن حرب: دعوه، رجل وصل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثله كان أولى بنا، ومنهم حكيم بن حزام بن خويلد ولقيه أبو جهل مرة ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة فإنها كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها - بالشعب، فقال أبو جهل لحكيم: تذهب بالطعام لبني هاشم، والله لا تذهب به، وإلا[1] فضحتك بمكة ،فحضرهما أبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، فهو من قوم خديجة أيضاً، فقال له: ما لك وله طعام عنده لعمته، أفتمنعه أن يأتيها به ! خل سبيله، فأبى، فنال منه وضربه أبو البختري بلحى بعير فشجه ووطئه وطئاً شديداً فكف عنه، وكان حمزة قريباً منهما يرى ذلك، وهم يكرهون أن يشمت بهم بنو هاشم إذا رأوا مثل ذلك. وأبو البختري بالخاء وبعضهم

(1) كتبت في المخطوطة: أو لا.

ضبطه بالحاء المهملة، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر عمه أبا طالب أن الأَرَضة أكلت جميع ما في الصحيفة من قطيعة وظلم، فقام أبو طالب في رهط من بني هاشم والمطلب فأتى المسجد وظن قريش أنهم خرجوا من شدة الجهد ليُسلِّموا رسول الله، وخاف أبو طالب إن أخبرهم أنْ يخفوها فقال: يامعشر قريش جرت أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها، فأتوا بها وهم لايشكُّون أن أباطالب يدفعه لهم، وقبل أن تُفتح قالوا: قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتموه علينا وعلى أنفسكم، فقال: إنما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط بما هو كيت وكيت فافيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلِّمه حتى نموت عن آخرنا، فقالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوها كما قال، فقالوا هذا سحر، وعند ذلك مشت طائفة في نقضها، وهم: هشام بن عمرو العامري، وزهير بن أبي أمية المخزومي، والمُطعَّم بن عدي ابن نوفل بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى، وكان أشدهم بلاءً فيها هشام، فإنه الذي مشى إلى زهير وهو ابن عاتكة بنت عبدالمطلب ثم أتيا إلى المُطعَّم وذهبا إلى أبي البختري ثم إلى زُمعة وتواعدوا إلى خطم الحجون ليلاً، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في نقضها، وقال زهير: أنا أبدأكم فأكون أول متكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وأتى زهير وعليه حُلة فطاف بالبيت. ثم أقبل على الناس فقال: ياأهل مكة أ نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاعون !؟ والله، لا أقعد أو تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تُشق، قال زُمعة: أنت والله أكذب، مارضينا بها إذ كتبت، قال البختري: صدق زُمعة لا نرضى بها، قال المُطعَّم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، قال هشام نحواً من ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليل، وقام المُطعَّم إلى الصحيفة وشقها وخرج الخمسة إلى بني هاشم فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم، فهذا أمر الصحيفة وقد تكفل بها أهل السير وذكروه بأطول من ذلك[1].

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 18/2.

وأما قريش فهم أولاد النضر بن كنانة وما فوقه كناني وعند أئمة النسب، وهو المرجوع إليه، أن فهراً هو قريش وإليه تنسب البطون القرشية، ولعل النضر ليس له إلا مالك، ومالك لم يولد له غير فهر[1] - والله أعلم - وقيل سُمُّوا قريشاً لتقرشهم أي تجمعهم في الحرم، وقيل غير ذلك[2]، ويقال قريش الظواهر وقريش البطاح الأولون النازلون خارج مكة، والآخرون بطاحها، وهم الأشراف كبني هاشم وبني أمية وبني عبدالدار وكل من انتسب إلى كعب بن لؤي، ويقال الحُمس جمع أحمس على كل من قرَّ في الحرم؛ لأنه التجأ إلى الحمساء أي الكعبة بخلاف من تفرق في الظواهر فلا يقال لهم حمس، وكان من عادات الجاهلية أن ما سوى الحمس إذا طاف بالبيت رمى بثوبه وطاف عارياً أو استعار منهم ثوباً.

واعلم أن العرب هم أفضل الخلائق أحساباً وأنساباً، وأوفاهم أخلاقاً وآداباً، ولقد أحسن النعمان ذكرهم فإنه كان ملك الحيرة من قِبل كسرى وهو آخر ملوكها، فإنه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم، فذكر كل جنسه وفضله على غيره، وأفاض النعمان في ذكر العرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثني فارساً ولا غيرهم، فتمعَّر وجه كسرى وذكر كلاماً ينتقص به العرب ويفضِّل عليهم الأمم ، فقال النعمان: أصلح الله الملك، أما أمتك فلا تنازع في فضلها لما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك ولعقلها وحكمها، وأما الأمم فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها العرب، فقال: بماذا؟ قال: بعزتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها وحكم ألسنتها ووفائها وأحسابها وأنسابها، أما عزتها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوخوا الأرض وقادوا الجنود، لم يطمع فيهم طامع، حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وجنتهم السيوف، وعدتهم الصبر، إذ غيرهم من الأمم عزهم الطين والحجارة وجزائر البحر. وأما سخاؤها فإن أدنى رجل منهم يكون

---

(1) ابن شاهنشاه: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ط 1، ص 107/1.

(2) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م، ص 79/2.

عنده البكرة أو الناب[1] عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريِّه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالشربة، فيعقرها له، ويرضى أَن يخرج له عن دنياه فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر. وأما حُسن وجوهها فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المتحرقة والروم المقشرة والترك المشوهة. وأما ألسنتها فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الأمثال ومعرفتهم بالإشارة، وإبلاغهم في الصفات، ما ليس في ألسنة الأجناس. وأما وفاؤها فإن أحدهم ليبلغه أن أحد الناس استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو يصاب قبله لما أخفره من جواره، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً لا يغلق ولا تخفر ذمته، وكذلك تمسُّكها بشريعتها وهو أن لهم أشهراً حُرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثأره، فيمنعه دينه ويحجزه كرمه، وأما أحسابها وأنسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت أصولها وكثيراً من أولها وآخرها حتى إن أحدهم يُسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أباً أباً حاطوا بذلك أحسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا يدعى لغير أبيه، وأما قول الملك: إنهم يئدون أبناءهم فإنما يفعله منهم من يفعله بالإناث أنفةً من العار وغيرةً من الأزواج، وأما قوله: إن أفضل طعامهم لحوم الإبل فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً، فعمدوا إلى أجلِّها قدراً، وأغلاها ثمناً، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ولحوماً. وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنِستْ من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها، وإنه إنما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم إليه، فأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج أو العشر وما أشبه ذلك. فعجب كسرى من منطقه، وكساه كسوته وردَّه إلى الحيرة[2].

(1) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، مرجع سابق، ص 279/1.

(2) البغدادي: **التذكرة الحمدونية**، بيروت، دار صادر، ط 1، 1417هـ، ص 406/7.

واعلم أن العرب في الأصل كانوا قبائل جرهم وعاد وثمود ووبار وأميم وعبيل وطسم وجديس والعماليق، وكلهم من نسل سام بن نوح، وكلهم هلكوا ولم يبق إلا ذكرهم والدوام لله، وإسماعيل - عليه السلام - تعرَّب منهم، وجميع العرب اليوم لعدنان؛ وقحطان اختلف فيه[1]، فقيل: إنه ابن إسماعيل وهو قول مرجوح، والأكثر على إنه ابن هود أو هود - عليه السلام -. أما عدنان فهو من نسل إسماعيل قطعاً إلا أنه وقع اختلاف فيما بين عدنان وإسماعيل في عدهم وفي[2] التلفظ بهم؛ فلذلك اقتصر المحققون من علماء الأنساب على العد إلى عدنان، وصار العدناني والقحطاني معلوماً عندهم، وبعض القبائل مذبذبون أي جهل الاختلاف فيهم، هل هم عدنانيون أو قحطانيون؟ ولم يترجح أحد القولين، فمنهم قضاعة وخزاعة وبجيلة وخثعم، واعتناؤهم بنسب عدنان لأن عمود النسب النبوي يتصل به، فلعدنان عك ومعد، وعك له قبائل كثيرة، ومعد خلَّف أولاداً لم نرهم ذكروا غير نزار بن معد بن عدنان، ونزار له أولاد أربعة مضر وربيعة وإياد وأنمار، تُلقِبوا مضر الحمر، أو [و] ربيعة الفَرَس بفتح الفاء والراء، وإياد الشمطاء، وأنمار الفضل، وأسباب ذلك موضحة عندهم وهي مذكورة في أمثال الميداني عند المثل «**العصا من العصية**»[3]، ففي مضر أنساب قريش وتميم، وهم كما يقال كاهل مضر، وهذيل فإنهم من مدركة بن إلياس، وهوازن الذين من هم قبائل عتيبة المشهورين الآن ، وفيهم ومنهم وكلهم تفرقوا في أرض العرب، ولم يبق في الحوزة الحرمية إلا قريش البطاح أو الحمس أو كل ما ينتسب إلى كعب بن لؤي كما قال بكل جماعة، وقالوا أيضاً: إن أول من سكن الحرم العمالقة، ثم أخرجهم مضاض الجرهمي لما بغوا. فإن الخليل كان يأتي مكة وجرهم فيها، فتزوج منهم إسماعيل، وأولاده منهم. وكان أمر البيت فيهم طبعاً، لكن مضاضاً تولاه بعد نابت واستمرت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم أولاد إسماعيل لخؤولتهم، ولما كان سيل العرم الذي تفرقت

(1) يقصد أن الاختلاف في نسبة قحطان.

(2) واو زائدة تم حذفها.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 15/1.

بعده قبائل سبأ في البلاد نزلت خزاعة - على القول بأنهم من سبأ - أرض الحرم، ونازعوا جرهماً حتى شردوهم عن أرض الحرم وأخذوا عنهم ولاية البيت، وقيل: إن جرهماً عتوا وبغوا وظلموا كل من يدخل مكة، وأكلوا أموال الكعبة التي ترد وتهدى لها، فأجمعت خزاعة لحربهم وإخراجهم من الحرم، ففعلوا، وكان آخر من وُلِي منهم مكة عمرو بن الحارث الجرهمي وحزن حزناً شديداً لمفارقتها فقال:

كأن لم يكن بين الحجُون إلى الصفا — أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
وكنا وُلاة البيت من قبل نابت — نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهرُ
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا — صروف الليالي والدهور العواثِرُ[1]

واستمر الأمر لخزاعة إلى أن تزوج قصي بن كلاب منهم حبى بنت حليل الخزاعي، وكانت انتهت رياسة الحرم إلى أبيها فأوصى بها إليها وحدها، وقيل: مع أبي غبشان، وقيل: بل جعله وحده - بنون غيب[2] - وكان المفتاح بيد بنته حبى، فطلب قصي منها أن تدفعه إلى ابنه منها عبد الدار، وقال لبنيه اطلبوا من أمكم حجابة جدكم. ولم يزل بها حتى سلست له بذلك، وقالت:كيف أصنع بأبي غبشان، وهو وصي معي؟ فقال قصي: أنا أكفيك أمره، فاتفق أنه شرب معه بالطائف فخدعه وأسكره واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه، ودفع المفاتيح لابنه عبدالدار وطيَّره إلى مكة، فلما أشرف على دورها رفع عقيرته: معاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد ردها الله عليكم من غير غدر، وأفاق أبو غبشان «**أندم من الكسعي**»[3] فضُرب به المثل في الحمق والندم والخسران.

ونازعت خزاعة قصيًّا في ذلك، فاستعان بكنانة حتى أزاح يدهم[4] بعد قتال في أيام وتحكيم يعمر بن عوف، وحينئذٍ وُلِّي قصي أمر مكة وشرفها. وسُمِّي قصياً

(1) انظر: الأبيات في: القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 56.

(2) هنا وضع الجملة الاعتراضية التفسيرية في غير موضعها، وكان الأولى أن يقدمها.

(3) الميداني: **مجمع الأمثال**، مرجع سابق، ص 216/1.

(4) في المخطوطة: يدهم يدهم.

لأنه تربى قاصيًّا في قضاعة، ويسمى مجمعاً أيضاً لأنه هو الذي جمع قبائل فهر بن مالك بن النضر، فكان بيد قصي السقاية والرِفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة، وكان عبدالدار أكبر أولاده وأحبهم إليه وعبد مناف أشرفهم، شرُف في زمن أبيه وذهب شرفه كل مذهب، وكان أهل مكة يسكنون الشعاب والأطراف والكعبة المعظمة قائمة وسط الوادي تأتي عليها السيول المنحدرة من الشعاب ومن قعيقعان ومن أعالي مكة تتلاطم حولها وتنحدر أسفل مكة ، فأمر قصي أهل مكة أن يقرِّبوا بيوتهم حول الكعبة ففعلوا، وجعل بين بيوتهم منافذ إلى الكعبة ، وجعل بيت نفسه[1] شامي الكعبة موضع مقام الحنفي[2] اليوم، وسمَّاه دار الندوة ، فكانت قريش لا تقطع أمراً إلا في دار الندوة، أي دار قصي، ولما رأى قصي تقاعد ابنه عبدالدار عن شرف إخوته أعطى له تلك الوظائف وقال: أما والله يا بني لألحقنك بالقوم، يعني إخوته، وهم عبد مناف، وعبدالعزى، وعبد مجرداً من الإضافة، وقال: لا يدخل أحد الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لواء لقريش إلا تكون أنت تعقده، ولا يشرب أحد حاج إلا من سقايتك، ولا يأكل إلا من طعامك، وهذا المراد بالرفادة وهي إطعام الحاج أيام المواسم، كانت قريش تجمع من أموالها وتدفعه إلى قُصي فيصنع به طعاماً يأكل منه من لم له سعة، أما المثرون فيأتون بما تقتضيه ثروتهم من الغلات والبضائع والأزواد ويبقى من ذلك بمكة ما يبقى ، وكان الحج كما هو اليوم يأتي في الفصول كلها، فإذا صادف وقت الخصب أتى الناس بأزوادهم وخيراتهم فكان من ذلك ارتفاق لسكان مكة، وإن صادف غير وقت الخصب وإدراك الغلات قل لما معهم من ذلك فيحصل القحط. فوقعت الشورى بين العرب في ذلك، فأشار خطيبهم ورئيسهم بأن يعيِّن لهم في السنة وقت لايتغيَّر يحجون فيه وهو وقت إدراك الغلات وكثرة المياه، فتقصدهم العرب بما معها من

(1) الأفضل القول: بيته نفسه.

(2) المقام الحنفي.

الخيرات، فيصيبون منه ويدخرون، فوافقوه فكان النسيء. ومضى على ذلك مئتان وعشرون سنة إلى أن وافق سنة حجة الوداع فاتفق بها رجوع الحج إلى عشر ذي الحجة، فأمر - صلى الله عليه وسلم - بإبطال النسيء ورجوع الحج والشهور إلى الوضع الأول.

وقد خرجنا عن الصدد فلنرجع إلى تمام كلام قصي لابنه عبدالدار: ولا تقطع قريش أمراً من الأمور إلا في دارك، يعني دار الندوة، ولا يكون أحد قائد القوم في قتال إلا أنت، وبقيت هذه الوظائف عند عبدالدار لا ينازعه أحد من إخوته رعاية لحق أبيهم إلا ما كان من إعانة عبد مناف في الرفادة والسقاية، ولما مات عبد الدار وإخوته اختلف أبناؤهم، فأراد بنو عبد مناف وهم: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل أن يأخذوها وأجمعوا على المحاربة، وانضم إلى كل فريق قوم، فسُمِّي بنو عبد مناف ومن انضم إليهم الطيبيين؛ لأنهم وضعوا جفنة مملوءة طيباً عند باب الكعبة، وكل من غمس يده فيها فهو منهم، وسُمِّي بنو عبدالدار ومن انضم إليهم لعقة الدم ؛ لأنهم ملأوا جفنة من دم جزور، فمن لعق منها فهو منهم، ثم اصطلحوا على أن تكون الحجابة واللواء لبني عبدالدار، ودار الندوة بالاشتراك والباقي لبني عبد مناف، فأخذ القيادة بنو عبد شمس، والرفادة والسقاية بنو هاشم، وقيل: إن دار الندوة كانت لبني عبد الدار فأخذها منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، بزق خمر، ثم باعها في الإسلام بمائة ألف، فلما احتيج إلى توسعة المسجد الحرام أدخلت فيه، وجُعل بدلها موضع آخر خلفه، مرة ثم أخرى إلى [أن][1] كان هو موضع الساحة، المسماة اليوم بالزيادة ويسمى الباب الذي يليها باب الزيادة[2]، وفي ركنها اليماني الغربي باب كان يسمى باب الفهود واليوم باب القطبي[3]، فكان موضع تلك الزيادة دار لبني العباس ينزلونها

(1) أن ساقطة من المخطوطة.

(2) القطبي عبدالكريم: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، (د. ن)، 1014هـ، ص 139.

(3) يبدو أن باب الزيادة والفهود والقطبي كلها مسميات واحدة لباب واحد، انظر: المصدر السابق، سمي القطبي؛ لكونه مجاوراً لمدرسة قطب الدين الحنفي.

إذا جاء إلى الحج أحد منهم أو من أتباعهم، وعمَّرها لذلك منهم المعتضد بالله العباسي ثم خُرِّبت وصارت مجتمع قمامات، فكان السيل المنحدر، من قعيقعان ولعلع والقرارة[1]، يأخذ القمامات منها ويلقيها بالمسجد الحرام لعدم منفذ له غيره، وكانت أشبه بالمدارس اليوم ، لها طاقات على المسجد الحرام ، ويظهر من وضعها اليوم أنه كان لها باب يدخل إلى المسجد، وهو موضع البائكة أي العقد الأخير الشامي منها الذي تليه المحكمة، وذلك أن تلك الزيادة ألحقت بالمسجد الحرام في العمارة الأخيرة، أي عمارة آل عثمان في القرن العاشر - جزاهم الله خيراً - وقد أحدثوا، لجريان السيول المنحدرة من قعيقعان والقرارة لئلا تهجم على المسجد، دبلاً، أي مجرى واسعاً يمر تحت البيوت يسمونه (ميرياخور)[2]، يبتدئ عند باب الزيادة وينتهي عند باب إبراهيم حيث يجتمع بدبل مياه المسجد الحرام، وأظن أن تسميته بذلك ؛ لأن الذي قام بعمارته كان ميرآخوري كبير إصطبل لبعض الملوك، وجميع البيوت الكائنة ثمة دبولها ومراحيضها مسلطة عليه، فتنحدر بها السيول في الدبول إلى أسفل مكة من جهة المسفلة وبركة ماجد.

أما الحجابة، وهي سدانة البيت الحرام، فبقيت في بني عبدالدار، واختص بها منهم بنو أبي طلحة وهي بيدهم إلى اليوم، وكان فيهم اللواء أيضاً، فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها، وقتل منهم يوم أحد جماعة تحت اللواء مع الكفار، ومع المسلمين مصعب بن عمير فإنه منهم.

وأما قيادة الحرب، ويقال رئاسة الركب، فقام بها عبد شمس وبعده ابنه أمية الأكبر ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان ، وكانت فيه رئاسة قريش حتى إنه كان يقال لأبي سفيان أيام سيدنا عمر بن الخطاب، هذا شيخ قريش ، كما كان يقال

---

(1) انظر: - مالك الأزرقي: **أخبار مكة**، تحقيق: شدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس للنشر ، ص 170.

- السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، تحقيق: جميل المصري، ماجدة زكريا، مكة، جامعة أم القرى، ط 1، 1419هـ ، ج 2، ص 182-184.

(2) انظر: المصادر السابقة ، السنجاري ج3، ص 469-474.

لصديقه العباس، عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم[1] -، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قلدهم الولايات، فقلد عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية مكة. وأبو سفيان كان مع العير، فقاد قريشاً إلى بدر عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وقادهم أبو سفيان يوم أحد والخندق.

أما الرفادة وكذا السقاية فكانتا، بعد عبد مناف، لابنه هاشم، ثم لابنه عبدالمطلب ثم ابنه أبي طالب ثم العباس، واستمرت في عقبه إلى انقراضهم، وكانت[2] السقاية قبل عبد المطلب لعمه المطلب بن عبد مناف، ففوضها له ومات، فنازعه فيها عمه نوفل واغتصبه أركاحا، أي دوراً؛ فاستنصر بقريش فأبوا أن يتداخلوا بينهما، فاستنصر بأخواله بني النجار بالمدينة، فنصروه عليه، وكانت بنو العباس يجعلون بمكة وكلاء عنهم يقومون بدلهم في أمر السقاية، وكانت عبارة عن خدمة بئرٍ زمزم. وآخر من كان قائماً بذلك عنهم الشيخ سالم بن ياقوت[3]، فإنه كان مؤذناً وقائماً بخدمة بئر زمزم، في حدود سنة 730هـ سبعمائة وثلاثين من الهجرة، فقدم عليه عام قدوم فيل العراق[4] رجل من شيراز اسمه علي بن محمد بن داوود البيضاوي [5]، وعاونه في خدمة البئر ورأى نصحه وتحقيق خيره، فزوجه بنته، فرزق منها ذرية صالحين، بقيت خدمة البئر عندهم إلى اليوم، وكان يقال لهم **بيت الزمزمي**[6] فمنهم أفاضل كثيرون، منهم الشيخ عبدالرؤف، والشيخ عبدالعزيز، وابنه محمد من أهل القرن الحادي عشر، والشيخ محمد صالح من أهل القرن الثالث عشر، ثم غلب عليهم لقب بيت الريس؛ لأن رئاسة المؤذنين عندهم، فلا يؤذن المؤذن في المنابر حتى يسمعوا[7] آذان الريس في قبة زمزم،

(1) ابن هشام: **السيرة النبوية**، مرجع سابق، ص 115/1، و187/2.

(2) في المخطوطة: كان.

(3) سالم بن ياقوت المكي أبو أحمد المؤذن بالمسجد الحرام ولد سنة 666هـ وأجاز له وهو كبير أبو بكر الدشتي وعيسى المطعم والقاضي سليمان وغيرهم وحدث عنه بالإجازة أبو حامد بن ظهيرة ومات بمكة في سنة 763هـ ، وله سبع وتسعون سنة، انظر: ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 2، 1972م، ص 258/2.

(4) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مرجع سابق، ص 427/2.

(5) السابق والصفحة.

(6) من هنا يبدأ اللبني حديثه عن العوائل المكية .

(7) في المخطوطة: يسمعون ، وهو خطأ.

وهم يدَّعون الانتساب إلى آل الزبير بن العوام حتى الصلحاء منهم، والمؤمن مُصدَّق في نسبه.

وقد عُلم من مجموع ما تقدم أن سكان مكة في ذلك العهد كانوا قريشاً ومن جاورهم من خزاعة، لكن خزاعة، لما ذهبت منهم رئاسة مكة، جاوروا أطرافها شاماً ويمناً[1]، ولهم بقايا إلى اليوم معروفون بين القبائل، ثم لما جاء الإسلام وانتشر الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم في الجهاد في سائر الجهات ورأوا البلاد، [و][2] الأراضي المخصبة، والأفياء الباردة، والظلال المتفيأة، وصارت للقوم فيها أملاك، رغب أكثرهم في الاستيطان ثمة، وتبعهم الجم الغفير يذهبون أرسالاً إلى مصر والمغرب والشام والعراق ليعيشوا مع أبناء جلدتهم في الخصب والسعة والرفاهية والدعة، فما مضى بعد ظهور الإسلام نحو قرنين إلا ولم يبق في مكة والمدينة من أهاليهما إلا أقل القليل مع من جاورهم من مسلمي الآفاق للتشرف بالجوار، وكان من عادة ملوك مكة أن ينادي مناديهم بعد أداء مناسك الحج: ياغريب بلادك، وهي عادة اتُخذت من زمن الفاروق - رضي الله عنه - فإنه كان يأمر أن ينادي يومئذ: يا أهل الشام، شامكم. يا أهل اليمن، يمنكم ؛ ذلك لئلا يكثر المجاورون فيستأثروا بما لهم من الثروة بأرزاق أهل مكة فيتضايقوا، وقد تُركت هذه العادة من مدة طويلة، ولم يبق من آثارها إلا أن عوام باعة الأرزاق يلهجون بقولهم: ياغريب بلادك، ويزيد بعضهم: شور الأمانة لا تبات الليلة، وقد كثُر المجاورون وزاحموا أهل مكة في جميع الوظائف وأسباب المعايش، أما الصُرور والمرتبات من حنطة الجراية وغيرها، والخلوات أي الحُجر في الرباطات والمدارس التي اتُخذت في الأصل لطلبة العلم أو لفقراء الأهالي بما هو مخصص لها من مرتبات فقد كاد يستغرقه مجاورو[3] الأتراك لمناسبتهم مع مأموري الحكومة، وصار أهل مكة المتأثلون بها فقراء لا يكاد الواحد منهم يحصل على ما يُقوِّم به أوده[4]، ثم ليعلم أنه ليس المراد بأهل مكة - هنا - الأصليين الذين هم من ذرية قريش البطاح أو

---

(1) في المخطوطة: شام ويمن.

(2) سقطت من المخطوطة.

(3) جاءت في المخطوطة مجاوروا .

(4) أي عوجه.

المهاجرين أو الأنصار الذين تناسلوا وتعاقبوا بمكة أو المدينة من يومها إلى اليوم، فإنه ليس بمكة ولا المدينة من يقطع أو يظن أنه من ذرية أولئك بالمعنى المنوَّه به سوى الشيبيين، فإن بقاء مفتاح الكعبة بأيدي هذه العائلة خلفاً عن سلف شاهد على ذلك، حتى من انتمى إلى البيت النبوي من الأشراف والسادة القاطنين بمكة أو المدينة، فإن أصولهم قد هاجروا إلى الآفاق وبقوا هناك القرون، ثم قدِم من ذريتهم من قدِم رغبة في الجوار أو لغاية أخرى، ولا شبهة في علو أقدارهم وارتفاع مراتبهم عمن سواهم، ومن سوى الأشراف والسادة لم يبق لهم مجد ولا فخر من حيث النسب لكن بقدم المحتد، فمن تولَّد بمكة يفتخر على المجاور، ومن له أبوان يمتاز على من له أَبَ وهكذا، والقدماء منهم يُسمون من سواهم آفاقيا[1] وهي كلمة كادت تكون سبة، وأعظم منها في هذا المعنى قولهم: أتوى[2] بفتح الهمزة والتاء، ولعل أصله أتاوى، قال الكسائي: الأتاوى، بالفتح، الرجل الغريب الذي ليس في وطنه، وقالت امرأة تهجو الأنصار:

أطعتم أتاوى من غيركم　　　فلا من مراد ولا مذحج[3]

تريد النبي – صلى الله عليه وسلم – وحبذا هذا الهجاء، وقتلها بعض الصحابة فأهدر دمها، فالمجاور، ولو كان الجنيد[4]، أو الشبلي[5]، أو النعمان[6]، أو ابن إدريس[7]، في درجة ثانية بعد الأهالي ولو كانوا جهالاً فسقة، وقال ابن الوردي:

لا تقل أصلي وفصلي أبدا　　　إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب　　　وبحسن السبك قد ينفى الزغل[8]

(1) الشخص القادم من آفاق الأرض الأخرى، وقد اختلف في نسبه للجمع كأنصاري أو للمفرد، انظر: الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق، (نصر).

(2) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (توو).

(3) البيت للعصماء بنت مروان، انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، القاهرة، دار الفكر، 1986م، ص 231/5.

(4) هو: الجُنَيْد بن مُحَمَّد أَبُو الْقَاسِم الخزاز، من كبار الصوفية، انظر ترجمته في: النيسابوري: **طبقات الصوفية**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1988م، ص 129.

(5) هو: أبو بكر الشبلي واسْمه دلف يُقَال ابْن جحدر وَيُقَال ابْن جَعْفَر وَيُقَال اسْمه جَعْفَر بن يُونُس، انظر ترجمته في: النيسابوري: طبقات الصوفية، مرجع سابق، ص 257.

(6) هو نجم الدين أبو النعمان الصوفي، انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ص 101/10.

(7) هو: أَبُو مُحَمَّد الْكُوفِي عبدالله بن ادريس بن يزيد بن عبدالرحمن الأودي، انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ص 38/17.

(8) صلاح الدين الزماكي: **شرح لامية ابن الوردي**، مرجع سابق، ص 84-86.

وقال بعدهما:

غيــــر أني أحــمــد الـلــه علـى نسبـــي إذ بـأبـي بكــر اتصل[1]

لئلا يتوهم أنه إنما قال ذلك لكونه لم يكن متأثلاً في المجد، فافهم، وقد يلوذ الغريب المجاور إلى ذي شوكة أو يكون بذي اللسان فيتقى فيُبجَّل.

وقد حق علينا الآن أن نأتي على من تيسَّر لنا تتبعه من بيوت مكة القديمة وتواريخهم بقدر الاستطاعة، وأحق من يُبتدأ به ساداتنا الأشراف الحسنيون فجدهم الشريف قتادة بن إدريس[2] وهو من ذرية إدريس[3] الذي هاجر إلى المغرب زمن الهادي العباسي، بعد وقعة فخ الموضع المعروف اليوم عند أهل مكة بـ(الشهدا)، لاستشهاد جماعة فيه من آل البيت ودفنهم به والقصة شهيرة[4]، وبه أيضاً قبر سيدنا عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - على إحدى[5] روايات أربع، وقيل: بالمحصب، وقيل: بذي طوى، وقيل: بسِرف، قدم الشريف قتادة بن إدريس المذكور مكة آخر القرن السادس، وتملك مكة حين أن ضعف أمر أمرائها الهواشم. وانتشرت ذريته بالحجاز وما قرب منه من أطراف اليمن وأراضي نجد، فلا يوجد اليوم بهاتيك البقاع شريف إلا وهو من ذريته، وإمارة مكة فيهم تنتقل من فرع إلى فرع، وهي اليوم في نصابها الذي هو أولى بها، من السادة الصيد الميامين الصناديد، ذوي عون ابن محسن[6]، الأولي افتخر بهم الزمان، إذ أَصبح وهو محسن، فشريف مكة اليوم هو أميرها المحبَوب ذي القدر المنيف، والمجد الباذخ، والظل الوريف، والقدم الراسخ، من قصُرت عن الإحاطة بمزاياه عبارات ذوي الفصاحة واللسن، ومن لو رآه الشهاب ما قال: ختمت الشرافة بالحسن، من أصبح

(1) السابق، ص 88.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 367/10.

(3) الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، بيروت، دار التراث، ط 2، 1387هـ، ص 198/8.

(4) السابق والصفحة.

(5) في المخطوطة: أحد وهو خطأ.

(6) الزركلي: **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، ص 247/6.

كل فخار جنب فخاره يتلاشى، سيدنا ومولانا الشريف حسين باشا[1]، ابن سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن الحسن بن أبي نُمي، وأبو نُمي[2] هذا كان أمير مكة في القرن العاشر، وهو واضع القوانين للأشراف المأخوذ بها عندهم اليوم[3] لكل من انتمى إليه وقيل له نموي، ويتصل نسبه إلى الشريف حسن بن عجلان[4] الذي ينتهي إليه. ذوو حسن سكان الشواق بأطراف اليمن، ثم إلى أبي نُمي آخر، ثم إلى قتادة المذكور، ثم إلى سيدنا الحسن المثنى ابن الحسن السبط - رضي الله عنه - شهدت بذلك تواريخ الإسلام.

ثم إن كثيراً من الناس يظن أن اسم الأشراف خاص بأولاد الحسين واسم السادة بأولاد الحسن، وليست هذه قاعدة، فكثيراً ما يقال لأشراف مكة السيد فلان، ويقال لأشراف المدينة المنورة أشرافاً وهم من ذرية الحسين، كانت لهم إمارة المدينة والصولة والدولة بها، وذهبت منذ أزمان بعيدة، وبقي لهم اسم الأشراف وهم قاطنون بالمدينة وما حولها، ومقعد ذوي حسين بالمدينة مشهور، ويوجد بين السادة قاطني مكة والمدينة من هم أدارسة المغرب وهم حسنيون، وأكثر السادة قاطني مكة والمدينة هم آل باعلوي الذين انتشر ذكرهم في حضرموت، ثم صاروا يقدمون من حضرموت إلى مكة والمدينة وغيرهما من بلاد الله، وهم من نسل الفقيه المقدم[5]، وهو من ذرية عيسى المهاجر، وينقسمون اليوم إلى سقاف، وعطاس،

(1) الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ص 294/2.

(2) السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، مرجع سابق، ج 3، ص 372 وما قبلها

(3) لم أجد في جميع المصادر القوانين التي سنها، لكن فترة حكمه كانت مثالية من حيث التصدي للبرتغاليين والتي نتج عنها ارسال نصف غلال مكة للدولة العثمانية ، انظر: أحمد زيني دحلان: **بيان أمراء البلد الحرام**، اعتنى بطبعه: وقف الاخلاص، استانبول، 2002م، ص 75.

(4) السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، مرجع سابق، ج 2، ص 395.

(5) محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط ابن علي بن علوي بن محمد صاحب الصومعة ابن علوي بن عبيدالله ابن الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقربن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب، انظر: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 236/2.

وحبشي، وجفري، وما أشبه ذلك، فهولاء هم المُسَّلم لهم لحفظ أنسابهم، المعروفون عند نقيب السادة في مكة والمدينة، ولا يكون نقيب السادة إلا منهم، وهم تُضبط مواليدهم أينما كانوا، وتُحصر أسماؤهم، وتحفظ أنسابهم على الطريقة المعروفة عندهم؛ لاقتسام وارداتهم من أوقاف ونحوها، ومن عداهم من كل من انتمى إلى النسب الطاهر، سواء كان مصرياً، أو شامياً، أو رومياً، أو عراقياً، فإنهم على كثرتهم لم يُسلم لهم؛ لعدم ضبط أنسابهم على قاعدة سليمة عند الجمهور.

غير أن بعضهم قد تقوم معه قرائن يحصل بها بعض الظن على صدق مدعاه، وإن لم يكن، بحيث يقيد بدفتر السادة آل باعلوي وذلك كأن يكون من بيت قديم في مكة المكرمة كالسادة الوقَّادين، أي القائمين بخدمة تنوير المسجد الحرام، فإن الظن أن سيادتهم صحيحة، وفي حفظي أني سمعت من بعض الأكابر الذين لهم استقصاء في مثل ذلك أنهم بقية النويريين الذين كانوا أئمة مقام الحنفي، أو كأن يكون في ذلك البيت[1] من هو من أهل العلم والصلاح، ورضي بذلك الانتساب **كبيت المرغني**، فإنهم سواء الموجودون بمكة والمتفرقون بمصر والسودان من ذرية السيد عبدالله المحجوب[2] المدفون بقرية السلامة من الطائف بمسجده الكائن هناك المحاط بدور كلها كانت لهم، فإن مثله من سلم له الفضل لا يرضى بأن ينتسب كذباً إلى السلسلة الطاهرة مالم يصح عنده ذلك.

وكبيت دحلان، فإن منهم مولانا وشيخنا وشيخ مشايخنا، قدوة المحققين، وعمدة المدققين في جميع الفنون، ومن افتخرت بوجوده السنون المرحوم السيد أحمد بن زيني دحلان المتوفى بالمدينة المنورة رابع صفر عام: أربعة بعد الثلاثمائة والألف المدفون تجاه قبة آل البيت بالبقيع، وكان - رحمه الله تعالى - ينتسب إلى الشيخ نعمة الله الكيلاني[3] المدفون بمكة المكرمة في شعب عامر، وكانت عليه قبة

(1) الكلمة في الهامش وأثبتناها في المتن.

(2) الإدريسي: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مرجع سابق، ص 253/1.

(3) انظر: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 455/4، والصحيح الجيلاني.

هدمها الوهابيون، وآثارها باقية إلى يومنا، وكان يُزار. وكان يلتجئ اللاجئون إلى قبته فيحصلون على مرادهم ببركته[1]، وقد ترجمه في (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)[2] الناقل أكثر تراجم المكيين عن المرحوم مولانا حسن عجيمي[3] وجر نسبه إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو منسوب إلى سيدنا عبدالله المحض[4] ابن الحسن المثنى[5] ابن الحسن السبط.

وكآل الطبري المشهورين بمكة، فإن كونهم سادات من نسل سيدنا الحسين السبط كاد أن يبلغ درجة القطع بما احتفَّ به من القرائن وتداول مؤرخي مكة نسبهم مع كونهم بيت علم وشرف مشهورين في مشارق الأرض ومغاربها في الفضل، وهم أقدم ذوي البيوت بمكة، قال ابن فهد: «أول من قدِم مكة الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد ابن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري سنة سبعين وخمسمائة، وكان دخول القضاء، وإمامة المقام الإبراهيمي، بيتهم سنة ثلاث وسبعين وستمائة»[6] ولم تزل الإمامة مخصوصة بهم وكل من كمُل منهم باشرها ولا يحتاج إلى إذن جديد؛ لوقوع الإذن المطلق لهم، وما زالت المناصب العالية عندهم يتلقونها كابراً عن كابر من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة، وكانت الخطابة من القديم تنتقل في ثلاثة[7] بيوت أقدمهم بيت الطبري، ثم الظهيريّون ثم النويريّون، وكانت لهم الألفة مع أشراف مكة واتصلت بالصهارة، فقد كان الشريف عجلان[8] صاحب مكة تزوج منهم، سنة سبعين وسبعمائة، زينب بنت

(1) أستغرب من قوله هذا؛ لأن الأصل أنه لا تبرك بأحد من البشر. ولكنها من تداعيات الصوفية.

(2) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مرجع سابق، ص، 455/4.

(3) السابق، ص 301/4.

(4) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مرجع سابق، ص 464/2.

(5) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، مرجع سابق، ص 533/1.

(6) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 461/2.

(7) في المخطوطة: ثلاث ، وهو خطأ.

(8) السخاوي: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، بيروت، الكتب العلميه، لبنان، ط 1، 1993م ، ص 254/2.

الشهاب أحمد بن الجمال محمد الطبري[1]، ولهم حكايات ظريفة وفكاهات لطيفة، ومنهم الأفاضل لهم مناقب علمية دوَّنها لهم التاريخ، وكانت مساكنهم بالزقاق الشهير باسمهم إلى اليوم في حارة القرارة قريباً من رأس الردم المعروف بالمُدَّعى، عن يسار الداخل إلى الزقاق المذكور مكتب صغير من المآثر القديمة[2]. وقد انقرضوا - والدوام لله - ولم يبق منهم أحد. وآخرهم أول القرن الثالث عشر. لكن لهم نسل من بطون البطون، فقد أخبرني سيدنا ومولانا المرحوم السيد أحمد دحلان بأنه كان من بطون بيت الطبري ناس يقال لهم: بيت ابن يعقوب من ذرية الشيخ تاج الدين المالكي[3] من فضلاء أعيان القرن الحادي عشر، وقد انقرضوا أيضاً، وأن أم أبي مولانا المشار إليه، أي أم السيد زيني دحلان كانت منهم، وكذلك أم المرحوم عبد الله لبني ابن أبي بكر لبني[4] جد بني عمنا بيت اللبني الساكنين اليوم بباب السلام كانت منهم ، ومنهما أي من المذكورتين آلت الدار الكائنة بخط سوق الليل بين الزقاقين المنحدرين من زقاق التكية الحقمقية[5] بالاشتراك إلى بيت دحلان من ذرية السيد زيني وبيت اللبني المذكورين ، واحترزنا بسكان باب السلام عن بيت اللبني سكان حارة الشامية[6] جماعة هذا الحقير[7]، فإن جد أبي، وهو الملقب جمعة، هو أخو الشيخ عبدالله المذكور، أبوهما أبو بكر بن جمال بن محمد نور، وأصلهم من الهنود الفُتن تجار بجدة ، يشهد بذلك حجة المشتري

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 461/2.

(2) أي عن يساره يوجد مكتب صغير، وهو علامة الوصول لبيت آل الطبري، ذكر رأس الردم والمدعى صاحب خلاصة الأثر، مرجع سابق، ص 177/2.

(3) عبدالله الغزي المكي الحنفي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط 1، 2009م ، ص 343/6.

(4) انظر: السابق الجزء والصفحة.

(5) انظر الموضع في: عبد الله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 343/6.

(6) الشامية موضع بمكة يشرف على المروة من الشمال على جبل الديلمي، انظر: البلادي: معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ص 12/5.

(7) يعني نفسه، وربما يكون هذا اللفظ إشارة إلى تصوفه .

والوقفية للدار التي هي إلى اليوم بيدنا، الكائنة بجدة في قصبة الهنود، شراؤها كان عام ثمانية وأربعين وألف، ووقفيتها كان عام ثمانية وستين وألف، وليس عندي قطع متى تركوا جدة واستوطنوا بمكة ودخلوا في صنعة الطواف؟ ولا أدري أيضاً عن سبب الاشتهار باللبني، غير أن جدنا صاحب دارنا التي بحارة الشامية كان اسمه أبو بكر بن جمال بن محمد نور اللبني المطوف، وبنى الدار المذكورة في حدود مائة وتسعين وألف، ووقفها عام أربعة بعد المئتين والألف كما هو في حجة شرعية بيدنا، وقد مات وخلَّف ابنين: جدنا محمد جمعة المذكور، وجدهم عبدالله، وبنتين: إحداهما جدة صديق الغفوري الذي كان ساكناً بالمروة وخلَّف ابنيه: عبدالله وصالحاً، والأخرى جدة المرحوم أمين أفندي السبحي ابن عثمان أفندي، من سكان حارة الشبيكة ، وأخبرني أبي وعمي أنه كان لهم شركاء من هنود الفُتن بجدة في الدار الكائنة بجدة، ولما كان ناظرها الشيخ جمال بن عبدالله بن أبي بكر المذكور طالبهم بما يشهد باستحقاقهم، فعجزوا عنه وتركوه، إذ كان جُزئياً لا يعبأ به.

ومن البيوت التي اشتهرت بالفضائل ثم انقرضت - والدوام لله - **بيت القُطبي**، اشتهروا باسم عمهم قطب الدين الشهير من أهل القرن العاشر[1]، صاحب (التاريخ) الذي فصَّل فيه تجديد عمارة المسجد الحرام، وإجراء عين زبيدة إلى مكة، بعد أن كانت خاصة بعرفة والمزدلفة، وكانت لمكة عين حُنين، وهو أيضاً صاحب تاريخ (البرق اليماني في الفتح العثماني)[2]، وابتداء مجاورتهم أواخر القرن التاسع، كما يُشْعِر بذلك بعض أحوال ذكرها في (تاريخه) المذكور،

(1) محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين النهرواني المكي الشهير بالقطبي، ولد عام 917هـ وتوفي عام 990هـ، تولى منصب الإفتاء في مكة، له عدد من المؤلفات بعضها تم تحقيقه والبعض لازال مخطوطاً من أهمها: الإعلام في أخبار بيت الله الحرام ، والبرق اليماني في الفتح العثماني، انظر: الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، بيروت، دار المعرفة، ص 57/2.

(2) يتناول تاريخ اليمن من عام 900هـ الى أول الفتح العثماني على يد الوزير سليمان باشا وكذلك حتى أيام المؤلف، طبع ونشر في بيروت للشيخ حمد الجاسر عام 1380هـ.

وكان منهم الشيخ عبدالكريم القطبي[1] وابنه أكمل الدين[2] وابنه عبدالكريم[3]، وكلهم من أهل القرن الحادي عشر، وفيه طار ذكرهم وانتشر، ولهم كتب (تواريخ) على غير طرز تاريخ عمهم المذكور، وأول من دخل إمامة المقام الحنفي منهم الشيخ عبد الكريم الأول سنة تسعين وتسعمائة، شارك أئمة المقام القدماء، وهم السادة البخاريون[4] وبيت الشيخ أبي سلمة[5]، وكان الأئمة فيه لا يزيدون على أربعة غالباً، وكان الشيخ عبدالكريم حافظاً للمقام عن أن يتطرق إليه مشارك، واجتهد فتحصَّل على خطوط عثمانية بذلك حتى أن الملا مكي بن فروخ[6] أتى بأمر بها عام 1013هـ، فمنعه المذكور استناداً إلى تلك الخطوط، ونعمت هذه الحالة أن روعي فيها الأهلية بالعلم والصلاح، أما بالعكس تقليداً أعمى كما هو المشاهد في زماننا، فبئست فإنا رأينا من الأئمة والخطباء من كان أُمياً لا يقرأ المكتوب ،ولكنه حفظ الفاتحة وبعض سور من المفصَّل[7]، وله من العلم أن أمه ولدته على فراش أبيه العالم الفاضل الخطيب والإمام بالمسجد الحرام، وهم الآن - حفظهم الله - يزيدون على المائة والثلاثين للمقامات الأربعة. وتولى الشيخ عبدالكريم القطبي أيضاً فتوى الحنفي بعد عمه قطب الدين عام 992هـ، وسعى في إحداث معلوم لها من بندر جدة[8]، وحصلت له خُلعة ثانية مع الركب المصري كل عام، ثم أحدث لها صوفان مع مائة دينار مع الصر الرومي، واستمرت مدة طويلة، ولم أدر ما الصوفان؟ وأظنه الفرو المُعَبر عنه بالكُرْك[9] بضم فسكون، وبقي مفتياً إلى

---

(1) انظر ترجمته في: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 8/3.

(2) انظر ترجمته في السابق، ص 422/1.

(3) انظر ترجمته في السابق، ص 474/2.

(4) انظر: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 8/3.

(5) انظر: السابق والصفحة.

(6) هو الشيخ محمد مكي بن فروخ الحنفي، انظره في: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 157/3.

(7) قسم من أقسام القرآن وهي أربعة: 1 -السبع الطوال 2 - المئون 3 -المثاني 4 - المفصَّل.

(8) أي مصروفاً يصرف به على المقام الحنفي وشؤونه.

(9) لم أجد في كتب اللغة التي بين يدي تلك الكلمة بهذا الضبط. وقد تكون من أصل تركي.

أن توفي سنة 1014هـ، ووليها بعده ابنه أكمل الدين، ونُكب لتداخله في الفتنة بين شريفي مكة: إدريس وفهيد، ابني الحسين[1]، وتقلدها بعده الشيخ عبدالرحمن المرشدي، ولعل المراد الإفتاء بالتقليد السلطاني، وإلا فإن الشيخ عبدالرحمن كان يفتي من سنة 1011هـ عام وفاة شيخه الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة[2]، وهو كان مفتيها وابن مفتيها.

وكانت مساكن بيت القطبي بحارة الشامية عند الباب الصغير للمسجد الحرام الذي بالركن الغربي اليماني من الزيادة، وكان اسمه باب الفهود ثم اشتهر بباب القطبي، وهو اليوم كذلك؛ لأن مساكنهم كانت عنده، ومنه يأتون المسجد الحرام، وآخر رجل منهم عبدالكريم القطبي، كان أسود اللون، أمه زنجية، أخبرني بذلك من يعرفه، كان يأوي المقاهي بالخريق أي المحصب[3]، وقد مات، في حدود سنة 1270هـ ألف ومائتين وسبعين، عقيماً، فيقال: كانت له أخت تسمى سعادة، كانت تحت رجل يسمى عبد اللطيف فاغية من أرباب الجوق والأغاني، يتصل ببعض الوجهاء، فأثبت أن زوجته سعادة أخت عبدالكريم، وكان له ولد منها يسمى عبدالنبي، فولدت آخر سماه عبدالكريم باسم خاله، واستولى على جميع أوقافهم، وقد ماتت سعادة وخلّفت ابنيها عبدالنبي وعبدالكريم، مات عبدالكريم عقيماً، وعبد النبي بآخر رمق وله ابن يسمى حسن بن علي بن عبدالنبي فاغية، وبيدهم من أوقاف بيت القطبي ما أبقته يد العدوان، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومن البيوت القديمة المنقرضة بيت المرشدي ويقال المراشدة ، كما كان يقال القطوب لبيت القطبي، والطبور لبيت الطبري، ويقال الآن المرادّة بتشديد الدال لبيت ميرداد ، وأول من قدِم مكة من بيت المرشدي مرشد الدين العمري نسباً[4]،

(1) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 4/403-405.

(2) الطالبي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، مرجع سابق، ص 554/5.

(3) موضع بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب وهو بطحاء مكة، انظر: انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق ، ص 395/7.

(4) انظر: عبدالملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص، 464/4.

قدم من شيراز أوائل القرن العاشر، ومن أبناء [المراشدة] الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد ، أما الشيخ عبد الرحمن فقد سبق ذكره غير مرة، وأما الشيخ أحمد بن عيسى[1] فكان أيضاً من الفضلاء، وكان يتولى القضاء نيابة بمكة؛ ولذلك اشتهر بالقاضي أحمد بن عيسى، وكانت داره بسويقة، فإني رأيت في تاريخ الشيخ علي الطبري المنقطع أواسط القرن الثاني إذ يعدد الآبار الموجودة بمكة، قال: «ومنها بئر بسويقة تحت دار الشيخ أحمد المرشدي»[2] وعليه فقد كانت داره في موضع الدكاكين الجديدة الواقعة عن يمين الذاهب من سويقة إلى باب الزيادة إلى المسجد الحرام التي هي الآن في استحقاق بيت عبد الشكور المدني[3]، ومنهم بيت الشوربجي[4]، واشتهر بالفضل من بيت المرشدي أيضاً الشيخ حنيف الدين[5] ابن الشيخ عبدالرحمن والمتولي الفتوى بعده، ثم الشيخ إمام الدين[6] ابن الشيخ أحمد المتولي الفتوى أيضاً بعد حنيف الدين، ثم لم يشتهر منهم أحد، لكن مكانتهم ووظائفهم محفوظة إلى أن انقرضوا أواخر القرن الثاني عشر.

ومما ينسب إليهم المرشدية قرية من قرى وادي مر الظهران، ذات عين لا بأس بها، وهي بقرب الشميسي[7] من طريق جدة، ويذهب إليها منه، وبيت ابن ظُهيرة (بالتصغير) القرشي المخزومي، وهو بيت قديم لا أعلم أوله، وكان منهم علماء وأفاضل في المذاهب الأربعة، وكانوا هم وبيت الطبري وبيت النويري القائمين بالخطابة بالمسجد الحرام، لا يشاركهم فيها غيرهم إلى حدود سنة 1041هـ[8]،

---

(1) انظر: السابق، ص 460/4.

(2) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 347/6.

(3) البيطار: **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق: محمد بهجة البيطار، بيروت، دار صادر، ط 2، 1993م، ص 555.

(4) أي من بيت عبدالشكور مدني، فمن الممكن أنهم نُسبوا إلى صنعتهم في حين أنهم من بيت عبدالشكور.

(5) علي بن أحمد بن محمد معصوم، **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، مرجع سابق، ص 55.

(6) عبدالله أبو الخير: **المختصر من نشر النور والزهر**، جدة، عالم المعرفة، ط 2، 1406هـ، ص 133.

(7) منطقة الشميسي هي التي بين جدة ومكة، انظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، مرجع سابق، ص 96/5.

(8) عبدالله الغزي المكي الحنفي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام**، مرجع سابق، ص 348/6.

وكان فيهم قضاة ومفتون، ومنهم القاضي أبو السعود ابن ظهيرة[1] الذي كان طاف بالسلطان قايتباي[2] لما حج سنة 884هـ، وكان يلقِّنه الأدعية، وعلى ذلك فهو خير سلف للمطوفين، ومنهم الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة[3]، كان مفتي الحنفي أول القرن الحادي عشر، وكان منهم يومئذٍ كَتَبَة المحكمة الشرعية في ذلك العصر كما يدل عليه ما هو مذكور في ترجمة عبد الرحمن بن عتيق في (خلاصة الأثر)[4]، وقد انقرضوا أواخر من عرفناه منهم على ما أخبرني به بعض من يوثق به في مثل ذلك، الشيخ أحمد الحنبلي[5]، كان إمام مقام الحنبلي إلى أن توفي منذ ثلاثين سنة تقريباً، وكان في صباه من خيار الناس، وخلف ابنه صالحاً في الاسم لا في السيرة، يمضي أكثر أيامه محبوساً في جريمة إلى أن مات عقيماً.

وبيت المنوفي قدِم جدهم الشيخ محمد بن أحمد المنوفي الشافعي مكة أول القرن الحادي عشر، وكان عالماً فاضلاً فاشتغل بالتدريس والإفادة والاستفادة بالمسجد الحرام، ثم سافر ودرَّس بدمشق وكانت له قصة مع أهل الشام ذكرها في (خلاصة الأثر)[6]، وترجمه ابن معصوم وقال: «هو جدي لأمي... إلخ»[7] وترجم ابنه عبدالجواد المنوفي[8]، وكان لبيت المنوفي حظوة عند أمير مكة يومئذٍ الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن[9] وبها حصلوا على وظيفة الإمامة، وشاركوا

(1) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 162.

(2) نجم الدين محمد بن محمد الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ – 1997م، ص 301/1.

(3) الطالبي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، مرجع سابق، ص 554/5.

(4) انظر: ص 361/2.

(5) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 348/6.

(6) انظر: ص 359/3.

(7) علي بن أحمد بن محمد معصوم، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ، مرجع سابق، ص 74.

(8) السابق والصفحة.

(9) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 436/1.

الطبريين في المقام الإبراهيمي ثم في الخطابة، وكانت لها ضجة حتى إنه خطب مرة، ثم لزم الحال أن الشريف الذي أعطاه الوظيفة أمره بالتخلي عن الصلاة وصلى غيره[1]، وسمعت من بعض الكبار أنه كانت عادة أمراء مكة أن لا يجلس معهم يوم الجلوس العام في الروشن[2] سوى بيت الطبري، إلى زمن الشريف زيد، فكان يوم جمعة وحضر الطبريون، فوجدوا المنوفيين قد أخذوا مجلسهم، ولم يفُسح لهم ، فاصطفوا تجاه الأمير، وأنشد كبيرهم هذين البيتين:

كانت بني حسن مجالسكم بها　　　زين الرجال يزين عند خطابها

وإذا تقدمت القحوف وأخرت　　　شم الأنوف فدورها أولى بها[3]

ورجعوا القهقرى ولم يرجع أحد منهم إلى مجلس الإمارة أبداً - رحمهم الله تعالى[4] - وكان بيد بيت المنوفي وظائف جمة منها: خدمة رباط العباس الواقع عند الميلين الأخضرين محل الهرولة في السعي بين الصفا والمروة[5]، وقد انقرض رجالهم وبقيت امرأة واحدة فقيرة.

وبيت الباطشة جدهم السيد صادق بن أحمد بن محمد مير بادشاه[6] الذي كان مفتي مكة في القرن الحادي عشر، وكان من أجلاء فضلاء وقته، وجده محمد مير بادشاه[7] صاحب (الحاشية على البيضاوي) من كبار أهل التحقيق، أخذ الفتوى بعد الشيخ حنيف المرشدي المتوفى 1097هـ بالمدينة المنورة، وهو أخذ الفتوى سنة 1044هـ بعد أبيه الشيخ عبدالرحمن المقتول سنة 1037هـ كما مر، ومنها إلى

---

(1) علي بن عبدالقادر الطبري ، **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تحقيق: أشرف أحمد الجمَّال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ط 1، 1416هـ/ 1996م، ص 187.

(2) معنى الروشن: الرف، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (رشن).

(3) وجدت البيتين في: عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 349/6.

(4) لم نجد في أي من كتب التاريخ - التي تحت يدنا - إشارة إلى هذا الحدث فقد أشار اللبني لمصدر سماعي، كما أن الطبري لم يذكر ذلك بالرغم من إشارته لحادثة تصدر المنوفي للخطبة.

(5) هو رباط أقيم موضع بيت العباس - رضى الله عنه - بجانب المسعى، انظر: الأرج المسكي، ص 70.

(6) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 201.

(7) السابق والصفحة.

سنة 1044هـ لعله كان يباشرها بدون تقليد سلطاني، وتوفي السيد صادق بادشاه سنة 1079هـ، وولي الفتوى بعده الشيخ إمام الدين ابن الشيخ أحمد بن عيسى المرشدي إلى سنة 1085هـ، وبعده الشيخ إبراهيم البيري[1] وكان هذا من أكابر الفضلاء له الحاشية الشهيرة على (الأشباه والنظائر) لابن نجيم[2]، ولا نعلم له نسلاً بمكة، كان له ولد نجيب توفي في حياته وحزن عليه، وهو كان عُزل عن الفتوى زمن الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات ابن أبي نُمي[3]؛ لما كان بينه وبين الشيخ محمد بن سليمان المغربي[4] الأخذ بزمام الأمور أيام الشريف بركات، وكان الشريف يومئذٍ بمنزلة الصفي، وتوفي الشيخ إبراهيم البيري سنة 1099هـ.

هذا وقد حرَّف الناس لفظة بادشاه بباطشة وصاروا يقولون لذرية الشيخ صادق المذكور بيت الباطشة والبواطش، وآخر رجل منهم كان اسمه: السيد عبدالله باطشة من سكان حارة الشامية ومن أبطالها في الهوشات ، وكان بيتهم موضع دار السيد علي نائب الحرم[5] اليوم ، خرب واستبدلوه بغيره، وقد مات السيد عبدالله المذكور وخلف بنات بعضهن موجودات.

وبيت عتاقي، قدم عتاقي أفندي[6] من الروم منتصف القرن الحادي عشر وتولَّد بها ابنه عبدالله أفندي عتاقي زاده[7] فطلب العلم واشتهر فضله، وتولى فتوى الحنفي بعد الشيخ إبراهيم البيري ومكث مفتيًا إلى أن توفي سنة 1108هـ، وكان له ابن يسمى أسعد أفندي عتاقي [8]، وكانت ذريتهم الذكور موجودين بمكة إلى أوائل القرن الثالث عشر، وكان لهم عقار ووقف دور وبساتين بمكة والطائف

---

(1) الحسيني: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية، ط 3، 1408هـ - 1988م، ص 66/3.

(2) حققه ووضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، عن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م.

(3) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 436/1.

(4) السابق، ص 30/1.

(5) عبد الله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 351/6.

(6) السابق والصفحة.

(7) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 569/1.

(8) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 351/6.

وثروة عظيمة يبالغون فيها، ومنها دور ودكاكين في ساحة قاعة الشفا من حارة الشامية[1] ومنها دار عظيمة عند مدخل زقاق رضوان بك[2] بسويقة، وهي كلها اليوم بيد رجل اسمه زيني عيد[3]، لعله من ذريتهم من البطون، ومنها الدار التي بناها المفتي عبدالله أفندي المذكور بجنب دار الخيزران[4] بقرب الصفا، ولكنها انتقلت عنهم، وأعرفها بيد الشيخ عباس بن عبدالعزيز ميرداد[5] واحترقت، فباعها أولاده، واشتراها أحد الجاويين وعمَّرها، فهي الآن من أوقاف الجاوي، وكنت أسمع وأنا صغير بامرأة هي أم لأحد بيوت مخلص تُدعى عتاقية[6].

وبيت السنجاري أول من عُرف منهم بمكة الشيخ تقي الدين السنجاري ابن يحيى بن إسماعيل بن عبدالرحمن[7]، كان عالماً فاضلاً، ترجمه ابن معصوم في (السلافة)، لكنه حطَّ من قدر عقبه، فتعقبه علي بن تاج الدين بن تقي الدين المذكور[8] كما ذكره في (خلاصة الأثر)، ولهم عقار وقف بمكة إلى الآن مشهور باسمهم، وهو حوش بأول زقاق المسفلة الموصِّل إليها من السوق الصغير عن يمين الذاهب فيه، وقبالته عن يسار الذاهب الحوش المعروف بحوش العَمْري، مشتمل حوشهم على بيوت مطلة طاقاتها على أول الهجلة[9] محل بيع الحشيش والبرسيم، وهو اليوم بيد ذريتهم من البطون خوقير والجرتلي وغيرهما، وتاريخ السنجاري من تواريخ مكة انقطع في حدود سنة 1127هـ[10].

(1) حارة بمكة المكرمة بمنطقة العزيزية، انظر: عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 351/6.
(2) كان موجودا بالسويقة ، انظر المرجع السابق والصفحة.
(3) انظر: السابق والصفحة.
(4) انظر: الأرج المسكي، ص 70.
(4) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 352/6.
(5) السابق والصفحة.
(6) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 475/1.
(8) السابق، ص 476/1.
(9) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 352/6.
(10) وهو بعنوان: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري المتوفى سنة 1125هـ، وقد حققه: جميل المصري، وماجدة زكريا، ونشر في أربعة مجلدات عام 1998هـ من قبل مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

وبيت حميدان كانت لهم صولة آخر القرن الحادي عشر وأول الثاني عشر، وأظن أن أصلهم من المغرب، كان منهم الوزير عثمان حميدان، كان يقال له الجلبي بالجيم الفارسية وعين الرؤساء، وهو الذي أنشأ البستان الذي عند بركة ماجن[1] وكان يقال له المنشية، وكان لهم عقار عظيم بمكة وجدة والطائف كله قد تناقلته الأيدي، ومنه الرباط للنساء الذي بعلو حارة الشامية[2]، ولهم عقار بيد أولاد المرحوم الشريف منصور بن يحيى بن سرور[3]، وهم من بطونهم، فإن أم الشريف منصور منهم، وكان لهم ذرية معاتيق منهم: سليمان حميدان[4] وابن أخيه وقد توفيا، ومن بطون هؤلاء بيت الفوال بسوق الصغير استولوا على العقار الذي كان بيدهم، وهو بسوق الصغير بقرب الدكاكين وقف الشيخ تاج يسكنه جزَّارة وخُضرية.

أما السادة البخاريون الذين كانوا أئمة مقام الحنفي فلا أعلم لهم خلفاء إلا أن يكون الصاغة أولاد السيد عبدالله البخاري[5]، وكذا بيت أبي سلمة والنويريون إلا أن يكون السادة الوقادون منهم، والله أعلم، وهو الباقي بلا زوال.

أما **البيوت الموجودون** فنأتي على المشهور منهم، وقد تقدم لنا ذكر السادة والأشراف، وتقدم لنا ذكر عائلتنا بيت اللبني؛ لمناسبة بيت الطبري، وأحق من يبتدأ به الآن الشيبيون صاحبو مفتاح الكعبة، أي آل شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجي، واسم الجد طلحة بن عبدالله بن عبدالعز بن عثمان بن عبدالدار بن قصي، أخذ شيبة المفتاح لما مات ابن عمه عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة، قال الحافظ ابن حجر[6]: إن أبا طلحة كان له ولدان عثمان وطلحة، أتى عثمان بشيبة، وأتى طلحة بعثمان الذي أسلم مع خالد بن الوليد، وكان بيده المفتاح يوم فتح مكة،

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 27/4.
(2) الأرج المسكي، ص 75.
(3) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 352/6.
(4) السابق والصفحة.
(5) السابق والصفحة.
(6) العسقلاني: تهذيب التهذيب، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط 1، 1326هـ، ص 376/4.

وأخذه منه النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم رده إليه لما نزلت ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[1]، وقال - صلى الله عليه وسلم - يومئذ: «**خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم**»[2] فالحجابة في الأصل لكل بني عبدالدار واختصت ببني أبي طلحة منهم بهذا الحديث، ثم اختصت ببني شيبة؛ لأن عثمان بن طلحة مات عقيماً، وهي إلى اليوم في بني شيبة، قال الشمس الحطاب المكي المالكي[3]، ولا التفات إلى قول بعض المؤرخين إن عقبهم انقطع في خلافة هشام، فإنه غلط فقد قال مالك[4]، وهو ولد بعد هشام بنحو عشرين سنة: لا يُشرك مع الحجبة في الخزانة أحد؛ لأنها ولاية منه - صلى الله عليه وسلم - وذكر ابن حزم[5] وابن عبدالبر[6] جماعة منهم في زمانهما، وهما عاشا إلى ما بعد النصف من المائة الخامسة، وكذا ذكر العلامة القلقشندي[7]، وعاش إلى أول المائة التاسعة جماعة منهم اجتمع بهم بمكة، ولا دلالة لزاعمي ذلك بإخدام سيدنا معاوية - رضي الله عنه - الكعبة عبيداً[8]؛ لأن إخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم، وكثيراً ما يقع في كلام المؤرخين كالأزرقي[9] والفاكهي[10] ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير، انتهى.

---

(1) سورة النساء: الآية (58).

(2) الطبراني: **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، ص 155/1.

(3) الحطاب المالكي: **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، القاهرة، دار الفكر، ط3، 1992م، ص 329/3.

(4) انظر: مالك الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سابق، ص 109/1. وما جاء فيها من الآثار.

(5) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1403هـ – 1983م، ص 127.

(6) القرطبي: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1992م، ص713/2.

(7) القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبنانية، ط 2، 1980م ، ص 310.

(8) مالك الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سابق، ص 253/1.

(9) انظر على سبيل التمثيل: مالك الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سابق، ص 233/1.

(10) انظر على سبيل التمثيل: الفاكهي: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبدالملك عبدالله دهيش، بيروت، دار خضر، ط 2، 1414هـ ، ص 352/1.

وما يُنقل عن تاريخ القطبي[1] فغير موجود في تاريخ قطب الدين، وإن وجد في أحد تواريخ أبناء أخيه فهم من مقتضيات المعاصرة لم يسلم لهم، وقد وقع أثناء القرن الثاني عشر أن نزع بعض الملوك الأشراف المفتاح[2] من صاحبه وأعطاه الآخر منهم، فلم يصدق عليه أنه نزعها منهم، وكذا في أيامنا أخذ المرحوم مولانا وسيدنا الشريف عون بن محمد[3] المفتاح من صاحبه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ودفعه إلى ابن عمه الشيخ محمد صالح ابن الشيخ أحمد هذا، وقد انحصر نسل شيبة في ذرية الشيخ محمد بن أمين الشيبي الذي كان أول القرن الثالث عشر صغيراً قاصراً وتربى في حجر الشيخ محمد الشامي من التجار المثرين، لعله كان وصياً عليه، فجميع الشيبيين الموجودين اليوم من نسل الشيخ محمد بن أمين المذكور، فصاحب المفتاح اليوم أكبرهم سناً الشيخ محمد صالح ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد، ورديفه الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد، وله ابنان الشيخ حسن والشيخ عبدالله، وللشيخ محمد صالح ابن واحد وهو الشيخ محمد، والساكنون بقرية الهدى الشيخ محمد سعيد والشيخ عبدالغني أبناء الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد، وكان لهما أخ توفي غائباً بتونس اسمه الشيخ زيني، وكان لهم أيضاً أخ هو أكبرهم الشيخ عبدالرحمن صاحب المفتاح قبل الشيخ محمد صالح، مات وخلف ابنه الشيخ جعفراً، وكان صاحب المفتاح قبل الشيخ عبدالرحمن الشيخ عمر ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ محمد، وقبله كان عمهم الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد، وقبله أخوه الشيخ أحمد[4]، ومن الجائز أن يوجد لشيبة ذرية آخرون هاجر آباؤهم للآفاق وبقوا هناك فتناسلوا، لكننا لم نسمع بشيء منه، ولا حفظت التواريخ مثله، وهو مما يثابر عليه، وذكر العلامة الشيخ الملا علي

(1) لم نجد ما ذكر في كتاب القطبي.

(2) انظر الواقعة في عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 354/6.

(3) السابق والصفحة.

(4) انظر كل هذه الأعلام السابقة في **الإفادة** على الترتيب الذي وردت به هنا، ص 354/3.

القاري[1] في شرحه على شرح نخبة الفكر في مصطلح الحديث والأثر[2] حكاية مناسبة اشتباه الأسماء والألقاب: أن رجلاً من أهل اليمن ادعى أنه شيبي وأقام شاهدين عند قاضي مكة، شهدا على السماع بأنه من ذرية بني شيبة، وأنه أكبر العائلة، وحكم له بذلك، وقارب أن يأخذ المفتاح ولكنه أدركته منيته فمات وتخلصوا منه، وفي زماننا جاء رجل من المغرب تونسي وادعى ذلك، وأبرز حجة محكوم له فيها أنه شيبي، واستدعى في مشاركة ومزاحمة بني شيبة في مخصصاتهم وجميع مصالحهم، وعند التدقيق في الحجة المذكورة في دار الفتوى بالآستانة دار السلطنة، لم تصلح أن تكون مداراً للعمل، وأمر شيخ الإسلام بإبطالها وعدم اعتبارها، وصار التعليم إلى النواب في جميع الممالك العثمانية بعدم استماع هذه الدعوى إلا في محكمة مكة، ومنشأ ذلك أن الشهادة على النسب شرعاً يجوز أن تكون على التسامع والشهرة، وقد يشتهر الإنسان بأنه من قوم وهو مولى لهم أو خادم، وهو مشاهد في زماننا في عبدالنبي الشيبي وأولاده وهو عتيق، وفي آخر كان خادماً عندهم، فليكن الشاهد بناءً على التسامع على بصيرة من أمره، وليتقِ الله ربه، والله الموفق.

أما الشيخ محمد الشامي الذي سبق أنه ربى الشيخ محمد الشيبي فمن ذريته رجل من الصاغة اشتهر بطبلة ، وكان له أيضاً ابن يحيى شامي الذي كان عطرياً بباب السلام، وبنته فاطمة الشامية تزوجها المرحوم الشيخ جمال لبني بن عبدالله لبني المار ذكره، ومنها أولاده محمد وعبدالله وعمر وعلي، ومنها آلت لهم الدور بباب السلام من أوقاف قلاوون.

ومن البيوت القديمة بيت **نائب الحرم**، يقال: إنهم من سادات الشام بحسب الأصل - والله أعلم - ومعنى نائب الحرم أنه نائب في أمور المسجد الحرام عن الأمير مثلاً، فإنه كان يقال للوالي شيخ الحرم، والحرم غلب على المسجد الحرام،

---

(1) هو علي بن سلطان محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، انظر: المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 108/3.

(2) انظر الحكاية في: الملا القاري: **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، بيروت، دار الأرقم، ص 776.

والوظيفة تكون لأكبرهم سناً، ومن يليه سنا فهو قائم مقامه، وعندهم أوامر سلطانية، ووظيفتهم هذه عبارة عن رياسة على جميع موظفي المسجد الحرام من كنّاس وشاد[1] وبواب وفراش وإمام، وخطيب، ومؤذن، لا كما يتوهم أنه نائب شرعي بناءً على أن الحكام الشرعيين في الممالك العثمانية نواب عن شيخ الإسلام أوعن أحد قاضيي عسكر روم إيلي أو أنا طولي[2]، وكل واحد من هذه العائلة ولو مولوداً لا يخلو عن وظيفة بالمسجد الحرام كناس أو شاد.. إلخ. ورئيسهم اليوم أكبرهم سناً حضرة السيد إبراهيم ابن المرحوم السيد علي نائب الحرم والذي عرفنا بقدم عائلتهم واشتهارهم بهذا الاسم حكاية رأيتها في تاريخ بعض الطبريين[3] وكان في أوائل القرن الثاني عشر، قال: ومما اتفق في زماننا أنه في ليلة ختم التراويح في خَسَفة الشريفة فلانة[4] تدافع السيد أحمد نائب الحرم مع الشيخ عبدالقادر الشيبي في التقدم في المكان والجلوس حتى طاحت عمائمهما في الأرض، وبعد أن أتم الحكاية أخذ يبين من له حق التقدم في المراسم السلطانية التي تصير بالمسجد الحرام، وأن بيت الشيبي هم أحق بالتقدم على جميع أهل المناصب إلى آخر ما قال[5]، ورأينا في زماننا من يكادون أن يتلاطموا أو يتلاكموا في المجالس، وإن كانت غير رسمية، وما ذاك إلا لعطلهم عن الفضل، وظنهم أن بذلك بِشّر قدرهم، وتُحفظ مكانتهم، اللهم اهدنا إلى سواء الصراط.

وبيت **العجيمي** وأول من اشتهر منهم العلامة الرحالة الفهامة أبو الإخلاص مولانا الشيخ حسن بن علي العجيمي[6]، وشهرته عند أهل الآفاق من الأفاضل أكبر

---

(1) في اللغة الأوردية الشاد هو الخادم، وربما كان هذا هو مصدر هذه الكلمة.

(2) روم إيلي و أناطولي هما ولايتان عثمانيتان كانتا مصدران من مصادر القضاء آنذاك.

(3) لم أجده في كتاب الأرج المسكي.

(4) الخسفة: مايصنع من خسف النخل، ويبدو أنه يعني مصلى فرشته إحدى الشريفات بالخسف ولذا سُمي باسمها.

(5) انظر القصة كاملة كما وردت هنا في : عبد الله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 1359/6.

(6) انظر: عبد الله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 358/6.

من شهرته بين أهل مكة، فإنه كان - رحمه الله تعالى - كثير التلقي والاجتماع والإجازة والاستجازة من أهل الآفاق الواردين مكة لأداء الحج من كل فج، فلا نكاد نجد سنداً من سندات العلوم إلا وتتصل سلسلته به - رحمه الله - ولد في شهر ربيع الأول سنة 1050هـ بمكة، وتوفي بالطائف في شوال سنة 1113هـ، يترجم نفسه - رحمه الله - في تعليقة له سماها: (إسبال الستر الجميل على العبد الذليل)[1]، نسبها بعض حفدته لنفسه، واسمها يُشعر بأنها له ، **والفقير كتبتها بخطي، وكتبت بذيلها عدة قرائن تدل أنها له نفسه**[2]، **وألحقتها بما يناسبها**، ومن جملة ذلك اجتماعه بالشيخ عبدالغني النابلسي[3] سنة 1105هـ، وما أجازه به نظماً هو وبنيه، وقد ذكر لنفسه فيها سبع بطون كلهم مكيون وأنهم كانوا شافعيي المذهب تحنفوا، وأبوه الشيخ علي كان مؤذناً بالمقام الحنفي، وهم من قدماء الأئمة في المقام الحنفي، ولعل أول من دخله منهم كان بعد الشيخ حسن المذكور. وكانت مساكنهم في شعب علي، كما يدل على ذلك قوله في تلك التعليقة أنه ولد هناك، أما الآن فمساكنهم بحارة الشامية بالزقاق المسمى قديماً بزقاق الناشف، ويخرج منه إلى حارة القرارة، وكان منهم الشيخ عبدالحفيظ العجيمي[4] أحد علماء القرن الثالث عشر، وكان ممن يقوم بفتوى الحنفي بعد شيخه الشيخ عبدالملك القلعي[5]، وتولى القضاء نيابةً بمكة المكرمة مرات [ومنهم صاحبنا الفاضل الشيخ درويش[6]أمين الفتوى حالاً][7]، ومنهم عبدالحفيظ غير الأول هو وأخته الشيخة أم الحسين ولدا الشيخ حسين العجيمي، وأمهما من ذرية الست نجم النساء من ذرية الشيخ تاج الدين المالكي

(1) انظر: مخطوطة مجامع 6، مكتبة مكة المكرمة.

(2) انظر: مخطوطة مجامع 6، مكتبة مكة المكرمة.

(3) انظر ترجمته في: الحسيني: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، مرجع سابق، ص 30/3.

(4) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 331.

(5) البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، مرجع سابق، ص 1044.

(6) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 194.

(7) كانت في الحاشية، أثبتناها في المتن.

الشهير بابن يعقوب[1] وبهذه المناسبة استولى ذريتهما على الدارين والقهوة التي عند مدخل زقاق الوزير عن يمين الذاهب إلى سوق الليل بعد أن يمر تحت السقيفة في أول زقاق الصيني[2].

وبيت **الزرعة** أول من جاءنا التاريخ بخبره منهم الشيخ محمد بن أحمد الزرعة الذي دخل على الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات[3] حين ولي مكة أواخر القرن الحادي عشر و تمثل بين يديه بآية: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾**[4] فاستبشر يومئذٍ بذلك واستسر، ثم كان ما كان حتى قتله ، وكان منهم تجار أهل ثروة بالطائف، وكان افتدى رجلُهم يومئذٍ كثيراً من أهل الطائف بماله، [من][5]، ولهم بالطائف عقار معروف لكنه انتقل إلى غيرهم، ومنهم الشيخ أبو بكر الزرعة[6] شاعر شهير في أهل القرن الثالث عشر ،وولداه الشيخ محمد والشيخ محمد علي[7] من أئمة المقام الحنفي، وكان الشيخ محمد رئيس الخطباء، ومنهم الشيخ تقي الدين الزرعة[8]، كان إماماً أيضاً، وكان من أماثل المطوفين، ساكناً بحارة القشاشية، وقد مات وله ذرية اشتهروا ببيت تقي، ولم يبق لهم من عقار أسلافهم سوى دار بمكة بخط المدعى بُعيد رأس الردم، ذاهباً إلى المعلا عن يمينك عند رأس الزقاق الشهير اليوم بزقاق غراب، وتحتها حوطة ذات

(1) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 359/6.

(2) السابق والصفحة.

(3) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 529/4.

(4) سورة النساء: الآية (54).

(5) زائدة

(6) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 63.

(7) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 361/6.

(8) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 155.

محراب من المآثر القديمة وذلك الموضع اليوم مشهور بالجودرية وسوق بيشة. ومن عقاراتهم داران بحارة الشامية، هما اليوم بيد بيت المرغني، وهم من بطونهم فيما أرى، أحدهما بزقاق رضوان بيك، كان ساكناً بها السيد علي بن محمد بن عبدالله الميرغني [1]، والأخرى بخط سويقة فيما بين باب الزيادة وباب القطبي.

وبيت **مرداد** الذين منهم حضرة أستاذي وأبي روحي سيدي ومولاي الشيخ أحمد أبي الخير ابن المرحوم الشيخ عبدالله ابن صالح ميرداد [2]، وهم عائلة كبيرة أغلبهم أئمة بالمقام الحنفي وخطباء، ومشيخة الخطباء فيهم لا تتجاوزهم في الغالب، وهي اليوم عند شيخي المذكور، والقائم بذلك نيابة عنه ابنه الشيخ عبدالله؛ لعدم قدرته على الخروج إلا في الجمع والأعياد، والذي اشتهر بالعلم منهم هو شيخنا المذكور، وأبوه الشيخ عبدالله. وابنه أيضاً لا بأس به، وأيضاً المرحوم الشيخ محمد علي ابن الشيخ سليمان مرداد المتوفى سنة 1294هـ قبل أن يبلغ الأربعين، وقد قرأت عليه (مراقي الفلاح) [3] وقطعة من شرح ملا مسكين على (الكنز) [4]، وخلف ولدين: أحدهما الشيخ أمين وهو أيضاً لابأس به، والآخر محمد صالح، غائب [5] بالهند مدة طويلة، وكان مواظباً درس الحقير [6] في الفقه وغيره، ويظهر من شهرتهم بميرداد أنهم سليمانيون من الأفغان في الأصل، ولم أرَ لهم سلفاً قديماً في (تواريخ) مكة، فلعل ابتداء شهرتهم كان أول القرن الثالث عشر.

ومثلهم في ذلك **بيت سنبل**، لكن هؤلاء كان اشتهر منهم أفاضل في آخر القرن الثاني عشر، من أجلّهم مولانا المرحوم الشيخ طاهر سنبل [7]، فإنه من محققي

(1) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 361/6.
(2) عمر عبدالجبار: **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة**، مكة المكرمة، مؤسسة مكة، ط 2، 1385هـ، ص 62.
(3) الشرنبلالي: **مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح**، اعتنى به ونشرته المكتبة العصرية، عام 2005م.
(4) محمد الفراهى ملا مسكين: **شرح كنز الدقائق: شرح ملا مسكين على كنز الدقائق**، عمان، مؤسسة الوراق.
(5) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 134.
(6) يقصد نفسه.
(7) عمر عبدالجبار: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، مرجع سابق، ص 154.

وقته، ونسخته (صحيح البخاري) كانت مرجعاً في بابها، وكان كثيراً ما يرجع إليه في الفتوى مع أن المفتي الحقيقي يومئذٍ الشيخ عبدالملك القلعي[1]، وتوفي الشيخ طاهر المذكور بالطائف سنة 1218هـ، وله ذرية كثيرة بمكة وبالمدينة وحواش كثيرين.

وبيت المفتي هم عائلة كبيرة فيهم من هو أهل الأدب واللُطف، واشتهروا بهذا اللقب؛ لأن فتوى الحنفي بقيت في بيتهم ما ينوف عن ثمانين سنة، وأصلهم من الهنود الفُتن التجار أهل الثروة كما تشهد بذلك أوقافهم وعقاراتهم، وأول من ظهر منهم بين أهل مكة أبو بكر بن عبدالقادر بن صديق[2]، ظهر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وربما قيل له شيخ الهنود، رأيت ذلك في (تاريخ الطبري) وغيره، وأنه كان من أهل الخير والبر لأهل مكة يحب خدمتهم وإسداء المعروف لهم، فكان يداخل الحكام ويقوم كثيراً بتقسيم ما يرد لأهل البلد من جراية وصدقات بنفسه لا في مقابلة شيء حتى اشتهر بذلك وصار معروفاً عندهم، ثم تزوج ببنت الشيخ حسن العجيمي المار ذكره، وتولَّد منها له ابنه الشيخ عبدالقادر أفندي المفتي، فأخذ عن جده المذكور العلوم وبه تخرج، فكان من أفراد أهل زمانه علماً وأدباً، وفي سنة 1106هـ ألف ومائة وست صار من الخطباء في قصة سردها الطبري والسنجاري وغيرهما[3]، وهي أن رجلاً اسمه صبغة الله كان له وظائف شتى وكَبُر ولم يكن له ولد، وهو من عائلة قديمة ، وكان يختلف إليه غلام من أولاد الحارات يخدمه، فنزل معه إلى المحكمة الشرعية وفرغ له عن جميع الوظائف التي بيده، وسمع بذلك وجوه مكة فلم يرضوه، واجتمعوا على الرجل وعنفوه، فقال: أنا رجل فقرت، فعرفوه إنه مختلط، فأتوا به المحكمة وأبطلوا ذلك الفراغ وحجروا عليه، ورتبوا له نفقة كل يوم غرشين، وتفرقوا الوظائف، فأخذ الخطابة الشيخ عبدالقادر أفندي المذكور وخطب أول خطبة، خطبة حافلة بليغة أقر له[4] بذلك

(1) سبق ذكره.

(2) عبدالله الغزي المكي الحنفي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام**، مرجع سابق، ص 363/6.

(3) السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، مرجع سابق، ص 205/5.

(4) تكرار له. وتم حذفها.

فضلاء عصره، ثم بعد سنتين توفي المفتي عبدالله أفندي عتاقي زاده، فتوجهت إليه الفتوى سنة 1108هـ ألف ومائة وثمان وبقي[1] مفتياً إلى سنة 1118هـ، فتقلدها الشيخ تاج الدين ابن عبدالمحسن القلعي بأمر سلطاني ، جاء به بنفسه من دار السلطنة، ولما وصل ينبع وقد أظله شهر رمضان نزل من المركب وركب النجائب إلى مكة حتى أدرك ليلة ختم السلطان[2] وتصدر به في المجلس السلطاني، ثم بعد سنتين رجعت الفتوى إلى الشيخ عبد القادر أفندي بأمر سلطاني أيضاً، وبقيت عنده إلى أن توفي سنة 1138هـ، فتقلدها ابنه يحيى أفندي سنة 1141هـ، ثم تقلدها الشيخ عبدالمحسن ابن الشيخ تاج الدين القلعي مدة يسيرة، ثم تقلدها الشيخ علي مفتي بن عبدالقادر أفندي إلى أن توفي سنة 1187هـ، فتقلدها الشيخ عبدالقادر ابن يحيى إلى أن توفي سنة 1192هـ، فتقلدها يومئذٍ مولانا الشيخ عبدالملك ابن الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ تاج الدين القلعي وهو يومئذ كما قيل[3]:

فلم تك تصلح إلا له ولم يكُ يصلح إلا لها[4]

وتبين بذلك أن الفتوى إنما دخلت بيت هؤلاء[5] عام ألف ومائة وثمانية وخرجت ولم تعد [إلا][6] عام ألف ومائة واثنتين وتسعين، فهي أربع وثمانون سنة، فيها المدد التي تولاها الشيخ تاج الدين وابنه الشيخ عبدالمحسن القلعي، وقبل ذلك لم يكن أحد منهم مفتياً - وقد استقصينا فيما سبق من تولاها في القرن الحادي عشر - وإنما كانوا تجاراً من الهنود الفُتن، وما يزعمون من النسبة إلى الصديق فغير صحيح، ولا أصل له، إلا يكون مرادهم النسبة إلى جدهم صديق، جد الشيخ أبي بكر بن عبدالقادر، وكثير من الهنود الفُتن ينتحلون هذه النسبة؛ لأن

(1) بقي: كانت في الحاشية وأثبتناها في المتن.

(2) يبدو أنها ليلة تنسب إلى السلطان العثماني وفيها يختم القرآن وربما تكون ليلة سبعة وعشرين.

(3) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 365/6.

(4) ديوان أبي العتاهية، مرجع سابق، ص 375.

(5) يعني بيت عبدالقادر صديق.

(6) أضفنا كلمة [إلا] لكي يستقيم المعنى.

من يُسمى بصديق عندهم كثير، ومن عجب أن بعض جهلتهم عمد إلى حجة من حجج أوقافهم كأنَّ الواقف عبدالقادر صديقٍ أو ابنه أبا بكر - [و][1] الشك مني لبعد عهدي بها وتاريخها مقدم عن زمن تقلدهم الفتوى - فحك الفُتني وأصلحه بالمفتي إصلاحاً ينتقده الجهال فضلاً عن فضلاء الموثقين، يوهم أن الفتوى قديمة في بيتهم، ولعمري ما ينفعهم ذلك وما يفيدهم وقد أضحوا عارين عن مجد أسلافهم، وفيهم من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، ويزاحم الصدور فيُزجر ولا يتوب، أنف في السماء واست في الأرض، لا يعرف الطول من العرض، ولا يميز السنة من الفرض.

أما مثابرتهم على إطلاق لفظ أفندي على الصغير منهم والكبير فلا ننازعهم فيه، وإن كان هذا اللفظ خاصاً عند الأتراك بمن يقرأ ويكتب وإحراز بعض الفضائل؛ لأن هذا كان اصطلاح أهل مكة في الأئمة والخطباء .

أما **بيت علان** فنسبتهم إلى الصديق احتفت بقرائن كثيرة ، وقد نظمها أحد أجدادهم وهو الشيخ أحمد شهاب الدين بن إبراهيم الذي كان من أئمة التصوف بمكة في القرن الحادي عشر ، وابن أخيه الشيخ محمد بن علان كان من أفراد وقته علماً وفضلاً ، وهو الذي اختاروه لتدريس (البخاري) جوف الكعبة أيام عمارتها الأخيرة بعد أن هدم السيل جوانب منها سنة 1040هـ ألف وأربعين ، ونسلهم باقٍ إلى زماننا ، بقي منهم رجل منهم اسمه أحمد بن علان[2] لا غيره من خيار الناس، يقارب عمره السبعين يأوي في بيت الوشقلي؛ لكونه خالهم.

وبيت الوشقلي بيت ليس بالقديم جداً، لكنه أهل ثروة وحماسة وترفع ، أصلهم روم من بلدة تسمى أوجاق معروفة ، وأول من عُرف منهم السيد علي الأوجاقلي، كان من مشاهير التجار أيام دولة الشريف غالب بن مساعد[3]، أي أول القرن

(1) أضفنا [و] لكي يستقيم المعنى.

(2) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 366/6.

(3) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مرجع سابق، ص 21/2.

الثالث عشر، وهو الذي بنى دارهم العجيبة الشكل في مكة بحارة الشبيكة برأس زقاق بافضل[1]، وأنه خلف ابنين عبد الله وحسن، فعبدالله خلف عمر الذي توفي شاباً، وحسن هو الذي تزوج من بيت علان، فتولد له ابنه علي وقد مات، والموجود اليوم غلام يافع هو ابن علي أو عمر لا أقطع به الآن، كما إني أجهل اسمه.

ومن هذا القبيل بيت القنق، فإنهم لم يتبينوا إلا في أوائل القرن الثالث عشر، وأصل شهرتهم بيت ميْناه، بميم مفتوحة ممالة نحو الكسرة، ثم ياء ساكنة، ثم نون بعدها ألف، وقد تُزاد بعدها هاء، وكانوا صاغة كانت لهم الدار بحارة الشامية ذات السقيفة التي تحتها القهوة المجاورة دارنا من شام، ومعنى قنق بلسان الأفغان أصم، وأسباب ظهورهم وماحصلوا عليه من الثروة الشيخ أحمد تركي شيخ المطوفين في زمانه، وكان من أمره، على ما أخبرني به المرحوم الشيخ حسين بن إبراهيم قنق أيام صحبتي مع ابنه الشيخ أحمد، أنه كان رجل بخاري من التجار المجاورين بمكة اشترى جارية من بيت القنق تسرَّى بها، فولدت له ابناً سماه أحمد. وأدركته الوفاة فخاف على ابنه الضياع إذ لم يكن له قريب يلوذ به، وعرف أن الجارية لا تعرف سوى مواليها الذين اشتراها منهم، فأوصى على ابنه الشيخ محمداً قنق أبا الشيخ إبراهيم ، فأخذوه وكفلوه وربوه أحسن تربية، وكان لهم غلام اسمه أحمد، فكان غلمان الجيران يميزون أحمد هذا بأحمد تركي، فاشتهر بها إلى أن كبر، وقد فنى مال أبيه في رباته، وكان نجيباً فاستخدم عند الشيخ سليمان أبي الفرح مقدم دائرة الإمارة يومئذ، فتوصل إلى معرفة قواعد خدمة الأمراء، فكان الشريف غالب يعتمد عليه في كثير من مهماته، وأرسله مرة أو مرتين إلى دار السلطنة، فنجح في شغله. وتعرف في ذهابه وإيابه بوالي مصر محمد علي باشا. ودخل صنعة الطواف وصار شيخ المطوفين، وبهذه الواسطة صار يتعرف بكبار رجال الدولة إذا قدموا للحج إلى أن كان مجيء محمد علي باشا لمحاربة الوهابيين من مكة، فداخله أتم

(1) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 366/6.

المداخلة، وكان هو ممن استعان به محمد علي باشا في الأمور التي خولت له القبض على الشريف غالب من غير أن ينتطح عنزان، وبذلك نال الحظوة عند الدولة، وكان الشريف يحيى بن سرور بعد عمه الشريف غالب، لا يقطع أمراً بدون مشورته فكان نافذ الكلمة، وحصل على ثروة عظيمة ووظائف جمة إلى أن توفي سنة 1235هـ عقيماً، واستولى بيت القنق على جميع ثروته ووظائفه؛ لأنهم قد تعرفوا بالحكام به إذ كان حافظاً لهم حق التربية، والذي استولى على ذلك هو الشيخ إبراهيم قنق ،وقد مات وخلف ثلاثة أبناء: عبدالرحمن وعلياً وحسيناً. مات عبدالرحمن عن ابنه عمر، ثم مات عمر عقيماً، ثم مات علي عن أبنائه حسن وعبدالرحيم وإبراهيم، مات إبراهيم عقيماً محترقاً في دار احترقت ولم يتخلص منها، ومات عبدالرحيم عن أولاد هم الباقون اليوم، ومات حسن عن بنات. ومات الشيخ حسين عن ابنه أحمد، ثم مات أحمد عن ابنه حسين وبنات، ومات حسين عقيماً - والله الباقي.

وبيت **بافضل** من قدماء البيوت فضلهم شهير، ولهم تآليف في فقه الإمام الشافعي، واشتهر بهم الزقاق بحارة الشبيكة المصعد إلى جبل الهندي من جهة رباط الشيخ تاج الدين الهندي النقشبندي[1] لما فيه من عقارهم الوقف الشهير بهم، ولم يبق من هذا البيت سوى صاحبنا الفاضل الشيخ صالح بافضل[2]، وكان له أخ، عبدالله، مات عن ابن صغير، ومات الابن صغيراً، وله هو ذرية صغار - حفظه الله لهم - وهو من أفاضل الشافعيين اليوم بمكة، منقطع بالإفادة والاستفادة والتدريس في المسجد الحرام المكي.

وبيت **القلعي** تقدمت الإشارة إلى الشيخ تاج الدين وابنه عبدالمحسن وابن ابنه عبدالملك، وأول من ذُكر منهم الشيخ تاج الدين المذكور، وكان إماماً في مقام الحنفي وتأخر يوماً وهو يوم الخامس عشر من شهر ربيع الثاني سنة 1097هـ عن صلاة الصبح والوظيفة عنده، فصلى بالناس رجل من المجاورين، وكان بالصف

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 423/1.
(2) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 212.

الأول الوالي أحمد باشا، فسأل عن صاحب الوظيفة، فأُخبر به، فأحضره بالداوودية وضربه على رجله، وسمعت الأئمة فأنفت نفوسهم فاجتمعوا على أكبرهم الشيخ علي العصامي[1]، وذهبوا إلى شريف مكة يومئذ، الشريف أحمد بن زيد وطلبوا منه إنصافهم وكتبوا سؤالاً وقدموه للمفتي عبدالله أفندي عتاقي، فأجابهم بوجوب تعزير من أهان أهل العلم، فذهبوا إلى القاضي وأقاموا الدعوى على الوالي، فحكم على الوالي بذلك، فأخذ الشيخ تاج الدين وطيب نفسه، ولكنه حقد على المفتي، وبعد أيام ألقى إليه أن المفتي أحدث مرحاضاً في سبيل السلطان مراد، له قصبة في جدار المسجد الحرام، فذهب إلى دار المفتي بنفسه وسأله عن المرحاض، فقال: إنه قديم، فسبه وضربه وداسه برجله، وخرج فتبعه المفتي وقصد منزل الشريف وعليه دمه، فغضب وحصل اضطراب العامة فقامت على قدم، وكادت أن تكون فتنة، وكادوا أن يقتلوا الوالي لولا أنه التجأ إلى المحكمة الشرعية، ثم جاء الوزير عثمان حميدان وأخذه في وجهه، وأخرجه من طريق سويقة، وأقام عنده بداره إلى أن سكنت الفوضاء، وتمت بعزل ذلك الوالي.

وآخر الأفاضل من بيت القلعي هو مولانا الشيخ عبدالملك انتهت إليه رئاسة العلم في الحرم المكي، وكان آية لا تدرك علماً وعملاً وأدباً وفضلاً مات سنة 1228هـ، ولم يعقب كان له ولد اسمه عمر، مات في حياته وحزن عليه. والموجودون اليوم من بيت القلعي من ذرية الشيخ عبدالمحسن وأخيه الشيخ أسعد، ولما توفي قام بالفتيا بعده أحد تلامذته الشيخ عمر بن عبدالكريم عبدالرسول العطار[2]، وكان رجلاً عظيماً في العلم شهيراً في الصلاح وحب آل البيت. مات سنة 1248هـ، وخلف ابنيه محمداً وعبدالكريم. فعبدالكريم مات عن بنته عائشة، ومحمد مات عن ابنيه عمر وأبي بكر، تزوج أبوبكر بعائشة ثم مات عقيماً، وعمر أيضاً مات وله أولاد

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 458/2.

(2) الإدريسي: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مرجع سابق، ص 769/2.

صغار عند أخوالهم بيت البصنوي الذين بحارة الشامية، والدار التي بحارة الباب بقرب مواجهة المسجد المعروف بسيدنا خالد بن الوليد هي وقف المرحوم الشيخ عبدالكريم على ابنته ثم معاتيقه وذريتهم، وكان له عتيق اسمه بلال عبدالرسول ابن عبدالرحمن بلال الخياط، وهو القائم اليوم بمصالح هذه الدار.

وكان الشيخ عبدالحفيظ العجيمي يباشر الفتوى مع الشيخ عمر عبدالرسول إلى أن أفضت إلى السيد عبدالله الميرغني حفيد السيد عبدالله المحجوب المدفون بالطائف، وذلك عام ثمان وأربعين بعد المائتين والألف، كان السيد عبدالله المرغني المذكور آية في الفقه الحنفي حافظاً لمسائله، وكانت معرفته بما عدا الفقه من العلوم قليلة، حتى إن طلبة العلم كانوا يتعجبون من أجوبته، وكان رئيس العلماء يومئذٍ مولانا الشيخ عبدالله سراج[1] عالماً متفنناً فصيحاً في الدرس خلف مقام الحنفي، وكان نافذ الكلمة عند شريف مكة يومئذٍ مولانا وسيدنا الشريف محمد ابن عبدالمعين بن عون[2]، وواليها عثمان باشا الكردي، لكنه لم يتول الفتوى مع كثرة تطلّبه لها بل بقيت عند السيد عبدالله الميرغني إلى أن مات بعد الشيخ عبدالله سراج، فتولاها السيد محمد الكتبي المصري السيواسي[3] جد السادة الكتبيين المعروفين في مكة ومن الأفاضل المتضلعين في الفنون، أخذ العلم بمصر عن شيخه السيد أحمد الطحطاوي[4] صاحب (الحاشية على الدر المختار)[5]، ثم قدم مكة مجاوراً زمن إمارة سيدنا المرحوم الشريف محمد لمناسبة بينهما كانت في مصر قبل أن يتولى الإمارة. ويجيء في بالي، ولم أحققه، أن حضرة الشريف المومى إليه

---

(1) السابق، ض 752/2.

(2) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مرجع سابق، ص 374/2.

(3) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مرجع سابق، ص 201/2.

(4) هو الشيخ أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، انظر ترجمته في: الإدريسي: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مرجع سابق، ص 467/1.

(5) وكتابه في شكل تقييدات على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وقد طبع في أربع مجلدات في مطبعة بولاق عام 1254هـ، وصورتها دار المعرفة في بيروت.

قلده الفتوى في حياة السيد عبدالله المرغني، ولما عُزل عن مكة 1267هـ، وتولاها الشريف عبدالمطلب بن غالب، عزله وأعاد الميرغني ؛ لكون المراغنة محاسيب على ذوي زيد، فلما أُعيد الشريف محمد إلى مكة 1272هـ لم يعزله بل أبقاه فيها إلى أن مات فرجعها إلى الكتبي، ثم لما مات الكتبي في حدود 1280هـ وجه أمير مكة يومئذٍ سيدنا المرحوم الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم الشريف محمد الفتوى إلى الشيخ جمال الشهير، وهو رجل من الهنود الفُتن من بيت منهم يقال له شيخ عمر؛ فلذا يقال للشيخ جمال هذا: شيخ جمال، شيخ عمر، كان فقيهاً ماهراً، تفقه على مشايخ أجلهم الشيخ عبدالله سراج، وكان هو رئيس العلماء بعد شيخه المذكور، وبقي مفتياً إلى أن توفي سنة 1284هـ، وتقلد الفتوى بعده الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ عبدالله سراج، ولم يكن تأهل يومئذٍ لذلك، لكن الملوك لهم أنظار عالية في ترقية أولاد المحسوبين عليهم المنتمين إلى سدتهم، ولكنه - رحمه الله - كان صاحب فطنة ونجابة وهمة عالية، وكان ملازماً دروس شيخه جمال شيخ عمر المذكور إلى أن توفي، وكان تفرَّس فيه الخير، وزار المدينة قبل موته بسنة فجعله وكيلاً عنه، فتعجب الناس إذ كان غيره أجدر منه مثل السيد محمد الكتبي ابن المفتي السابق، وكان أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن عثمان جمال، فأكب - رحمه الله - على مطالعات كتب الفقه ومارس الفتوى، فما مضت من توليته مدة قليلة حتى صار فرداً، وبرع بروعاً فائقاً، وظهر ظهوراً عجيباً، فكأنما عناه من قال:

إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً[1]

فأقر له قرناؤه بل أعداؤه ، وكان عظيم الهمة مع عفة النفس وعدم التنازل إلى سفاسف الأمور، مكث هو المفتي الحقيقي بمكة المكرمة صاحب البراءة السلطانية إلى أن توفي، وإن تخلى عنها أحياناً وقام بها غيره بغير أمر سلطاني، فمن ذلك لما صار سيدنا الشريف عبدالمطلب أمير مكة سنة 1297هـ فإنه عزله وولى السيد

(1) ديوان أبي تمام ، مرجع سابق، ص 380.

أحمد بن عبدالله الميرغني، وفي أقرب وقت ضعف أمر الشريف عبد المطلب، وتخلى السيد أحمد عنها، فرجع لها الشيخ عبدالرحمن، ثم لما كان له مع الوالي عثمان باشا من الاتحاد ما غيَّر خاطر الشريف عون بن محمد عليه وعزل عثمان باشا، فكدره الشريف وعزله يوم قدومه من المدينة، وولى الشيخ صالحاً ابن الشيخ صديق كمال، وبقي الشيخ صالح يفتي إلى أن كان على أخيه الشيخ علي كمال من الشريف عون من تحقير وإهانة ما حمله على الاستقالة من الفتوى، فولى بدله الشيخ عباس بن جعفر بن صديق[1]، ثم رضي الشريف عون على الشيخ عبدالرحمن ورجع الفتوى إليه إلى أن كان ما كان من رجوع عثمان باشا إلى ولاية مكة سنة 1309هـ، فكان مثل ما كان وعزل عثمان باشا ثانياً، وبقي الشيخ عبدالرحمن مدة ثم عزله وولى بدله الشيخ عبدالله بن عباس بن صديق، ثم صدر الأمر على الشيخ عبدالرحمن بمبارحة مكة، فسافر إلى مصر وتوفي بها 1314هـ رابع شهر رمضان عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف وحزن عليه أهل مكة ،وبقي الشيخ عبدالله بن صديق مفتياً، ولم يكن من أهل العلم ولا عُرف بالطلب على أحد إلا بملازمة أبيه، وكان ممن يتعاطى المعاونة في الدعاوي والدفوع وما أشبه ذلك إلى أن جاء عام 1325هـ، وكان سيدنا الشريف عون قد توفي سنة 1323هـ وولى الإمارة بعده سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف عبد الله باشا، وجاء أمر من السلطنة بإرسال وفد إلى صنعاء اليمن؛ لنصيحة الإمام عن مخالفة الدولة، فأرسل الشريف جماعة، منهم الشيخ عبدالله المذكور، فتوفي هناك في شهر رمضان عام خمسة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف، وبلغنا نعيه بالطائف ليلة العيد، فوجه سيدنا المشار إليه بالفتوى إلى الشيخ عبدالله ابن المرحوم الشيخ عبدالرحمن سراج، ألبسه خلعتها صبيحة عيد الفطر بعد صلاة العيد، والشيخ عبدالله هذا سافر مع أبيه وأقام بمصر مدة ورجع مكة مرة، حج، وعاد، يقول:كان يطلب العلم هناك، وذهب إلى الهند وغاب مدة طويلة ثم استقر بدار السلطنة عند سيدنا أمير مكة حالاً سيدنا

(1) عبدالله أبو الخير: المختصر من نشر النور والزهر، مرجع سابق، ص 228.

الشريف الحسين باشا إذ كان هناك، وكان عوده إلى مكة في شعبان 1325هـ، قيل كان بإشارة من أمير مكة يومئذ سيدنا الشريف علي باشا ، وهو اليوم المفتي، ولم نعرف له طلباً عند أحد[1] - والله يعينه.

هذا فقد استقصينا جميع من ولي إفتاء مكة من حدود تملك الدولة العثمانية أرض الحجاز تبعاً لفتح مصر، إلى اليوم .

ومن البيوت **بيت جمال الحريريين**، منهم الشيخ عبدالرحمن بن عثمان بن جمال خال مولانا الشيخ أحمد أبي الخير ميرداد، وكان متحيزاً للفتوى كما تقدمت الإشارة إليه .

وبيت كمال ومنهم الشيخ صالح بن صديق كمال الذي تقدم ذكره في المفتين، وبيت كمال آخرون بالطائف اليوم غير هؤلاء، منهم الشيخ بكر كمال وابنه الشيخ عبدالله[2] نائب الطائف اليوم، وهم أصهار مولانا المرحوم الشيخ عبدالرحمن سراج.

وبالجملة فإن أغلب العائلات القديمة بمكة من الهنود الفُتن وغيرهم، **كبيت جلال، وبيت خوج، وبيت عبدالحق، وبيت كاكة، وبيت الطيب، وبيت جستنية، وبيت ملائكة**، رأيت في (تاريخ الطبري) في أثناء حوادث القرن الثاني عشر، قال: قيَّل[3] جماعة من الهنود في جبل النور، وكان فيهم رجل اسمه ملائكة فاحتبس بين الصخرتين عند مدخل الغار، أي غار حراء، وعجز جماعته عن إنقاذه إلى أن فزع له أهل الحارات، وأخرجوه بتكلف شديد، ومات بإثر ذلك[4]، ومثل هؤلاء: **بيت شمس الدين، وبيت قطب، وبيت حبيب الله، وممن لم يتأثل بعد بيت بدر**

(1) أي لم نعرف طلبه للعلم على أيد أحد من العلماء.

(2) عبدالله الغزي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مرجع سابق، ص 373/6.

(3) جاء في هامش المخطوطة [قيَّل ماض مضعف عامي من القيلولة ، والاسم منه عندهم قيلة، وهي عند أهل مكة في شكل اجتماع متحابين من أول النهار إلى آخره في محل متنزه أو ما يضاهيه].

(4) الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، مرجع سابق، ص 106/5.

الدين، وبيت **كنسارة**، وبيت **قطب خان**، كل هؤلاء اليوم تجار معتبرون موصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة، مشتغلون بما أهمهم، متاجافون عما لا يعنيهم .

وبيت **السني** أئمة في المقام الحنفي المنسوبون إلى جدهم محيي السنة قريب عهد، وجدهم الأقرب الشيخ عبدالله السني نائب جدة في حدود سنة 1280هـ .

وبيت **إلياس** وهم زمزميون، أي سقاة للحجاج، وهم بيت قديم في مكة من نحو مئتي سنة، تشهد بذلك بعض حجج شرعية بيوتهم المعروفة بحارة الشامية، والظن أنهم أفغان بحسب الأصل.

أما بيت **الزمزمي** الذين هم بيت الريس اليوم، فتقدم الكلام فيهم، أنهم زبيريون ،وقد أطلنا الكلام في هذا الصدد ولايخلو عن فائدة.

قال ابن زيدون: ***وتأولت في بيعة العقبة***: المراد عقبة منى التي بها الجمرة الكبيرة التي تلي مكة من الجمرات الثلاث، والبيعة إنما كانت في شعب قريب منها عن يسار الذاهب من مكة إلى منى قبيل العقبة المذكورة، وبالشعب المذكور مسجد قديم مأثور يتبرك الحجاج بزيارته، بينه وبين منى نحو غلوة[1]، ولم يحضرني أول من بناه لكن جدده المرحوم مولانا السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان[2]، وكان سلطاناً من سنة 1012هـ إلى سنة 1026هـ، والبيعة التي كانت به كانت بين النبي - صلى الله عليه وسلم - والأنصار أهل المدينة من الأوس والخزرج ثلاث مرات في ثلاث سنين متوالية، وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يعرض نفسه على قبائل العرب، يعرض عليهم ويطلب منهم أن يحموا ظهره ويناصروه على ماجاء به من الحق، يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة وعن منازلهم، ويأتي في أسواقهم: عكاظ، ومُجنة، وذي المجاز. كانت العرب إذا أرادت الحج

(1) الغلوة قدر رمية سهم، انظر: الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق ، (غلو).

(2) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 120/4.

أقامت بعكاظ شوالاً، ثم تجيء إلى سوق مجنة، فتقيم فيه عشرين يوماً. ثم تجيء إلى ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج ، وكانوا في اجتماعاتهم هذه يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون الأشعار، وكانت تقع لهم فيها حروب، وكان بعكاظ قصة خوَّات مع خولة ذات النحيين، فضُرب بها المثل «**أشغل من ذات النحيين**»[1]، وقد هدم الإسلام ذلك كله، وعكاظ بين الطائف ونخلة (وادٍ ذو نخل)، وهو قريب من محطة السيل عنها في جهة الشام، ومن قال: إن عكاظاً كان آخر السيل الصغير بقرب ريع الأديرع فقد غلط، وأما مُجنة بضم الميم وتكسر ، قال في (القاموس): «موضع قرب مكة على أميال منها»[2] تمثَّل بها بلال - رضي الله عنه - قال:

وهل أردن يوماً مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل[3]

وذو المجاز على فرسخ[4] من عرفة بناحية كبكب[5] جبل بعرفة معروف هناك، وسمي ذا المجاز؛ لأن إجازة الحج فيه كانت.

فبينا هو - صلى الله عليه وسلم - على ذلك إذ ظفر أيام منى بنفر من الأوس والخزرج سكان يثرب فعرض عليهم ما ذكر، وكان من حكمة الله تعالى أن يثرب كان بها يهود مجاورون لأهلها، وهم أهل كتاب ولهم اطلاع على بعض ما لنبينا - صلى الله عليه وسلم - وعلى إظلال زمنه، فإذا وقع بينهم شيء من حرب أشاروا لهم به، وقالوا سنتبعه ونغلبكم به، فسبقهم إليه من سبقت له السعادة وهم الأنصار، وكان ذلك من أكبر الدواعي على طاعتهم وقبولهم قوله، ففي السنة الأولى كانوا ستة أو ثمانية، وفي الثانية كانوا اثني عشر، وفي الثالثة كانوا خمسة وسبعين، وقد

---

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 78/1.

(2) مجد الدين الفيروزبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005م ، (جنن).

(3) البيت منسوب لسيدنا بلال - رضي الله عنه - في: ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 132/6.

(4) الفرسخ ثلاثة أميال أو ستة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (فرسخ).

(5) الزمخشري: **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1999م، ص 279.

فشا الإسلام بالمدينة وبعث إليهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي بطلبهم ليعلمهم ، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - هاجر بنفسه إليهم وكل ذلك في السير[1].

أما التأوُّل فهو التكلف للتأويل، ولم يبلغنا أن أحداً من أهل هذه البيعة خالف أو ارتكب تأويلها على خلاف الحق، فنقول: إن ابن زيدون لَمَّح إليه ، لكن مراده الفرض والتقدير، أي لو فُرض أني تأولت.. إلخ .

واعلم أن هذه البيعات غير بيعة الرضوان التي كانت تحت الشجرة، فتلك في قصة الحديبية[2]، الموضع الذي بطريق جدة عند حدود الحرم، ويسمى اليوم الشميسي ، وكانت هناك شجرة قطعها ابن الخطاب - رضي الله عنه - لما رأى كثرة قصد الناس لها، خاف أن تُعبد في آخر الزمن ، ومن الشميسي يُؤتى بالحجارة الحُمر أو الصُفر، وفي عُرف البنائين الحجر الشميسي ، وتوجَّه بها الأبنية بمكة.

واستنفرت إلى العير ببدر: الذي استنفر إلى العير هوضمضم بن عمر الغفاري[3]، والعير في معنى القافلة اليوم، كانت قريش تخرج بأموالها إلى الشام أو إلى اليمن بقصد التجارة ، رحلة الشتاء والصيف، وهذه العير هي التي تسببت عنها غزوة بدر، وهي عير خرج بها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أي كان هو قائدها، وكان معه من قريش نحو ثلاثين رجلاً، وكان فيها أموال لقريش، قيل لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث بها في تلك العير، وخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه يتعرَّض لها، وندب الناس لها قائلاً: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا لعل الله ينفلكموها، فأجابوا وخرجوا، فلما بلغ العشيرة[4] اسم موضع، وجدها قد فاتته، فانتظر رجوعها من الشام، فبلغ ذلك أبا سفيان، فاستأجر ضمضماً بعشرين مثقالاً أن

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 58/2.

(2) الطهطاوي: **نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز**، القاهرة، دار الذخائر، ط 1، 1419هـ، ص 173.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 182/2.

(4) العشيرة: موضع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 127/13.

يأتي مكة، ويجدع أنف[1] بعيره، ويحول رحله، ويشق قميصه، ويستنفر قريشاً، ففعل في قصة طويلة[2]، فنفرت قريش لاستخلاص عيرهم، وكان أبو جهل أشد الناس اهتماماً في استنفارهم ، وكان القائد لهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ لأن أبا سفيان كان مع العير، وخلف أبو سفيان الطريق ذاهباً إلى الساحل بعد أن أرسل ضمضماً، ففات بالعير أيضاً أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وبلغ قريشاً وهم بالجحفة قاصدين العير أنها نجت، فرجع بنو زهرة وكان قائدهم حليفهم الأخنس بن شريق الثقفي[3]، وأصر أبو جهل على الذهاب، قائلاً: والله لا نرجع حتى نحضر بدراً، فنقيم فيها ثلاثاً، ننحر الجزر ،ونطعم الطعام، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان بالمعازف - أي الملاهي - وتسمع بنا العرب فيهابوننا، وقد لامه على ذلك أبو سفيان وغيره ، لكنه ذهب لمصرعه - لعنه الله - فكانت غزوة بدر الشهيرة ،وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ**﴾[4]، وهو يوم الفرقان المعني بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾[5]، فهو يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرَّب محله.

لطيفة: يقال في المثل لمن لا يهتم به: لا في العير ولا في النفير[6] أصله هذه القصة، فالعير هذه العير، والنفير جيوش المشركين إلى بدر، حُكي أنه تناضل خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان مع الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بحضرة الخليفة أبيه عبدالملك، فمما قاله الوليد لخالد: أنت لست في العير ولا في النفير، فأجابه: ويحك من في العير والنفير غيري؟ جدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة صاحب النفير، أي لأن

(1) في المخطوطة : أنفه.

(2) حمزة قاسم: **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف ، مكتبة المؤيد، 1990م ، ص 319/4.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 352/1.

(4) سورة الدخان: الآية (16).

(5) سورة الأنفال: الآية (41).

(6) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 234/2.

أم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة، ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف، ورحم الله عثمان، قلنا: صدقت، عنى بذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طرد جده الحكم ابن أبي العاص نفاه إلى الطائف، فكان في موضع يسمى غنيمات[1] يأوي إلى حَبلة بفتحتين - الكرمة -، ثم رده عثمان - رضي الله عنه - في خلافته، وكان ذلك مما نقم به عليه، ولكن كان - رضي الله عنه - مجتهداً في رده وهو عمه، وكان استأذن فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأذن له في رده إذا كان الأمر إليه بعد أن شفع فيه عنده فرده، وشفع فيه أيضاً عند أبي بكر وعمر، فقالا: لا نحل عقدة عقدها النبي - صلى الله عليه وسلم.

وانخذلت[2] بثلث الناس يوم أحد: يوم أحد يوم شهير بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وكفار قريش وفيه استشهد سيد الشهداء سيدنا حمزة - رضي الله عنه - عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومصعب ابن عمير وغيرهما كما هو موضح في كتب السير[3]، وكانت في السنة الثالثة من الهجرة بعد وقعة بدر بسِنة، وسببه قيام قريش لأخذ ثأرهم ،والذي انخذل بثلث الناس يومها عبدالله بن أُبي ابن سلول الخزرجي المنافق، فإنه رجع هو ومن تبعه من المنافقين وكانوا ثلاثمائة، وكان الباقي بعدهم سبعمائة، فهم ثلث الناس تقريباً، وكان انخذاله سبباً لندم طائفتين من المسلمين: بني حارثة من الخزرج، وبني سلمة بكسر اللام من الأوس، فهمتا ﴿أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[4]، فدفع عنهما الفشل، وكان المشركون ثلاثة آلاف تحت قيادة أبي سفيان، واللواء بيد بني عبدالدار وماتوا تحت اللواء واحداً بعد واحد، فحمله غلام لهم يسمى صواباً الحبشي فقتله علي ، وقيل سعد ابن أبي وقاص، فبقي اللواء مطروحاً حتى حملته عمرة بنت علقمة الحارثية.

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 226/2.

(2) انخزلت في التمام.

(3) الواقدي: كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس ، بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1989م ، ص 199/1.

(4) سورة آل عمران: الآية (122).

وأحد جبل شامي المدينة تكون به ليلة حافلة تُسمى الحمزية[1] في ثاني عشر رجب كل عام ، واختاروا لها رجباً مع أن غزوته كانت في النصف الأول من شوال؛ لوجود الزوار يومئذٍ من كل جهة ، وهناك من الشراحة والفرح ما لا يوصف، وبه المهاريس وهي مقعرات في الصخار تجتمع فيها الماء إثر الأمطار، فيقيلون عندها، وإياها عنى شبل بن عبدالله[2] مولى بني هاشم لما قال:

واذكـــروا مصـرع الحسـين وزيـد وقتيـــلاً بجـــانب المهـــراس[3]

من قصيدة حرَّض بها بني العباس على استئصال بني أمية قتلاً لما قامت الدعوة لهم بأبي مسلم، وتمت. وانهزم عسكر مروان الحمار[4]، ولم يعن بنو العباس يومئذٍ بذلك حتى دخل سديف[5] مولى أبي العباس السفاح عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبدالملك، قد أدناه وأعطاه يده قبَّلها، وقال سديف:

لا يـغـرنـك مـا تـرى مـن أنـاس إن تحـت الـضـلـوع داء دويـا
فضـع السيف وارفـع السوط حتى لا تـرى فـوق ظهـرهـا أُمويـا[6]

بضم الهمزة من أُموي نسبة إلى أُمية جدهم، فقال له سليمان: قتلتني قتلك الله، وقام أبو العباس ودخل مخدعه وإذا المنديل في عنق سليمان وجُر فقتل، ودخل شبل المذكور آنفاً على عبدالله السفاح أيضاً وعنده ثمانون منهم، أجلسهم على سمط الطعام فقام بين يديه وقال[7]:

---

(1) انظر الحمزية في: المقدسي: البدء والتاريخ ، مرجع سابق، ص 138/5.

(2) عبدالملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 350/3.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 7/4.

(4) ابن حبان: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك ، بيروت، الكتب الثقافية، ط 3، 1417هـ، ص 569/2، وكان يقال له الحمار لقلة عقله وجلده .

(5) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 358/4، وسديف كان شاعراً مفلقاً وأديباً بارعاً وخطيباً مصقعاً، وكان مطبوع الشعر حسنه.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 7/4.

(7) انظر الأبيات في : ابن المعتز: **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط3، ص 39.

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلةٍ وأواسي
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحر المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربهم من نمارقٍ وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـه بدار الهوان والإتعاس
والقتيل الذي بحران أضحى ... ثاوياً بين غربةٍ وتناس
نِعم شبْل الهراش مولاك شِبل ... لو نجا من حَبائل الإفلاس

فأمر بهم عبدالله فشُدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام، وإنه ليُسمع أنينهم حتى ماتوا جميعاً، وتتبعوا بني أمية قتلاً إلا من هرب كعبدالرحمن بن معاوية بن هشام الملقب بالداخل؛ لاتصاله ودخوله الأندلس حيث أقام بها دولتهم[1]، والآساس بمد الهمزة جمع أُس بضمها كقُفل وأقفال، والمراد بزيد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين الذي ينتحل مذهبه الزيدية، وهو بريء من كثير مما نسبوه إليه، كان خرج على هشام بن عبدالملك فوجه إليه يوسف بن عبدالله الثقفي في جيش فقتله وصلبه بالكناسة عرياناً هو وجماعته، والمراد من القتيل بجانب المهراس حمزة - رضي الله عنه - ونسب قتله لبني أمية؛ لأن أبا سفيان كان قائد المشركين يومئذٍ، والقتيل بحران إبراهيم الإمام، أخو السفاح، الذي كانت له البيعة قبل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ويروى أن عبدالله قال لشبل يومئذٍ: لولا أنك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم، ولعقدت لك حتى وليتك على جميع موالي بني هاشم، ومراده البيت الأخير فإنه عرَّض فيه بفقره يطلب منه شيئاً، فانظر كيف أن المسألة تحط من قدر الرجل! ولذا منع منها الشارع لمن قدر على قوت يومه، نسأله - سبحانه - الغنى عن الناس.

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 7/4.

وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة: بنو قريظة طائفة من اليهود الذين كانوا بالمدينة مجاورين الأوس والخزرج ومحالفيهم، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وهم أهل كتاب على دين موسى - عليه السلام - وكانوا يعلمون علم اليقين بأحقية ما عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وكانوا يتوعدون به الأوس والخزرج إلا أنهم حسدوه وعادوه أشد العداوة ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - عاهدهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدواً أبداً، فأول ما ظهر منهم بالغدر بنو قينقاع بضم النون، وكانت منازلهم بطحان[1] ممايلي العالية[2]، وكانوا صاغة، وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي ابن سلول، فلما كان منهم ما كان من الغدر تبرأ منهم عبادة وجمعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وحذرهم، فلم يسمعوا وتحصنوا في حصونهم فسار إليهم وحصرهم خمس[3] عشرة ليلة أشد الحصار، وكانوا سبعمائة بين حاسر ودارع ، فسألوه تخلية سبيلهم ويجلوا من المدينة بالنساء والذرية، ويجعلون بقية أموالهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - فصالحهم على ذلك، فجلوا إلى الشام وخُمِّست أموالهم.

ثم بنو النضير وكانوا بالعوالي على نحو ميلين من المدينة، فنزل بهم وحاصرهم ست ليالٍ وقيل أكثر، فطلبوا أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم فجلوا إلى خيبر أكثرهم، ومنهم حيي بن أخطب، ودان لهم أهل خيبر حتى هلكوا في غزوتها، وتقسَّم المسلمون أموالهم بعد الخمس، وعند أبي حنيفة[4] أنها كانت صفياً[5] لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

---

(1) بفتح أوله وسكون ثانيه وهو واد بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي : العقيق وبطحان وقناة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مرجع سابق، ص 466/1.

(2) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 71/4.

(3) ورد في المخطوطة خمسة عشر وهو خطأ نحوي والصواب ما ذكرناه.

(4) انظر رأي الأحناف في: القنَّوجي: **الروضة الندية**، ضبط نصَّه وحقَّقه وَقَام على نشره: علي بن حسَن بن علي بن عَبد الحميد الحَلبيُّ الأثريِّ، الرياض، دَارُ ابن القيِّم للنشر والتوزيع، ط 1، 2003م، ص 480.

(5) الصفي ما كان النبي صلي الله عليه وسلم يصطفيه لنفسه.

وأما بنو قريظة فبقوا على عهدهم إلى أن كانت غزوة الخندق فخانوا أيضاً ، وغدروا وتمالأوا على قتال النبي - صلى الله عليه وسلم - مع قريش، فبعد انصراف المشركين عن غزوة الخندق - في قصة موضحة بالسير[1] - ... رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ووضعوا السلاح وصلى الظهر ودخل بيت عائشة، فبينا هو يغتسل ويرجِّل رأسه جاءه جبريل بالأمر بالمسير إلى بني قريظة، فأمر بلالاً أن ينادي في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»، وسار إليهم وحصرهم حتى أنزلهم من حصونهم، وقتلهم جميعاً على حكم سعد ابن عبادة[2] كما هو مفصل في السير[3]، ثم إن جماعة من الصحابة شغلهم ما لابد لهم منه عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر، فأخروا صلاة العصر إلى أن جاءوا بعد صلاة العشاء، وبعضهم قال: نصلي إنما أراد رسول الله الحث على الإسراع، فما عابهم الله ولا عنَّف أحداً منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن كلاً مأجور بقصده، وعليه فمراد ابن زيدون: إني لو كنت تخلَّفت عن المسير إلى بني قريظة وخالفت أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد قول مناديه: من كان سامعاً مطيعاً.... إلخ.

وجئت بالإفك على عائشة الصديقة: كانت قصة الإفك في غزوة المريسيع، أي غزوة بني المصطلق بطن من خزاعة، والمريسيع ماء لهم قرب الفرع، ونزلت فيها آية التيمم[4] على ما عليه الأكثر، وفيها أيضاً تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جويرية أم المؤمنين بنت رئيسهم الحارث ابن أبي ضرار، وهي من أزواجه التسع اللائي مات عنهن، وعائشة الصديقة بنت سيدنا أبي بكر الصديق وتكنى أم عبدالله، وهي المبرَّأة من فوق سبع سماوات، وهي حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج بها بمكة قبل الهجرة وعمرها ست سنين، وبنى بها بالمدينة في شوال

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق، ص 65/2.

(2) أخطأ اللبني في سعد فهو ابن معاذ وليس ابن عبادة.

(3) السابق، ص 90/2.

(4) النيسابوري: **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1411هـ، ص 451.

من السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع، ولم يتزوج بكراً غيرها، وما نزل الوحي في فراش امرأة غيرها ، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهي أفقه نساء الدنيا، وكان أكابر الصحابة يستفتونها ويرجعون إلى قولها، قال صاحب (بدء الأمالي) [1]:

وللصديقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخلال [2]

يعني العلم [3]، ولم تلد منه - صلى الله عليه وسلم - وقيل: أسقطت سقطاً ولم يثبت، وحاصل قصة الإفك ماروه البخاري [4] ومسلم [5] عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أنزل الحجاب فأنا أُحمل في هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين أُذن ليلة بالرحيل، فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت على رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جذع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازل القوم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش،

---

(1) صاحب بدء الأمالي هو العلامة أبو الحسن سراج الدين علي بن عثمان الأوشي، انظر: ابن قطلوبغا السودوني: **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ط 1، 1922م ، ص 22/2.

(2) انظر: تحفة الأمالي على شرح العلامة علي بن سلطان محمد القاري، المسمى: **ضوء المعالي على المنظومة المسماة بالأمالي في التوحيد للعلامة الأوشي**، طبع بإذن نظارة المعارف الجليلة في 1307هـ، ص 68.

(3) يعني تميز عائشة عن فاطمة - رضي الله عنهما - في العلم والفقه.

(4) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 173/3.

(5) الإمام مسلم: **صحيح مسلم**، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، (د. ت)، ص 2129/4.

فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان قد رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أدركنا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول[1]، فهلك من هلك وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول والقصة مبسوطة في السير[2]، وجاءت تبرئتها بالآيات العشر في أول سورة النور ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾[3] الآيات العشر، ومن أولئك العصبة مسطح ابن أثاثة – رضي الله عنه– وهو من قربى أبي بكر، وكان ينفق عليه لفقره ، فلما خاض مع من خاض في الإفك حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ**﴾[4] الآية، فقال أبو بكر: بلى والله أحب أن يغفر لي، وكفّر عن يمينه، بل روي أنه أضعف له النفقة، ومن اللطائف أن ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديباً له على أمر وقع منه، فكتب إليه يقول[5]:

لا تقطعن عادة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوقب الصديق في حقه

فأجابه بقوله[6]:

قد يمنع المضطر من ميتة إذا عصى بالسير في طرقه
لأنه يقوى على توبة تكون إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوتب الصديق في حقه

(1) انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 173/3، الإمام مسلم: صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 2129/4.

(2) انظر القصة في: الخركوشي: **شرف المصطفى**، مكة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1424هـ، ص 45/2.

(3) سورة النور: الآية (11)، وما بعدها من الآيات .

(4) سورة النور: الآية (22).

(5) الحلبي: **السيرة الحلبية**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427هـ، ص 402/2.

(6) السابق والصفحة.

قال شيخنا المرحوم السيد أحمد دحلان: حضر بعض الشيعة مجلس الحسن بن يزيد الرفاعي، وكان من عظماء أهل طبرستان، فذكر الصديقة ونسب إليها مانسب، فقال الحسن لغلامه: يا غلام، اضرب عنق هذا الشيعي، وكان عنده بعض العلويين، فقال: هذا من شيعتنا، وأراد منعه، فقال: معاذ الله، هذا طعن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[1] فإن كانت عائشة خبيثة فزوجها خبيث، حاشاه - صلى الله عليه وسلم - وأمضى أمره فيه[2]، انتهى.

وبهذه الحكاية تعلم مقدار الأكابر الذين تجري أمثال هذه الخرافات في مجالسهم فيرتاحون لها، ومما يروى أن سيدنا عمرو بن العاص قال لها يوماً : لوددنا أنك قتلت يوم الجمل، فقالت: ولمَ ذاك لا أبا لك ! فقال: كنت تموتين بأجلك شهيدة وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على علي[3]، وهذا من باب المباسطة كما لا يخفى على صاحب ذوق .

وعمرو كان - رضي الله عنه - من أجلاء الصحابة - رضوان الله عليه - وكان من دهاة العرب، وكان فتح مصر على يده ، وكان أميرها في خلافة الفاروق، ومات سنة ثلاث وأربعين عن نحو تسعين سنة، رئي يوماً على بغلة قد شمط وجهها هرماً، فقيل له: أ تركب هذه وأنت على أكرم ناخرة من مصر؟ فقال: لا ملل عندي لدابتي ما حملت رحلتي، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري، إن الملل من كواذب الأخلاق، أسلم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة الحجي في يوم هاجروا فيه معاً، وفرح بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال لأصحابه: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، روي عن ابن عباس -

---

(1) سورة النور: الآية (26).

(2) انظر القصة كاملة في: اللالكائي: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط 8، 2003م، ص 1345/7.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 212/1.

رضي الله عنهما - أنه قال: دخلت على عمرو بن العاص وهو محتضر، فقلت: كنت تقول: أشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف يجد؟ فكيف تجدك؟ قال: أجد كأن السماء مطبقة على الأرض وأنا بينهما، وأراني أتنفس من خرق إبرة، ثم قال: اللهم خذ مني حتى ترضى، ثم رفع يديه وقال: اللهم أمرت فعصينا، ونهيت فركبنا، فلا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكن لا إله إلا الله ثلاثاً ثم فاظ، أي مات - رضي الله عنه[1].

وأنفت من إمارة أسامة: أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السادس والعشرين من صفر عام أحد عشر من الهجرة أمر - صلى الله عليه وسلم -. أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان الغد دعا أسامة فقال: إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً على [أهل][2] أبْنى - كحبلى ناحية بالبلقاء من أرض الشام - وحرِّق عليهم، وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله عليهم، فأقلل اللبث فيهم. ومعك الأدلاء وقدِّم العيون والطلائع، وكان سنّه يومئذ سبع عشرة سنة، وعقد له اللواء فخرج بلوائه معقوداً وعسكر بالجرف[3] ومعه المهاجرون والأنصار وأبو بكر وعمر وأبوعبيدة وسعد، وتكلم قوم، وقالوا: يستعمل على المهاجرين والأنصار هذا الغلام، وبلغته مقالتهم فغضب غضباً شديداً، وكان - صلى الله عليه وسلم - قد بدأ به المرض الذي مات به، فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة. فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟! ولئن طعنتم في إمارته فلقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وتالله إن كان لخليقاً بها، وإن ابنه لخليق بها، وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإنه لمظنة لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم. ثم اشتد به المرض وإنه ليأمر بتنفيذ بعث أسامة، واستثنى أبا بكر ليصلي بالناس، وكان يوم عشر في شهر ربيع الأول،

(1) السابق، ص 213/1.

(2) سقطت من المخطوطة.

(3) العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ص 153/8.

فدخل الناس يوادعونه، ودخل أسامة يوم أحد عشر منه فطأطأ فقبلَّه وهو لا يتكلم غير أنه جعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، فعُرف أنه يدعو له، ثم دخل عليه من الغد فودعه فقال: اغد على بركة الله، فخرج إلى معسكر القوم وأمر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب وقد سار فبلغ الجرف أرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس، تقول: لا تعجل فإن رسول الله ثقيل، فأقبل وأقبل معه عمر وأبوعبيدة وانتهوا إليه وقد توفي حين زاغت الشمس ورجع الجيش، ولما بويع لأبي بكر أصر على تسيار ذلك الجيش وخالفه بعض الصحابة، وكان الحق مع أبي بكر كما أوضحه المحققون، ثم سار الجيش أول شهر ربيع الثاني وأغار على أبْنى وغنم ورجع سالماً، وقتل قاتل أبيه ولم يمت أحد من المسلمين، وكان أسامة يُدعى حب رسول الله وابن حبه، وكان - صلى الله عليه وسلم - يأخذ أسامة والحسن، ويقول: اللهم أحبهما، فإني أحبهما، وهذا من إكرام الموالي، وجاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بعض زوجاته أن تميط الأذى من مخاط عن أسامة، فكأنها تكرهته، فتولاه بنفسه - صلى الله عليه وسلم -، وقال له يوماً ولم يكن من أجمل الناس: لو كنت جارية لنحلناك وحليناك حتى يرغب فيك الرجال، وكان عمر - رضي الله عنه - يقول له: أيها الأمير، فقال له: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا، فقال: لا أزال أدعوك به ما عشت، مات رسول الله وأنت أمير عليَّ، ومناقبه - رضي الله عنه - كثيرة. توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين عن خمس وسبعين سنة، وإكرام الموالي كانت عليه كرام العرب لا جفاتها، فإن حسبهم الله فيما يكون منهم من إذلال ومهانة للموالي والرقيق.

وبهذه المناسبة نأتي بنبذة مما يتعلق بأولاد السراري ومن أمه أمة، يقال له: هجين، وهو عند العرب من أبوه شريف وأمه وضيعة، والأصل أن تكون أمة، ثم الهجين في الأصل الأبيض، والهجان من الإبل البيض الكرام، وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

ذراعــي عيطــل أدمــاء بكـر هجـان اللـون لم تقـرأ جنيناً[1]

(1) ديوان عمرو بن كلثوم، مرجع سابق، ص 68.

ولما كان الغالب على أولاد العرب الأدمة وكانت العرب تسمي العجم الحمراء ورقاب المزاود لغلبة البياض[1]، سموا أولادهم من الإماء هجيناً، قصد الروم والصقالبة ومن أشبههم إلى أن كثر الاستعمال فغلب على أولاد الإماء وإن كن زنجيات أو حبشيات، ولما فتح قتيبة سمرقند أُتي له بجارية من بنات يزدجرد أعجبته، فقال: أترى ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالت: نعم، من قِبل أبيه. وخطب عبد الملك من عقيل بن علفة اليربوعي إحدى بناته لبعض أولاده، فقال: إن كان ولابد فجنبني هجناك[2]، أي فليكن من يأخذها منهم لم تكن أمه أمة، وكان فيهم من أمه أمة كمسلمة، ولذا أخطأته الخلافة لما كانوا عليه من قرب العهد بسذاجة العربية مع أن مسلمة كان من شهامهم، ثم تقلد الخلافة في بني العباس من أمه أمة كالهادي والرشيد والمأمون وغيرهم وإلى اليوم ، قال عمر – رضى الله عنه –: ليس قوم أكيس من أولاد السراري؛ لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم[3]، وروي عن رجل من قريش قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوماً: من أخوالك؟ فقلت: أمي فتاة، فكأني نقصت في عينه، وصبرت حتى دخل عليه يوماً سالم بن عبدالله بن عمر، ولما خرج قلت له: من هذا ياعم؟ قال: يا سبحان الله، أتجهل مثل هذا من قومك؟ هذا سالم بن عبدالله بن عمر، قلت: فمن أمه؟ قال: فتاة، ثم صبرت حتى دخل عليه يوماً القاسم بن محمد بن أبي بكر، وخرج، فقلت: من هذا ياعم؟ قال: أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر، قلت : فمن أمه؟ قال: فتاة، وصبرت حتى أتاه يوماً علي زين العابدين بن الحسين بن علي، ونهض، فقلت: من هذا ياعم ؟ قال: هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأم هؤلاء الثلاثة بنات يزدجرد نفسه آخر ملوك الفرس، أُتي بهن في الغنائم زمن ابن الخطاب، فلم يكنّ

(1) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (رقب).

(2) أبو الفرج الجوزي: **أخبار النساء**، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1982م، ص 113.

(3) الأصفهاني: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1420هـ، ص 1/421، 422.

كسائر الإماء، واختص بهن آباء هولاء الثلاثة في قصة مذكورة في الفتوحات[1]، قال القرشي: يا عم، رأيتني نقصت في عينك لما علمت أني ابن أمة، فما لي في هؤلاء أسوة، قال: فجللت في عينيه جداً، وكان علي بن الحسين لا يأكل مع أمه في صحفة، فقيل له في ذلك، فقال: أكره أن تسبق يدي إلى ماسبقت إليه عينها فأكون قد عققتها، وكان اسمها سلافة، وكانت من خيِّرات النساء[2]، وكانت أم بلال بن جرير[3] فتاة تدعى أم حكيم، باسم أخ له منها أعطاها الحجاج جريراً في قصة، فقاوله الحمَّاني[4] يوماً وقال : يا ابن أم حكيم، أي يا ابن القينة، فقال له بلال: ما تذكر من ابنة دهقان أخيذة رماح وعطية ملك، وليست كأمك التي بالمروت تغدو على إثر ضأنها، كأن عقبيها حافرا حمار[5]، والمروت، كسفود، واد لبني حمَّان بن عبدالعزى له يوم في العرب[6]، فقال الحمَّاني: أنا أعلم بأمك، إنما عتب عليها الحجاج أمراً - الله أعلم به - فحلف ليدفعنَّها إلى ألأم العرب، فوجد أباك ولم يشكك فيه[7]، وهذا مما دعت إليه المناضلة، ولم يكن في قصة إعطاء الحجاج إياها، والسليك ابن السلكة إنما اشتهر بأمه، أما أبوه فهو عمير السعدي، وكانت أمه حبشية سوداء، وكان من غربان العرب، ولذا قال من قصيدة:

أشاب الرأس أني كل يوم	أرى لي خالة بين الرجال
يشق عليَّ أن يلقين ضيماً	ويعجز عن تخلصهن مالي[8]

يتوجع لخالاته الإماء.

---

(1) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 179/7.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 90/2.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 92/2.

(4) البُرِّي: **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة**، نقحها وعلق عليها: محمد التونجي، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1، 1983م، ص 171/1.

(5) البَلَاذُري: **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1996م، ص 235/12.

(6) انظر: - ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، ص 327/16.

- الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (مرت).

(7) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 92/2.

(8) السابق والصفحة.

وكتب محمد النفس الزكية ابن عبدالله المحض ابن الحسن، إلى أمير المؤمنين المنصور، وكان خرج عليه: ولست من أولاد الطلقاء ولا من أولاد اللعناء ولا أعرقت في الإماء ولا حضنتني أمهات الأولاد، وإن هاشماً ولد علياً مرتين، وعبدالمطلب ولد الحسن مرتين، ورسول الله ولدني مرتين، يعني أن عبدالله المحض أمه فاطمة بنت الحسين والحسن السبط أمه فاطمة بنت رسول الله وأبوه علي، وكلاهما من عبدالمطلب، وعلي أبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فكتب إليه المنصور وهو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: إن خير الأولين والآخرين من له السبق في كل شيء، لم يلده هاشم ولا عبدالمطلب إلا مرة واحدة وقد بُعث وعمومته أربعة: اثنان مؤمنان: أحدهما جدي العباس، واثنان كافران: أحدهما جدك أبو طالب، وأما قولك لم تعرق فيك الإماء فقد فخرت فيه على بني هاشم كلهم أولهم إبراهيم ابن رسول الله، ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثله إلى آخر رسالته.

ويقال لمن أمه كريمة وأبوه خسيس: المذرَّع، أصله الرقمتان في ذراع البغل من أبيه الحمار، قال الفرزدق:

إذا باهلي تحته حنظلية ... له ولد منها فذاك المذرَّع[1]

وقال آخر:

إن المُذرَّع لا تغني خؤولته ... كالبغل يعجز عن شوط المحاضير[2]

الشوط نوع من المسير، والمحاضير جمع محضير: الفرس السريع.

وزعمت أن خلافة[3] ***أبي بكر كانت فلتة***: قال أهل الأخبار لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في بيته لم يفرغ منه وقد أُغلق الباب انحاز الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي والعباس والزبير وطلحة في

(1) انظر: **ديوان الفرزدق**، ضبط معانيه وشرحها وأكملها: إيليا حاوي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1983م، ص 328/2.

(2) البيت لابن قيس العدوي ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (ذرع).

(3) بيعة في التمام.

بيت فاطمة، وبقية المهاجرين إلى أبي بكر وعمر ومعهم بنو عبد الأشهل مع أسيد بن حضير، فانطلقوا إلى الأنصار في السقيفة. وكان ما كان إلى أن تمت البيعة لأبي بكر - رضي الله عنه - قال ابن عباس: كنت مع عبد الرحمن بن عوف بمنى آخر حجة حجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقال لي: لو رأيت أمير المؤمنين أتاه رجل فقال: هل لك في فلان؟ تقول: والله لو قد مات عمر [قد][1] بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، وغضب عمر وقال: سأقوم العشية فأحذر الناس، هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم، قال، أي أبو عبيدة - رضي الله عنه -: ونعم ما قال، وحبذا الآراء السديدة والمشورات العالية، فقلت له: لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس الذين يغلبون على القرب منك حين تقوم، فأخشى أن يطير بمقالتك هؤلاء ولا يعوها ولا يضعوها مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل الفقه مقالتك ويضعونها مواضعها، قال ابن عباس: فقدمنا المدينة عقب ذي الحجة وجاءت الجمعة فعجلت بالرواح، فجاء عمر وصعد المنبر فلما فرغ المؤذن من الآذان، قام فأثنى على الله ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقالة ولعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها؛ فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل أن يكذب عليَّ، وشرعٍ يقول إلى أن قال: وقد بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فلا يغرنَّ امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو والذي بايعه نغرة أن يقتلا. ثم ساق ما كان يوم السقيفة مما تواطأت عليه الأخبار وتلقفته الأخيار وأجمع عليه المقربون والأبرار، ولم ينكره إلا الفجَّار أهل الفتن أهل الأحن أهل النار عليهم غضب الله العزيز الجبار. ومعنى فلتة، قال في تاج العروس[2]: «وفي الحديث كانت بيعة أبي بكر فلتة فوقى الله

(1) زيادة من المحقق.

(2) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (فلت).

شرها، قيل: الفلتة - هنا - مشتقة من الفلتة آخر ليلة من الأشهر الحرم فيختلفون فيها أهي من الحل؟ أو من الحرم؟ فيسارع الموتور إلى درك الثأر فيكثر الفساد وتسفك الدماء»[1]، فشبَّه أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأشهر الحرم ويوم موته بالفلتة في وقوع العرب في الارتداد وتوقف الأنصار عن الطاعة، ومنع من منع الزكاة، والجري على عادة العرب أن لايسود إلا واحداً منهم من القبيلة، ونقل ابن سيده عن أبي عبيد: أراد أي بالفلتة الفجأة ، وكانت كذلك؛ لأنها لم ينتظر بها العوام؛ بل ابتدرها أكابر الأصحاب إلا ما كان من خفة وطيش من بعض، ثم لاذ الكل بهم بمعرفتهم أن ليس لها إلا هو[2]، وقال الأزهري: إنما معنى فلتة البغتة، وإنما عوجل بها مبادرة لانتشار الأمر حتى لا يطمع فيها من ليس لها بموضع[3]. وقال ابن الأثير: أراد الفجأة، وإنما قال: كفى الله شرها ؛ لأن هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيجة للفتن، فعصم الله ذلك، وقيل: خِلسة أي أنها لما مالت لها الأنفس يومئذ قلدها أبو بكر انتزاعاً من الأيدي واختلاساً، انتهى باختصار وإيضاح[4]، وليس المراد أنها على خلاف، والحق حاشا ثم حاشا أن يوافق عمر عليها، بل هي الحق على الوجه الأحق كما قرر ذلك أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل الضلال من الشيعة ومن قلدهم جهلاً أو نفاقاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقول ابن زيدون - هنا - **زعمت** وجعل هذا القول من الجرائم لا يخفى مافيه، لكنه عبَّر بالخلافة بدل البيعة وهو غير الوارد كما علمت، ولعله ليوافق التعبير بالزعم وليصح عدَّه من السيئات.

(1) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 168/8.

(2) ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ - 2000م، (فلت).

(3) الازهري: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، بيروت، دار إحياء التراث، ط 1، 2001م، (تلف).

(4) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، ص 318/12.

واعلم أن الإمامة عند أهل السنة من واجبات الدين، فيجب على الأمة نصب الإمام، ويتعيَّن القائم بها بتعيينهم[1]، أما عند الشيعة فليست هي من المصالح التي تفوض إلى رأي ونظر الأمة؛ بل هي ركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الإسلام لا يجوز إغفاله لنبي ولا تفويضه إلى الأمة ، فيجب على النبي تعيينه، ويجب أن يكون معصوماً من الكبائر والصغائر، ومذهبهم جميعاً أن علياً - رضي الله عنه وكرَّم وجهه - هو الإمام الذي عيَّنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ويستدلون بأدلة هي في نظرهم شاهدة بذلك، لكنها كلها إما موضوعة أو مطعون فيها أو بعيدة عن تأويلاتهم[2]، ثم منهم من يرى أنها تدل على تعيينه شخصاً وتنتقل منه إلى من بعده وهم الإمامية[3]، ومنهم من يرى تعيينه بالوصف لا بالشخص، غير أن الناس قصروا إذ لم يضعوا الوصف موضعه وهم الزيدية[4]، وهؤلاء لا ينكرون إمامة الشيخين ويجوز إمامة المفضول عندهم مع وجود الفاضل، ثم بعد علي اختلفت نقولهم في مساق الإمامة ، فمنهم من يدعيها لولد فاطمة على التعيين وهم الإمامية نسبة إلى الإمام، فإنهم يشترطون في الايمان بالله معرفة الإمام وتعيينه، وهم أقسام فمنهم الاثنا عشرية القائلون: إن الإمام علي، ثم ابنه الحسن، ثم الحسين، ثم ابنه علي زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه علي الرضا الذي كان عهد إليه المأمون ومات قبله، ثم ابنه محمد النقي، ثم ابنه علي الهادي، ثم ابنه الحسن العسكري، ثم ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الثاني عشر، يزعمون أنه دخل السرداب في دارهم بالحِلة وتغيَّب حين اعتقل مع أمه وغاب، وإنه يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، يشيرون إلى الحديث الواقع في (الترمذي) في المهدي

---

(1) ابن حجر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مرجع سابق، ص 27/1.

(2) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، مرجع سابق، ص 256/1.

(3) الأشعري: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط 1، 2005م، ص 34/1.

(4) العسقلاني: **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ص 34.

المنتظر[1]، فهم ينتظرونه ويقفون كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد أحضروا مركباً ويهتفون باسمه، ويدعونه إلى الخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينفضون ويرجئون إلى الليلة الآتية.

ومنهم الإسماعيلية القائلون بأن الإمام إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق الذي مات في حياة أبيه، ولا يقولون بإمامة موسى الكاظم، قالوا ثم انتقلت من إسماعيل إلى ابنه المكتوم محمد وهو أول الأئمة المستورين ؛ لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر، وتكون دعاته ظاهرين بالحجة على الخلق، وإذا كانت شوكة ظهر[2] وأظهر دعوته، قال وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق، وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين، وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبيد الله الشيعي في كُتامة[3]، وتتابع الناس عليه ثم أخرجه من معتقله بسلجماسة[4]، وملكوا القيروان من المغرب وملك بعده بنوه مصر وهم العبيديون، ويعرف الإسماعيلية أيضاً بالباطنية ؛ لقولهم بالإمامة للباطن، أي المستور، وبالملحدة لما في مقالتهم من الإلحاد، ومن الشيعة الزيدية نسبة إلى صاحب مذهبهم سيدنا زيد بن علي بن الحسين، وهم يسوقون الإمامة بعد علي في ولد فاطمة ، لكن لا بالنص على أحد بل باختيار من الشيوخ، ويشترط فيه أن يكون عالماً زاهداً جواداً شجاعاً، وأن يخرج داعياً إلى إمامته، وقد كان زيد يناظر أخاه محمداً الباقر في هذا الشرط، فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوهما علي زين العابدين إماماً ؛ لأنه لم يخرج ولا تعرَّض للخروج، وقد كان[5] زيد أخذ عن واصل ابن عطاء؛ فلذلك كان ينمي إليه مذهب المعتزلة، ولما ناظره الإمامية ورأوه يقول بصحة إمامة الشيخين ولا يتبرأ منهما، رفضوه، ولم يجعلوه من الأئمة فسُموا الرافضة، ومن

---

(1) عبدالرحمن بن عبدالخالق اليوسف: **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ط 3، 1986م، ص 385.

(2) أي قوة.

(3) كتامة اسم قبيلة مغربية ، وبها سمي المكان.

(4) مدينة في جنوب المغرب.

(5) في الهامش واثبتناها في المتن.

الشيعة من جعلها بعد السبطين في أخيهما محمد بن الحنفية ثم ساقها بعده إلى ولده ، وبعضهم ادَّعى أنه المتغيب في جبل رضوى ، وقال شاعرهم[1]:

أَلَا إِنَّ الأَئِمَّةَ مِن قُرَيْشٍ	وُلَاةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلِيٌّ والثَّلَاثَةُ مِن بَنِيهِ	هُمُ الأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ	وَسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلَاءُ
وَسِبْطٌ لَا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى	يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِم زَمَاناً	بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

والقائلون بإمامة محمد بن الحنفية وانتقالها إلى ولده هم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاه، والحاصل[2] أن الإمام عندهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم منهم من تنتقل من الحسين إلى ابنه علي بن زين العابدين، ثم الإمامية ينتقلون منه إلى ابنه محمد الباقر، ثم ينقسمون إلى اثني عشرية وإسماعيلية، والزيدية ينتقلون منه إلى ابنه زيد صاحب المذهب، وكان قد خرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة ثم قُتل وصُلب بالكناسة[3]، وقالوا بعده بإمامة ابنه يحيى فقد خرج أيضاً ومضى إلى خراسان وقُتل بالجوزجان[4] بعد أن أوصى إلى محمد النفس الزكية، فإنه أيضاً خرج بالحجاز إلى أن جاءته عساكر المنصور العباسي، فقُتل وعُهد إلى أخيه إبراهيم، فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي، فوجَّه إليهم المنصور العباسي عساكره فهزمهم وقُتل إبراهيم وعيسى، كل ذلك أخبر به سيدنا جعفر الصادق الأول وهو من كراماته، وقال آخرون: إن الإمام بعد النفس الزكية محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين الذي خرج بالطالقان[5]، فقُبض عليه وسيق

(1) الأبيات لكثير عزة ، وليست في ديوانه، انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 508/1.

(2) ساقطة في الأصل وأثبتناها من الحاشية.

(3) محلة بالكوفة، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 481/4.

(4) كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق ، ص 182/2.

(5) مدينة في خرسان، انظر: الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط 2، 1980م، ص 380/1.

إلى المعتصم بالله العباسي، فحُبس إلى أن مات ، وقال آخرون من الزيدية: إن الإمام بعد يحيى أخوه عيسى الذي كان مع إبراهيم المذكور آنفاً، ونقلوا الخلافة في عقبه وإليه ينسب دعي الزنج [1]، وقال بعض الزيدية: إن الإمام بعد النفس الزكية أخوه إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس الأصفر الذي بقي ملك المغرب في عقبه إلى أن انقرضوا، ومن الزيدية الداعي، الذي ملك طبرستان، الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي ، وكان معه أخوه محمد بن زيد، وكان منهم الناصر الأطروشي القائم بالديلم[2]، وأسلموا على يده وتوصلوا على الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد، ومن الشيعة طوائف غلاة تجاوزوا حد العقل والايمان، فقالوا بألوهية الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بالصفات الألوهية وأن الإله حل في ذاته البشرية، وهو قول بالحلول يوافق قول النصارى في عيسى، وقد حرق علي - كرم الله وجهه - من ذهب إلى ذلك منهم بالنار، وسخط محمد بن الحنفية على المختار ابن أبي عبيد الثقفي[3] لما بلغه عنه مثل ذلك وصرَّح بلعنه والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق بمن بلغه عنه مثل ذلك، أو على أن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى الإمام الذي بعده؛ ليكون فيه ذلك الكمال، وهو قول بالتناسخ، ومن الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى غيره بحسب من يعيِّن لذلك، وهؤلاء هم الواقفية، فبعضهم يقول: مات ويرجع إلى حياته الدنيا، وهم القائلون بالرجعة ،ومنهم السيد الحميري[4] فمن شعره:

إذا ما المرء شاب له قذال　　　وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته وأودى　　　فقم ياصاح نبك على الشباب

---

(1) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ص251.

(2) كل هذه الأخبار تجدها في كتب التاريخ، مثل الكامل لابن الأثير.

(3) الأبشيهي: **المستطرف في كل فن مستظرف**، بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1419هـ، ص 341.

(4) هو: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، انظر: ابن شاهنشاه: المختصر في أخبار البشر، مرجع سابق، ص 14/2.

إلى يوم تؤوب الناس فيه ... إلى دنياهم قبل الحساب

فليس بعائد ما فات منه ... إلى حد إلى يوم الإياب

أدين بأن ذلك دين حق ... وما أنا في النشور بذي ارتياب

كذاك الله أخبر عن أناس ... حيوا من بعد درس في التراب[1]

ومن الكيسانية فرقة يقال لهم الهاشمية، ساقوا الإمامة بعد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم ثم أخيه علي ثم ابنه الحسن ابن علي، ومنهم من قال: إن أبا هاشم أوصى بها إلى محمد الإمام ابن علي بن عبدالله بن العباس، وهو إلى إبراهيم الإمام ثم إلى أخيه عبد الله السفاح ثم إلى آخر العباسيين، والله سبحانه أعلم[2].

ورّويت رمحي من كتيبة خالد: شطر بيت لأبي شجرة عمرو أو سليم بن عبد العزيز السلمي[3]، ويقال لأمه الخنساء، قيل: أتى عمر يستحمله فقال له: من أنت؟ قال: أبو شجرة السلمي، قال: أي عدي نفسه، ألست القائل يوم ارتدت العرب وارتددّت:

ورويت رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ... ترى البيض في حافاتها والسنورا[4]

وانحنى عليه بالدرة، فسعى إلى ناقته وحل عقالها، وأقبلها حرة بني سليم بأحث سير هرباً من الدرة، وهو يقول يذكر ناقته:

قد ضن عنها أبو حفص بنائله ... وكل مختبط يوماً له ورق

مازال يضربني حتى خذيت له ... وحال من دون بعض الرغبة الشفق

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 247/2.

(2) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ص136/3.

(3) الصواب أنه : سليم ، وليس عمراً، انظر : العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1415هـ، ص 141/3.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 304/1.

ثم التفت إليها وهي حانية مثل الرتاج إذا ما لزه الغلق
أقبلتها الخل من شوران مجتهدا إني لأزري عليها وهي تنطلق[1]

ويروى أنه كان يرمي المسلمين يوم الردة فلا يغني شيئاً، فجعل يقول[2]:

ها إن رميي عنهم لمعبول فلا صريح اليوم إلا المصقول

وكتيبة خالد أي الجيش الذي هو أميره وسار به لقتال أهل الردة ، فإن كثيراً من العرب ارتدت بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فتردد الصحابة في قتالهم وصمم أبو بكر على ذلك، وقال بعضهم: بلغ عمر - رضي الله عنه - أن قوماً يفضلونه على أبي بكر فوثب مغضباً حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: أيها الناس إني أخبركم عني وعن أبي بكر أنه لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها، فاجتمع رأينا كلنا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أن قلنا يا خليفة رسول الله، إن رسول الله كان يقاتل بالوحي والملائكة يمده الله بهم، وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب، فقال: أوكلكم رأيه على هذا؟ فقلنا: نعم، فقال: والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون هذا رأيي، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، أيها الناس إنْ كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب، والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون، قوله الحق، ووعده صدق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وكم منٍ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين، والله يا أيها الناس لو أفردت من جمعكم لجاهدت في الله حق جهاده حتى أبلى بنفسي عذراً أو أقتل قتلاً ، والله يا أيها الناس لو منعوني

(1) السرقسطي: **الدلائل في غريب الحديث**، تحقيق: محمد بن عبدالله القناص، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 1، 2001م، ص 755/2.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 305/1.

عقالاً لجاهدتهم عليه واستعنت بالله عليهم والله خير معين. ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنت له العرب بالحق[1].

وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله تعالى، أحد أشراف قريش جاهلية وإسلاماً، كانت إليه أعنة الخيل في الجاهلية، وشهد مع قريش الحروب إلى الحديبية، ثم أسلم ولم يزل - صلى الله عليه وسلم - يوليه أعنة الخيل، وعزماته يوم مؤته ويوم قتال أهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تُحصى، إذ كانت له فيها العناء العظيم والبلاء الجميل، وروى: نِعْمَ عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على الكفار[2]، وروى سعيد بن منصور عنه - رضي الله عنه - قال: اعتمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولعلها عمرة الجعرانة، فحلق رأسه، فابتدر الناس شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا تبين لي النصر. مات - رضي الله عنه - وعمره بضع وأربعون سنة، روى أنه لما حضرته الوفاة قال: لقد طلبت القتل في مظانه فلم يُقدَّر لي أن أموت إلا على فراشي، وزاد بعضهم أنه قال: وما بقي في جسدي شيء إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح، قاتل الله الجبان[3].

ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه: مراده الإشارة إلى ذنب أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة في قتله سيدنا عمر بن الخطاب، واستعار له هذه العبارة من قول الشاعر الذي رثاه بقصيدة منها:

جزى الله خيراً من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق[4]

---

(1) انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 93/9، الإمام مسلم: صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 51/1.

(2) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م، ص 206/1.

(3) الطبراني: المعجم الكبير، مرجع سابق، ص 106/4.

(4) البيت منسوب إلى مزرد بن ضرار في: الجاحظ: **البيان والتبيين**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423هـ، ص 236/1، ولحسان في: ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 238/3، وللشماخ في: المرزوقي: **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ - 2003م، ص 764.

وأبو لؤلؤة المذكور كان نصرانياً أو مجوسياً، وكان مولاه المغيرة ابن شعبة بالكوفة والياً عليها، وكان عمر لا يأذن لمشرك أن يدخل المدينة حتى كتب له المغيرة في إرساله إلى المدينة حيث كان يعمل أعمالاً يصنع الأرحى ونقاشاً وحداداً ونجاراً وغير ذلك من منافع، فأذن له فأرسله وضرب عليه مائة درهم كل شهر وقيل أكثر، فجاء الغلام فاشتكى كثرة الخراج، فقال له عمر: ما تحسن من الأعمال، فذكرها، قال: فما خراجك بكثير فغضب العبد، وقال: ماله وسع الناس عدله غيري؟ ويروى أن عمر قال له: بلغني أنك قلت لو شئت صنعت رحى تطحن بالريح، فالتفت عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس وولى، فقال عمر: أوعدني العلج، فكان كذلك، كمن له في المسجد وطعنه وهو يصلي الصبح، وقيل: وهو يؤذن بالصلاة طعنات إحداهن تحت سرته هي التي قتلته، وطعن بذلك الخنجر ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة ونحر العلج نفسه إذ علم أنه مأخوذ، وصلى الصبح بالناس عبدالرحمن بن عوف، واحتُمل عمر إلى منزله ولما علم قاتله قال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي مسلماً يحاجني بلا إله إلا الله، وتوفي - رضي الله عنه - بالمدينة آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون، كسن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وقيل غير ذلك، وكانت ولايته بعهد من أبي بكر، وكان مهاباً عند الصحابة وغيرهم، قيل: أنه التفت يوماً وهم ماشون خلفه فوقعوا على ركبهم، فاسترجع وقال: اللهم إني أخافك أكثر مما خافني هؤلاء، ووفدت عليه ثقيف مرة وفيهم زياد بن سمية وكان شهماً حازماً يصدع بما يريد، فقال عمر - رضي الله عنه - لما عاين حركاته: لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصا، فقال أبو سفيان بن حرب للعباس وكان صديقه: إني لأعلم من وضعه في رحم أمه، يعني نفسه ضرورة، وكان ذلك وهو على دين قومه في الجاهلية في قصة مذكورة بـ (التواريخ)[1]، ومن ثم قال له العباس: ومامنعك أن تدعيه، فقال: أخاف الأصلع، يعني عمر يقطع إهابي بالدِرَّة، وهي بكسر الدال وشد الراء، سوط من جلد كان بيد عمر - رضي الله عنه -. ودخلت عليه امرأة وهو حاسر الرأس فدُهشت فقالت: (أبا غفر حفص الله لك)، أرادت أن

(1) ابن شاهنشاه: المختصر في أخبار البشر، مرجع سابق، ص 185/1.

تقول: «أبا حفص غفر الله لك»، فقلبت دهشاً، فقال: ماتقولين؟ فقالت: (صلعت من فرقتك)، أرادت أن تقول: «فرقت - أي خفت - من صلعتك»، فقلبت أيضاً، ومناقبه شهيرة - رضي الله عنه - فمن أراد شيئاً منها فعليه بالفتوحات[1] تأليف مولانا المرحوم السيد أحمد دحلان. ومدة ولايته عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام، وكان يحج بالناس كل سنة غير سنتين متواليتين، وكان مع منحه الله تعالى من التوفيقات الإلهية لمَّا أصيب وصار الناس يدخلون عليه يثنون عليه بما هو فيه يقول: «أما والله وددت أني أخرج كفافاً لا عليَّ ولا لي»، استأذن عائشة أن يدفن في حجرتها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر - رضي الله عنه - فأذنتو فدفن ومات مديوناً ستة وثلاثين ألفاً أو أكثر قُضيت عنه بعد موته.

وضحيت بأشمط عنوان السجود به: عنى به قتلة عثمان - رضي الله عنه - وأخذ له هذه العبارة من قول من قال من نعاته:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به　　يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا[2]

وضمير ضحوا للقاتلين له، وكان قتله أواسط أيام التشريق سنة خمس وثلاثين من الهجرة، كانت لحيته بيضاء يشوبها سواد وهو معنى الشمط، وكان بجبهته علامة كثرة السجود، وهو من بني أمية؛ لأن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه هي أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس، وأم أمه هي أم حكيم وتُلقب بالبيضاء وبقبة الديباج بنت عبد المطلب بن هاشم، ولذا قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية وهو أخوه من أمه أروى:

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم　　ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا　　وعند علي درعه ومسالبه![3]
هم قتلوه كي يكونوا مكانه　　كما فعلت يوما بكسرى مرازبه[4]

---

(1) انظر: - الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 188/1.
- أبو سعد الآبي: **نثر الدر في المحاضرات**، تحقيق: خالد عبدالغني محفوط، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2004م، ص 160/5.

(2) البيت لحسان بن ثابت، انظر: **ديوان حسان بن ثابت**، شرحه: عبدأ علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1994م، ص 224.

(3) في الكامل: نجائبه بدل: مسالبه.

(4) الأبيات للوليد بن عقبة، انظر: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 21/3.

وقال الوليد لعلي - رضي الله عنه - أنا ألقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأمر، يعني أم حكيم جدته من حيث تلقاه بأبيك، ومن الأمثال: «**قيل للبغل من أبوك؟ فقال: الفرس خالي**»[1].

وكانت بيعة سيدنا عثمان بعد أن فرغ من دفن عمر - رضي الله عنه - وكان عمر جعل الأمر شورى بين عثمان وطلحة وعلي والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف، وجعل معهم ابنه عبدالله على أن لا يكون له الأمر، فتشاوروا وكانت البيعة، بايعه جميع المهاجرين والأنصار ولم يختلف أحد، وكانت في زمنه الفتوحات الكثيرة والخيرات الوفيرة إلى أن كان من اختلاف الناس واجتماع الأجناد بالمدينة إلى أن استشهد - رضي الله عنه - كما أوضحه أهل الأخبار[2]، وكانت مدة ولايته: إحدى عشرة[3] سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً، ولا تخض أيها المتبرئ لدينه مع الخائضين في أمره وما وقع من الفتن وأسبابها في آخر زمنه - رضي الله عنه - إلا أن تكون - عافاك الله - متمكنا مما يجب عليك معرفته في الدين، واربأ بنفسك أن تقع فيما وقع فيه أهل البدع والضلال من الشيعة ومن نحا نحوهم من أهل التملق والنفاق.

ومما يناسب المقام أنه حكى أنه دخل عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي على سيدنا عثمان وهو مقتول، فوثب عليه وكسر ضلعاً من أضلاعه، وسبب ذلك أن أباه ضابئاً، وكان فاحشاً، استعار من قوم كلباً فأبى عليه، فطلبوه منه، فأخذ يندد بهم، ومما قال يهجوهم:

وأمكم لا تتركوها وكلبكم ... فإن عقوق الوالدين حرام[4]

فرمى أمهم به، فشكوه إلى عثمان، فأتى به ليؤدبه، فشد على ساقه سكيناً ليقتله بها فعثر عليها، فأخذ وحبس، وفي ذلك يقول:

وقائلة إن مات في السجن ضابئ ... لنعم الفتى تحلو به وتواصله

وقائلةً لا يبعدن ذلك الفتى ... ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

---

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 342/1.

(2) ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، مرجع سابق، ص 342/1.

(3) في المخطوطة: أحد عشر، هو خطأ.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 303/1، وأتى فيه: كبير بدل: حرام.

وقائلة لا يبعد الله ضابئاً ... إذ الكبش لم يوجد له من ينازله

وقائلةٍ لا يبعد الله ضابئاً ... إذ الخصم لم يوجد له من يقاوله

فلا تتبعيني إن هلكت ملامةً ... فليس بعارٍ قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل، وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي ... تخبر من لاقيت أنك فاعله[1]

ثم إن الحجاج قتل عميراً لما بلغه ما ذكر، فإنه لما ولي العراق أتى الكوفة وأهلها يومئذ ذو حال حسنة ، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، فدخل المسجد معتماً بعمامة غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر، فقام بعض الناس نحوه، فصعد ومكث ساكتاً نحو ساعة، فقال بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية يستعملون مثل هذا على العراق، وقال عمير: ألا أحصبه لكم بالحصى، فقالوا: أمهل تنظر، فلما رأى عيون الناس إليه قال، بعد أن حسر اللثام، ونهض:

أنا ابن جلا وطلاَّع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني[2]

يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

وقال أيضاً:

قد لفها الليل بعصلبي ... أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي

---

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 304/1، مع اختلاف في رواية البيت.

(2) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي في: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق (جلا)، و ابن عبد ربه:العقد الفريد، مرجع سابق، ص 278/5، 190/6.

وقال أيضاً :

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيها وتر عردّ مثل ذراع البكر أو أشدّ
لابد مما ليس منه بدّ[1]

إني والله، يا أهل العراق، ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فرماكم بي؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد أحداً تأخر بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه. يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين. فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلامٌ عليكم» فلم يقل أحد منهم شيئاً، فقال الحجاج: اكفف يا غلام، وأقبل على الناس، فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه شيئاً؟ هذا أدب ابن نهية - رجل كان على الشرطة قبله - أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن، اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين، فقرأ فبلغ: «سلامٌ عليكم» فلم يبق في المسجد أحد إلا وقال: وعلى أمير المؤمنين السلام، فأتمها وأتم خطبته ونزل وفرَّق الأعطية، فجعلوا يأخذون حتى أتاه عمير بن ضابئ يرعش كبراً، فقال: أيها الأمير، إني من الضعف كما ترى، ولي ابنٌ هو أقوى على الأسفار مني فتقبله فقال: نفعل، فلما ولى عرَّفه به رجل، وحكاه بوقعته مع عثمان وبما قال أبوه، فقال: ردوه، فردوه فقال:

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 156/3.

أيها الشيخ، هلا بعثت بدلاً يوم الدار إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان)، فإن بني أمية ورجالهم إذا أطلقوا أمير المؤمنين يعنونه ، يا حرسي: اضرب عنقه، فضربه ، فكان الرجل منهم يضيق عليه أمره فيرتحل ، ويأمر وليه أن يلحقه بزاده[1]، وفي ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأسدي[2]:

تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ عميراً وإما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا

ثم لا تتوهم أن هذا الشاعر هو سيدنا عبدالله بن الزبير بالتصغير من أسد قريش، أي من أسد بن عبدالعزى بن قصي، وهذا ابن الزبير بالتكبير كأمير من أسد خزيمة.

وبذلت لقطام:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بالحسام المسمم[3]

الذي بذل لقطام ذلك هو عبدالرحمن بن ملجم بصيغة اسم المفعول المرادي الخارجي قاتل علي - كرم الله وجهه - وقطام امرأة من تيم الرباب قتل علي أباها وأخاها يوم النهروان، وكانت من أجمل نساء الدنيا، رآها ابن ملجم فهواها وخطبها فقالت: لا أتزوجك أو تشتفي لي، فقال: وما تريدين؟ فقالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، فقال: أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني لأني إذا قتلته أقتل فيه، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فقال: والله ما جاء بي إلا قتل علي، وكان هو والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وعمرو بن

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 311/1، المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 299/1.

(2) انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 300/1، ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص280/5.

(3) البيت لابن أبي مياس، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 744/2، وانظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 145/3.

بكر التميمي السعدي، وكلهم خوارج اجتمعوا بمكة وتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم، قالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم! فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم البلاد، فقال ابن ملجم - لعنه الله: أنا أكفيكم علياً، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو: أنا أكفيكم ابن العاص، وتعاهدوا بالحطيم أن لا ينكص أحد عن صاحبه الذي توجه إليه، وتواعدوا على ليلة سبع عشرة من شهر رمضان عام أربعين وتوجه كلٌّ إلى جهته، وسموا [أي سمموا] سيوفهم، فجاء ابن ملجم إلى الكوفة وأخبرهم واستكتمهم، وقالت له قطام: سأطلب من يشد ظهرك ويساعدك، وبعثت إلى وردان رجل من قومها فأجابها، وابن ملجم أتى شبيباً ابن بجرة ودعاه فأجابه بعد جدال، ولما كانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من شهر رمضان دخلوا على قطام وهي معتكفة في قبة مضروبة بالمسجد، وكمنوا تحت السُّدة التي يخرج منها علي. ولما خرج لصلاة الصبح شدوا عليه فأصابته ضربة ابن ملجم في رأسه وأخطأه شبيب وهرب هو ووردان وقُبض على ابن ملجم وأُتي به إلى علي، فقال: أي عدو الله، ماحملك على هذا؟ فقال: شحذت سيفي أربعين يوماً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال: إنك مقتول به، يعني إنك هو ، ثم قال: النفس بالنفس إن قُتلت فاقتلوه بي، وإن عشت أرى فيه رأيي، هذا وهو مكتوف، وقالت له أم كلثوم بنت علي: لقد أخزاك الله، لا بأس على أبي، فقال: فعلام تبكين؟ إن سيفي هذا شريته بأربعين، وسميته [من السم] بأربعين، لو كانت هذه الضربة بأهل مصر لماتوا جميعاً، ومات علي ليلة الأحد عن ثلاث وستين سنة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، ودفن عند مسجد الجماعة، هذا هو الحق من أقوال أُخر، وهناك يزار ويُتبرَّك به، وبعد دفنه قُتل ابن ملجم - لعنه الله - بسيفه، وبعد هذا البيت[1]:

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا فتك إلا دون فتك [ابن][2] ملجم

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 145/3.
(2) سقطت من المخطوطة .

ثلاثة في البيت وما عُطف عليها بالنصب مفعول بذلت في كلام ابن زيدون ومرفوع في أصل رواية البيت ويحتمل الأمرين في كلام قطام ، كما قرر في مثله في محله من كتب النحو.

وفضائله - رضي الله عنه - لا تكاد تُحصر لاسيما فضيلة العلم، فإنه (باب مدينة العلم) وإنه الذي قال فيه - صلى الله عليه وسلم -: أقضاكم علي[1] فإن العلم بالقضاء يستدعي العلم بجميع أبواب العلم، فهو أدل على الفضل من نحو أفرضكم زيد وأقرؤكم أبي[2]، أما الجواب المقنع المسكت المفصح فله إليه النهاية، فمن ذلك أنه سُئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب، فقال: مسافة يوم واحد للشمس، فإنك لو تأملت حق التأمل في ذلك لما وجدت جواباً لهذا السؤال مثل هذا الجواب سواء قلنا بأن الأرض مكورة أو مبسوطة، وسئل عبدالحميد الكاتب مالذي مكنك من البلاغة؟ فقال: حفظ كلام الأصلع البطين[3]، يعني علياً - كرم الله وجهه.

وعبدالحميد هذا هو عبدالحميد بن يحيى بن سعيد العامري البالغ أعلى مراتب الكتابة البليغة وهو شهير، وقيل: إن القائل ذلك سهل بن هارون الذي انفرد في زمانه بالبلاغة وصنف الكتب معارضاً كتب الأوائل مثل كتاب (عفراء وثعلة) الذي عارض به كتاب (كليلة ودمنة) حتى قيل له برزجمهر الإسلام، وكان اتصل بالمأمون بعد الفضل بن سهل فأعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتباً على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نُقلت أيام المأمون، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب جزيرة قبرس أرسل إليه بطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد أبداً، فجمع صاحب الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة إلا مطراناً واحداً فإنه قال:

(1) ابن بطال: **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 2003م، ص244/10.

(2) العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 20/12.

(3) الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مرجع سابق، ص 50/4.

الرأي أن نعجل بإنفاذها إليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها، فارسلها إليه. فاغتبط بها وجعل سهل بن هارون خازناً لها، فتصفحها ونسج على منوالها.

وقال: - كرم الله وجهه - يوماً: مثلي ومثل عثمان مثل ثلاثة أثوار كانوا في أجمة أسود وأحمر وأبيض، فأوى إليهم أسد فلم يقدر منهم على شيء لاجتماعهم، فقال: للأسود والأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض للمعان لونه، ولوني ولونكما واحد فاتركاني آكله لتصفو لنا الأجمة، فقالا: دونكه، فأكله، ثم قال: للأحمر لوني على لونك فدعني آكل الأسود لتصفو الأجمة لِي ولك، فقال: ودونكه، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلك لا محالة، فقال: دعني أُنادي (ثلاثاً)، فقال: افعل، فنادى: إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ثم قال علي: ألا إني هنت، ويروى: وهنت يوم قُتل عثمان (يرفع بها صوته)[1]، فهذا مثل يضرب في الرجل يرزأ بأخيه: «**إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض**»[2].

وكتبت إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين: عمر بن سعد بن أبي وقاص أرسله يزيد بن معاوية لقتال الحسين لما طلبه أهل الكوفة ليبايعوه، وأراد الذهاب إليهم، وكان أمير الكوفة يومئذٍ من قبل يزيد، عبيدالله بن زياد بن سمية ، فأخبر يزيد إلى عمر: أن جعجع بالحسين، فسَّر الأصمعي ذلك بالحبس، كأنه قال: أحبسه عن المسير إلى الكوفة[3]، وفي (العباب): أي أنزله بجعجاع من الأرض، وهو المكان الخشن الغليظ، قال: وهذا تمثيل لإلقائه إلى خطب شاق وإرهاقه[4]، وقيل: المراد إزعاجه؛ لأن الجعجاع مناخ سوء لا يقر فيه صاحبه، ثم أتبع يزيد عمر بشمر ابن

(1) ابن جوان الفسوي: **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1981م، ص 118/3-119.

(2) أبو الفرج الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ص 61/5.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، (جعجع).

(4) لم يرد الجعجاع في العباب، والنص في: الزمخشري: **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط 2، ص 218/1.

ذي الجوشن، وكانت وقعة كربلاء واستشهد فيها الحسين - رضي الله عنه - على ماهو مفصل في محله[1].

وزياد بن سمية، ويقال له زياد ابن أبي سفيان، وزياد ابن أبيه كان والي خراسان أيام معاوية، وكان أحزم رجل وأسد رأياً، يكفيك في ذلك قول الفاروق فيه كما تقدم: «لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصا»، وكان مع علي ثم استلحقه معاوية وأدخله في نسب آل أبي سفيان فكان معه والقصة شهيرة، قالت الفرس ما رأينا من ساس الفرس، بعد أنوشروان، مثل هذا الغلام، أخذ نفسه بالتطلع على بواطن الأمور ببث العيون في الناس، نُقل أنه دخل عليه رجل في حاجة وجعل يتعرف إليه، فقال: أتتعرف إليَّ وأنا أعرف بك منك! إني لأعرف أباك وأمك وجدك وجدتك وهذا البرد الذي عليك لفلان أعارك إياه لتدخل به عليَّ، فبُهت الرجل.

وكان أمره مع الخوارج يقتل المعلن ويستصلح المسر، ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة، ويقول من قعد عنا لن نهجه، ويرسل للجماعات منهم فيقول: أحسب أن الذي أقعدكم عنا الرجلة، فيقولون: نعم، فيركبهم، ويقول: اغشوني الآن واسمروا عندي[2]، قال عمر بن عبدالعزيز: قاتل الله زياداً، جمع لهم كما تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوط الأم البرة، أصلح العراق بأهل العراق، ترك أهل الشام في شامهم، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف.

ومن أخلاقه أن حارثة ابن بدر الغداني كان خصيصاً به، وكان رجل بني تميم في وقته، وكان مغلوباً عليه في الشراب، فقيل لزياد فيه ليطَّرحه، فقال: كيف لي بالطراح؟ رجل هو يسايرني منذ دخلت لم يصكك ركابي ركاباه، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي، ولا أخذ عليَّ الشمس في الشتاء، ولا الروح في الصيف قط، ولا سألته عن علم فظننت أنه يحسن غيره، ولما مات زياد رثاه حارثة بقوله[3]:

---

(1) ابن أعثم: **الفتوح**، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، ط 1، 1991م، ص 5/84-85-120، -254-271 6/242، 8/225.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 3/191.

(3) أبو الحسن البصري: **الحماسة البصرية**، تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت، عالم الكتب، ص 1/258.

صَلَّى الإلهُ على قَبْرٍ وطَهَّرَهُ ... عند الثوية يُسْفَى فَوْقَهُ المُورُ
زفت إليه قريشٌ نَعْشَ سَيِّدها ... فثَمَ كلَّ التقى والبر مقبور
أبا المغيرة، والدنيا مفجّعة ... وإنَّ مَنْ غَرَّه الدنيا لمَغْرُور
قد كان عندك بالمعروف معرفة ... وكان عندك للنكْرَاء تَنكِيرُ
وكنت تُغْشَى وتُعْطِي المالَ من سَعَة ... إن كان بيتك أَضحى وهو مهجور
الناس بعدك قد خفّت حلومهمُ ... كأنما نفَخَتْ فيها الأعَاصِيرُ

الثوية موضع بالكوفة دُفن فيه زياد، وجفاه بعد زياد ابنه عبيدالله المذكور، فقال له: ماهذا الجفاء مع علمك بالحال عند أبي مغيرة ؟ فقال له: إن أبا المغيرة كان قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب، أي فلا يظن به شيء بصحبتك، وأنا حدث أُنسب إلى من يغلب عليَّ، وأنت رجل تديم الشراب فدعه وكن أول داخل عليَّ وآخر خارج عني، فقال له: إني لم أدعه لمن يملك ضري ونفعي، أفأدعه للحال عندك؟ قال: فاختر من عملي، قال: توليني رامهرمز؛ فإنها أرض عذاة وسرق (كسُكر)؛ فإن بها شراباً وصُف لي، فولاه إياهما، ولما خرج وشيعه أصحابه، قال له أنس بن أنيس:

أحار ابن بدرٍ قد وليت ولايةً ... فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حارِ شيئاً وجدته ... فحظك من ملك العراقين سُرَّق
وباه تميماً بالغنى إن للغنى ... لساناً به النفس الهيوبة تنطق
فإن جميع الناس، إما مكذبٌ ... يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ... ولو قيل: هاتوا حققوا لم يحققوا[1]

وأما ابنه عبيدالله فكان شهماً أيضاً، وكان كثير المحاورة، عاشقاً للكلام الجيد، مستحسناً للصواب منه، ولا يزال يبحث فإذا سمع الكلمة الطيبة عرج عليها، يروى أنه قال، عقب مقتل الحسين، لزينب بنت علي ، وكانت أسن من حمل إليه وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها : إن تكوني أخذت

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 252/1.

من الحجة حاجتك، فقد كان أبوك خطيباً شاعراً، فقالت: ما للنساء والشعر!، وكان به لكْنٌ يبدل الحاء هاء، سرى إليه ذلك من فارس لكونه نشأ بها، اتهم رجلاً برأي الخوارج، فقال له: أهروري منذ اليوم؟ أراد أأنت حروري؟ نسبة إلى حروراء قرية الخوارج، وقالت عائشة لامرأة سألتها: لمَ تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أحرورية أنت؟ كنا نؤمر بذلك.

وعبيدالله بن زياد هذا غير عبيدالله بن زياد قاتل مصعب بن الزبير ، فذاك عبيدالله بن زياد بن ظبيان أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، كان أحد فتاك العرب أخذ برأس مصعب ودخل به على عبدالملك فسجد شكراً، وكان عبيدالله بعد ذلك يقول: مارأيت أعجز مني أن لا أكون قتلت عبدالملك فأكون قتلت ملكين في يوم: ملك العراق وملك الشام؛ لأن مصعباً كان أمير العراق من قبل الخليفة أخيه عبدالله بن الزبير بمكة والحجاز واليمن، وكان عبدالملك بعد ذلك يجلس معه، على السرير، عبيدالله هذا، ثم تبرم منه فجعل له كرسياً آخر، ودخل يوماً عليه فوجد سويد بن منجوف السدوسي جالساً معه على السرير فجلس على سريره مغضباً، فقال له عبدالملك: يا عبيدالله بلغني أنك لا تشبه أباك، فقال: لا أنا أشبه بأبي من التمرة بالتمرة والبيضة بالبيضة والماء بالماء، ولكن أخبرك بمن لم تنضجه الأرحام ولا ولد لتمام ولا أشبه الأخوال والأعمام، فقال: ومن ذاك ؟ قال: سويد، فقال عبدالملك لسويد: أأنت كذا؟ فقال: إنه ليقال، وإنما عرض عبيدالله بعبدالملك؛ لأنه ولد لسبعة أشهر[1]، فلما خرجا قال عبيدالله لسويد: والله يا ابن عم ما يسرني بحلمك على حُمر النعم ، فقال له سويد: وأنا والله ما سرني بجوابك له سود النعم[2].

وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[3]

(1) الزمخشري: **المستقصى في أمثال العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987م، ص 188/1.

(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 44.

(3) البيت لابن الزبعري، انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 11/4.

الذي تمثل بذلك هو يزيد بن معاوية لما أرسل جيشاً مع مسلم بن عقبة المري الغطفاني فكانت وقعة الحرة الشهيرة، وكان فيها من استباحة المدينة ثلاثة أيام ما يفطر الأكباد وبلغه ذلك فتمثل به، وهو من قصيدة لعبدالله بن الزبعري بن قيس بن عدي السهمي قالها يوم أحد وهي:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ	إنمَا تَنْطقُ شيئاً قَدْ فعلْ
إن لِلْخَيْرِ وَلِلشَر مَدَى	وَكِلا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ
والْعَطِيَّاتُ جِنَاسٌ بَيْنَهم	وَسَوَاء قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلْ
أَبْلِغَا حَسَانَ عَني آيَةً	فَقَرِيضُ الشّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلْ
كَمْ تَرَى بِالْجَرف مِنْ جُمْجُمَةٍ	وَأَكُفٍّ قَدْ أُرنت وَرِجلْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ قتيل سَيدٍ	مَاجِد الجَدَيْنِ مِقْدَام بَطَلْ
صَادِق النَّجْدَة قَرْم بَارعٍ	غَيْر ملْتَاث لَدَى وَقْع الأَسَلْ
فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ	بَيْنَ أقْحَافٍ وَهَام كَالْحَجَلْ
لَيْتَ أَشْيَاخي بِبَدْر شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَج مِنْ وَقْع الأَسَلْ
حِينَ حَاكَتْ بِقُبَاء بَرْكَهَا	واسْتَحَر الْقَتْلُ فِي عَبْدَ الأشَلْ
ثُم خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصاً	رَقَصَ الْحَفَّان يَعْلُو فِي الْجَبَلْ
فَقَتَلْنَا النصفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ	وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْر فَاعْتَدَلْ
لاَ أَلُومُ النفْسَ إلا أَنَّنَا	لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ
بسُيُوف الهند تَعلُو هَامَهُم	عَلَلاً تَعلُوهُمُ بَعدَ نَهَلْ[1]

وأجابه حسان بن ثابت - رضي الله عنه- فقال:

ذهبَت يَابنَ الزبَعرَي وَقعَةٌ	كَانَ منا الفَضلُ فيهَا لَو عَدَل
ولَقَد نلتُم وَنلنَا منكُمُ	وَكَذَاكَ الحَربُ أَحيَاناً دُوَل
نَضَعُ الأَسيَافَ فِي أَكتَافكُم	حَيثُ نَهوَى عَلَلاً بَعدَ نَهَل

(1) ابن طيفور: **بلاغات النساء**، صححه وشرحه: أحمد الألفي، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، 1908م، ص25، والأبيات أيضا موجودة في ديوان حسان بن ثابت ، مرجع سابق، ص 180.

نُخرجُ الأَصبَحَ من أَستَاهكُم   كَسُلاح النيب يَأكُلنَ العَصَل
إذ تُوَلُونَ عَلَى أعقابكُم   هَرباً في الشعب أَشباهَ الرّهل
إذ شَددنَا شَدة صَادقَةً   فَأجأناكُم إلَى سَفح الجَبَل
بخَنَاطيلَ كَأَشدَاف المَلاَ   من يُلاَقُوهُ منَ النَاس بهَل
ضَاقَ عَنا الشّعبُ إذ نَجزَعُهُ   وَمَلأنَا الفُرطَ منهُ وَالرِّجل
وَعَلَونَا يَومَ بَدر بالتقَى   طَاعَة الله وَتَصديق الرُسُل
وَقَتَلنَا كُل رَأس منهُم   وَقَتَلنَا كُل جَحجَاح رفل
وَتَركنَا في قُرَيش عَورَةً   يَومَ بَدر وَأحَاديثَ المثل
وَرَسُولُ الله حَقاً شَاهد   يَومَ بَدر والتَنَابيلُ الهُبَل
في قريش من جُمُوع جَمعُوا   مثل ما يُجمَعُ في الخصب الهمَلْ
نَحنُ لا أمثَالُكُم ولَد استهَا   نَحضُرُ البَأسَ إذَا البَأسُ نَزَل[1]

وابن الزبعري أسلم بعد الفتح - رضي الله عنه - وكان أشعر قريش وأمه عاتكة الجمحية وهو القائل وهو مشرك لما سمع آية ﴿**وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾[2]: أليس قد عبدت النصارى عيسى؟ ورد عليه بأن ما لما لا يعقل، أو كما قيل.

ويزيد بن معاوية ولي الخلافة بعد أبيه سيدنا معاوية بعهد منه إليه - رضي الله عنه - وماحدث منه من الفسق لا يقتضي الطعن في أبيه، فإياك ثم إياك أن تظن بمعاوية - رضي الله عنه - أنه علم ذلك، فإنه أعدل من ذلك وأفضل بل إنه كان يعذله وينهاه عن سماع الغناء وهو أقل مما وقع منه بعد، وانظر إلى حكايته - رضي الله عنه - مع ابن الزبير فإنه أرسل إليه كتاباً يقول: «من عبدالله ابن الزبير إلى معاوية ابن أبي سفيان، إن عبيدك القائمين على أرضك المجاورة

(1) ديوان حسان بن ثابت، مرجع سابق، ص 181، 182.

(2) سورة الأنبياء: الآية (98).

لأرضنا تعدوا على أرضنا، فابعث إليهم امنعهم وإلا كان لنا ولك شأن». فاطلع على الكتاب يزيد وقال: ما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشاً يأتونك برأسه، فقال: أوخير من ذلك؟ وكتب: «من معاوية ابن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى عبدالله ابن الزبير حواري رسول الله، قد قرأت كتابك وإنه ليسوؤني ما يسوؤك وقد هبت لك الأرض والعبيد فضمهم إلى أرضك وعبيدك»، فلما ورد الكتاب إلى ابن الزبير كتب: «من عبدالله ابن الزبير إلى أمير المؤمنين معاوية ابن أبي سفيان، قد قرأت كتاب أمير المؤمنين لا أعدمه الله رأياً أحله من قريش هذه المنزلة والسلام»، فأطلع الكتاب إلى ابنه يزيد وقال: «يا بني إذا ابتليت بداء مثل هذا فداوه بمثل هذا الدواء»، فلا يشين معاوية ابنه يزيد، كما لا يشين سعد بن أبي وقاص ابنه عمر[1] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[2].

وقد وقع الإجماع على أن الإمامة ثبتت للشخص بعهد الإمام السابق إليه وأن العهد جائز ومنعقد وأن الإمامة حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك النظر في حياته وبعد مماته، فقد عهد أبو بكر لعمر بمحضر الصحابة وأجازوه وأوجبوا طاعة عمر - رضي الله عنه - وكذلك عهد عمر إلى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين، ففوض بعضهم لبعض حتى أفضى ذلك إلى عبدالرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلي، فآثر عثمان بالبيعة فانعقد له الأمر وأوجبوا طاعته والملأ من الصحابة حاضرون وسكوت الساكت منهم كنطق الناطق، فدل على أن العهد يستحق به المعهود إليه الإمامة، ولا يهتم الإمام في هذا الأمر وإن عهد إلى أبيه أو ابنه؛ لأنه مأمون على النظر لهم في حياتهم فأولى أن لا يحتمل فيها تبعة بعد مماته لاسيما إذا كان هناك داعية إلى ذلك من إيثار مصلحة أو توقع مفسدة، فعند ذلك تنتفي الظنة رأساً، فإن الذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق آرائهم باتفاق أهل

(1) القَلْعي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الأردن الزرقاء، مكتبة المنار، ط 1، ص 232.

(2) سورة الأنعام: الآية (164).

الحل والعقد عليه يومئذ من بني أمية ؛ لأنهم لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش يومئذ، فلو عهد إلى غيرٍ من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً، وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف.

وانظر إلى المأمون لما عهد إلى علي الرضا ابن موسى الكاظم كيف أنكرت العباسية ذلك، وهم يومئذٍ أهل الحل والعقد، فنقضوا بيعته وبايعوا عمه وظهر الهرج والمرج وانقطعت السبل حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد ورد أمرهم إلى معاهده.

وانظر إلى قول عمر ابن عبدالعزيز وهو خليفة: لو كان الأمر لي لعهدت إلى فلان، فإن الأمر لبني أمية يومئذ أهل الحل والعقد ولا يقدر أن يخرج الأمر عنهم خوف الفتنة وشق العصا وافتراقٍ الكلمة وسفك الدماء، وبذلك تبين انعقاد الخلافة ليزيد ، ثم لما تبين وظهر فسقه اختلف الصحابة في شأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته كما فعل الحسين - رضي الله عنه - وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - ومن تبعهما، ومنهم من أبى ذلك لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء؛ لأن شوكة يزيد هي عصابة بني أمية وجمهور أهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر أجمع، فأقصروا عن ذلك وأقاموا على الدعاء بهدايته أو الراحة منه، وهذا كان شأن جمهور المسلمين، والكل مجتهد ولا ينكر على أحد منهم، أما الحسين - رضي الله عنه - فإنه لما بعثت إليه شيعة أهل البيت أن ائتنا نقم بأمرك، ورأى أن الخروج على يزيد متعين وظن من نفسه الأهلية والشوكة، أما الأهلية فنعم وزيادة، وأما الشوكة فغلط فيها - رضي الله عنه - وقد لامه أخوه محمد بن الحنفية وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، فلم يرجع لأمر أراده الله لا مرد لقضائه، ونقل أنه لقي الفرزدق فسأله عن الناس فقال: يا ابن رسول الله، القلوب معك والسيف عليك[1]، ولكننا لا ننكر عليه ؛ لأنه مجتهد أسوة المجتهدين، ولا نقول بتأثيم الآخرين القاعدين عنه، فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد لم يروا الخروج عليه، وكان الحسين يستشهد بهم في صف القتال فيقول:

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مرجع سابق، ص 386/5.

سلوا جابر ابن عبدالله، سلوا أبا سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسهل بن سعيد، وزيد بن أرقم، ولم ينكر عليهم قعودهم عنه وعن نصره ولا تعرض لذلك؛ لعلمه أنه عن اجتهاد منهم، كما إن فعله عن اجتهاد منه، ثم لا يتوهم من هذا جواز قتاله - رضي الله عنه - وإن قال به بعض من لا يعبأ به آخذاً من قول العلماء بجواز قتال الخارج عن الإمام[1]؛ لأنه في الإمام العادل وهو هنا مفقود، فالحسين شهيد مثاب، وهذه الفعلة من يزيد من الفعال المؤكدة فسقه - لعنه الله.

ورجمت الكعبة، وصلبت العائذ على الثنية: الذي رجم الكعبة وصلب العائذ هو الحجاج بن يوسف الثقفي، والعائذ هو سيدنا عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - ولُقِّب العائذ؛ لأنه عاذ أي التجأ إلى الكعبة هو وأصحابه، وذلك أنه تقدم أنه خلع بيعة يزيد وبعد وقعة كربلاء دعا الناس إلى طاعته فأطاعوه بالحجاز واليمن والعراق، وبايعه الناس إلا ابن عباس وابن عمر وكثير من الصحابة كانوا يقولون بعدم انعقاد بيعته، وبعد موت يزيد بالشام بايع الناس ابنه معاوية الصغير ثم تخلى عن الخلافة ، فاجتمع أهل الحل والعقد على مروان بن الحكم بن العاص بن أمية وبايعوه ثم مات ؛ فأفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وبايعه ابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم - وهو الذي بعث الجيوش مع الحجاج إلى مكة لقتال ابن الزبير، فحصر مكة ونصب عليها المنجنيق في أبي قبيس، وصارت قذائفه تقع على الكعبة إلى أن انتصر على ابن الزبير وقتله وصلبه منكوساً عند الثنية، وهي ثنية كدا أي الحجون محل القبر المنسوب إليه اليوم كما قاله الملا علي القاري[2]، وكان يكنى أبا بكر وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأخوه عروة منها أيضاً وهو تابعي، أحد الفقهاء السبعة فقهاء المدينة الذين نظمهم من قال[3]:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيدالله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(1) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، مرجع سابق، ص 185/175/1.
(2) لم أعثر على هذا الرأي.
(3) البيتان لأبي العباس المرسي في: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ص 53/2.

وأما أخوه المصعب فليس منها، وللزبير أولاد غيرهم وكلهم تابعيون إلا عبدالله فإنه صحابي، احتجم النبي - صلى الله عليه وسلم - مرة وأعطاه دمه ليريقه فشربه، فقال له - صلى الله عليه وسلم - لما علم بذلك: «ويل لك من الناس وويل للناس منك»[1]، وكان شديد الأيد أي القوة شجاعاً مقداماً يكر على الصفوف فيهزمها، فكان الناس يرون أن ذلك أثر شربه دم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وسئل المهلب يوماً عن الشجعان فعدَّد ناساً ، فقيل له: فأين ابن الزبير وفلان وفلان؟ فقال : إنما ذكرت الإنس لا الجن[2].

وكان ابن الحنفية أيضاً شديد الأيد، روي أن علياً استطال درعه وقال لينتقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض ابن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها وبالأخرى على باقيها وجذبها فقلعها من حيث أمر أبوه[3]، فكان ابن الزبير إذا حدَّثه أحد بهذا غضب، قيل: إنه كان يبغض ابن الحنفية ويحسده على أيده ، ويروى أن ملك الروم أرسل إلى معاوية أن الملوك يراسلون بالغرائب أ فتأذن لي أن أغرِّب؟ فأذن فأرسل إليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر كسيد أي قوي شديد القوى، فقال معاوية لابن العاص: أما الطويل فقد أصبنا له كفؤاً وهو قيس بن سعد بن عبادة، وأما الآخر فما رأيك فيه؟ فقال: ها هنا رجلان كلاهما مبغض لك أحدهما محمد بن حنفية والآخر عبدالله بن الزبير، فقال: ابن الحنفية أقرب إلينا على حال، يعني أنه في النسب فإن بني هاشم يجمعهم مع بني أمية عبد مناف بخلاف بني أسد فإنما يجمعهم وإياهم قصي، فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس فجاء، فنزع سراويله إلى العلج فبلغت ثدييه فأطرق مغلوباً، ثم وجه إلى ابن الحنفية فجاء فخيَّر الرجلين

---

(1) انظر - الحاكم النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1990م ، ص 638/3.

- ابن هشام: **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، السهيلي، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2000م، ص 329/5.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 193/1.

(3) السابق، ص 194/3.

بين أن يقعد فيعطيني يده أقيمه أو يقعدني أو العكس، فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن إقعاده، ثم اختار القيام فأقعده محمد وعجز هو عن إقامته، وليم قيس على نزع سراويله بالمجلس، وقيل له: هلا وجهت بها، فقال[1]:

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وألا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادٍي نمته ثمود
وإني من القوم اليمانين سيد ... وما الناس إلا سيد ومسود
وبّز جميع الناس أصلي ومنصبي ... وجسم به أعلو الرجال مديد

وكان من كرام قومه، وكان سناطاً أي ليس على عارضيه شعر وفي ذقنه شعرات، ومن ليس له لحية أصلاً يقال له الثط[2]، فكانت الأنصار تقول: لوددنا أن نشتري لقيس لحية بأنصاف أموالنا، وكان سيدنا سعد بن عبادة قسَّم أمواله بين ورثته وجاور حوران إلى أن مات، فولد له ولد بعد موته ولم يكن علم به، فدعا عمر قيساً وسأله عنه، فقال: يكون له قسمي ولا ينقص ماصنعه سعد - رضي الله عنه - ومما يؤثر لابن الزبير أن عبدالله بن السائب بن أبي حبيس بن المطلب بن أسد، زوّج بنته عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان يُلقب المطرَّف بصيغة اسم المفعول لجماله فطلقها على المنصة، فجاء أبوها ابن الزبير وشكى إليه ذلك، وقال: قد ظن الناس أن ذلك لعاهة وأنت عمها، أي أنها من قبيلتك أسد بن عبد العزى فقم فادخل إليها، فقال: أو خير من ذلك جيئوني بالمنصب، فخطب فزوجها منه، وأقسم عليه ليدخلن بها في ليلته[3]، فلا تعرف امرأة نصت على رجلين في ليلتين ولاءً غيرها، فأولدها عيسى وعكاشة، ومدح بعض الشعراء ابن الزبير فقال[4]:

مدّ الزّمان عليك إذ يبني العلا ... كنفيه حتّى نالتا العيّوقا
ولو أنّ عبدالله فاخر من ترى ... فات البريّة عزّةً وسموقا

(1) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، دار المعارف، ص 601.
(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مرجع سابق، ثطط.
(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 92/2.
(4) الأبيات لبلال بن جرير، انظر: - المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 100/2.
- التادلي: الحماسة المغربية، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م، ص 184/1.

قــرمٌ إذا مــا كــان يــوم نــفــورةٍ جـمـع الـزّبـيـر عـلـيـك والـصّـدّيـقـا
لـو شـئـت مـا فـاتـوك إذ جـاريـتـهـم ولـكـنـت بـالـسّـبـق المـبـرّ حـقـيـقـا
لـكـن أتـيـت مـصـلـيـاً بـــراً بـهـم ولـقـد تـرى ونـرى إلـيـك طـريـقـاً

وهو الذي جدَّد البيت الحرام على طبق ما تمناه - صلى الله عليه وسلم - إذ قال يوم الفتح لعائشة - رضي الله عنها -: «**لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لبنيت البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام وأدخلت الحجر المسمى بالحطيم في الكعبة وأرخيت العتبة وفتحت الباب الغربي تسهيلاً للداخلين**»[2]، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - فإنه كان كذلك، ولما عمرته قريش إذ كان عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - خمساً وثلاثين سنة قصرت بهم المؤن، وروت عائشة هذا الحديث لابن اختها عبد الله بن الزبير فبناه أيام خلافته على طبق ما تمناه - صلى الله عليه وسلم - ولما تمت عمارتها أمر الناس بالعمرة شكراً لله تعالى، فاعتمروا من التنعيم في سابع عشر[3] رجب وبقيت عادة مستمرة في أهل مكة قروناً يخرجون إليها بأثقالهم، ومن ثم أطلقت العرب على رجب شهر العمرة، وبعضهم يقول: العمرة، ويعني رجباً بلا إضافة لفظ شهر، ثم بطلت هذه العادة من أزمان، ثم إن الحجاج أعاد البيت على ما كان عليه وهو ماهو عليه الآن، ثم ربما يرد هنا إشكال فيقال: إذا كان الحجر من الكعبة فلِمَ لا يجوز استقباله؟ بل لمَ لا تجوز الصلاة فيه بجعل الكعبة خلف الظهر؟ ولما لم يتعين الطواف خلفه؟ فالجواب أن هذا الحديث خبر واحد لا يفيد القطع، وإنما يوجب الظن ولذا عدَّ الحنفية من واجبات الطواف كونه من وراء الحطيم[4]، وأقحمت سنة فلم يشعر حين صلى الفجر[5] إلا والنابغة الجعدي عنده يقول:

---

(1) الإمام مسلم: صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 499/2.

(2) في المخطوطة : عشري.

(3) انظر: - السرخسي: المبسوط، مرجع سابق، ص 11/4.

- السمرقندي: **تحفة الفقهاء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1994م، ص 402/1.

(4) يعني عبدالله بن الزبير

حكيت لنا الصديق حين وليتنا ... وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس في العدل فاستووا ... فعاد صباحاً حالك الليل مظلم
أتانا أبو ليلى يشق به الدجى ... دجى الليل جواب الفلاة عثمثم
لترفع منه جانباً ذعذعت به ... صروف الليالي والزمان المصمم[1]

فقال له: مهلاً أبا ليلى، فأيسر وسائلك عندنا الشعر، أما صفوة أموالنا فلبني أسد، وأما عفوتها فلآل الصديق، ولك في بيت المال حقان: حق لصحبتك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحق بحقك في المسلمين، وأمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل، وأمر بأن توقر له حباً وتمراً[2].

وكان - رضي الله عنه - يُرمى بالبخل روي عن أبي عبيد من أئمة اللغة أنه قُرئ عليه حديث مادر المضروب به المثل في البخل فضحك، قيل: ما يضحكك ؟ قال: أتعجب من تسيير العرب الأمثال مثل مادر هذا، جعلوه علماً في البخل بفعلة تحتمل التأويل، وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر عنه من لفظه وفعله من دقائق البخل تركوه كالغفل، من ذلك أنه نظر إلى رجل من أصحابه - وهو يومئذ خليفة يقاتله الحجاج على دولته - وقد دق الرجل في صدر أهل الشام ثلاثة أرماحٍ، فقال: يا هذا اعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوى على هذا، وقال لجماعة من جنده: أكلتم تمري وعصيتم أمري، وسُمع أن رجلاً منهم أكل من بعير وحده وحمل مابقي على ظهره، فقال: دلوني على قبره أنبشه، وقال لرجل أتاه مجتدياً وشكا إليه حفا ناقته: أخصفها بهُلب - بضم الهاء، شعر يخرز به واحدته هُلبة - وارقعها بسِبت بكسر السين، جلد البقر أو كل جلد مدبوغ، وانجد بها يبرد خفها، فقال الرجل: جئتك مستوصلاً أي طالباً صلة لا مستوصفاً، فلا بقيت ناقة حملتني عليك، فقال: إن وصاحبها[3]، فلو تكلف الحارث بن كلدة أو مالك بن زيد بن مناة وحنيف الحناتم

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 4/4.
(2) أبو سعد الآبي: نثر الدر في المحاضرات، مرجع سابق، ص 122/3.
(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 159/3.

آبلا العرب أي أكثر العرب معرفة بالإبل من وصف علاج ناقة الأعرابي ماتكلفه هذا الخليفة ، ماكانوا يعشرونه أي يبلغون عشر تكلفه، والله أعلم انتهى كلام أبي عبيدة بزيادة توضيح[1].

وأنا أتعجب من أبي عبيد وتحامله على هذا الصحابي الجليل مع إن هذه الجزئيات أيضاً تحتمل التأويل على فرض تحقق وقوعها، ولم يكن من الصحابة التبسط في بيت المال وإعطاء جوائز الشعراء، وكان الأحرى به تقرير البحث بغير ذلك، فإن تسيير المثل والنبز بالألقاب لا يتوقف على كون مصدره بلغ النهاية فيه، بل ذلك يقع اتفاقاً غير مستند إلى سبب، فانظر كيف ضُرب المثل بكرم حاتم طيئ، وإقدام عمرو وحلم أحنف وذكاء إياس مع أنه كان في زمانهم وقبلهم وبعدهم من هو أبلغ منهم في ذلك! وانظر كيف بقي لؤم باهلة بفعلة شرذمة منهم اشتووا ميتهم في مجاعة وأكلوه مع أنه كان فيهم الأجواد كقتيبة بن مسلم! وكيف بقي في فزارة إتيان النياق حتى قيل فيهم[2]:

لا تأمنن فزارياً خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

وهي فعلة واحد منهم! وكيف كان عار الفسو في إياد لفسوة صدرت من واحد منهم بمحضر جماعة! وكيف انتقل عنهم إلى عبد القيس من ربيعة بابتياعه من شيخ مهو حتى قيل «**أخسر صفقة من شيخ مهْو**»! ومهو فخذ من عبد القيس منهم الجارود أراد ابنه المنذر هو أمير البصرة بيعه، فقال: من يشتري عار الفسو ويتحكم في السوم، فقال له مهوى: أنا، فقال: أثانية لا أم لك قد اشتريتموه في الجاهلية أقام الله ناعيك، وكان لمصعب بن الزبير ابن يسمى عبد الله لُقِّب بعائد الكلب لقوله[3]:

ما لي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض كلبكم فأعود

وأمر من مرضي عليّ صدودكم ... وصدود كلبكم عليّ شديد

---

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 111/1.

(2) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 389/1.

(1) أبو عبيد البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، مرجع سابق، ص 570/1.

وكان من شعراء وقته، وكان له مع الحسن المثنى مطارحات وقال فيه:

يرى حقاً وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان النبي يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول[1]

يعني أنه يرى حقوق نفسه على الناس ولا يرى حقوق الناس عليه، والحال أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو رسول الله يرى للناس عليه حقوقاً، وهذا حال كثير من أهل البيت الآن أصلحهم الله، ويروى أن عبد الله بن فضالة قصد ابن الزبير فلم يحصل على شيء فانصرف عنه، وقال من أبيات[2]:

أرى الحاجات عند أبي خبيبٍ تكدن ولا أميّة في البلاد
وما لي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهليّة من معاد

تكدن أي تفعل الكيد بالإنسان لعدم حصولها ، فلما بلغه وكانت إحدى جداته من بني كاهل من أسد خزيمة، قال: لو علم لي أماً ألأم من عمته لسبني بها، وكان له ابن يدعى خبيباً، بلغ الوليد بن عبدالملك أنه روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً (أي عبيداً)، ومال الله دولاً، ودين الله دخلاً. فأرسل لسيدنا عمر بن عبدالعزيز وكان أمير المدينة أن يضربه مائة سوط، ففعل، ثم برَّد ماء في يوم شاتٍ في جرة وصبه عليه وحبسه فمات ، فندم عمر وسقط إلى الأرض واستعفى إمارة المدينة، فكان إذا قيل له: أبشر، قال: كيف أبشر وخبيب في الطريق؟.

وقد ذكرني جواب ابن الزبير عن قول ابن فضالة حكاية وهي أن عبدالرحمن ابن حسان وعبدالرحمن بن الحكم تقاذفا، وكان أمير المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه معاوية بأن يؤدبهما، فضرب ابن حسان ثمانين وأخاه عشرين، فقيل لابن حسان وكان شاعراً: قد أمكنك مروان من نفسه فأشد به وأرفعه إلى معاوية، فقال: والله لا أفعل قد حدني حد الرجل الحر، وحد أخاه كنصف عبد، فأوجعه بهذا الكلام مع اللطف، يقال: أعرق الناس في الشعر آل حسان. عبدالرحمن هذا،

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 125/3.

(2) البيتان لعبدالله بن الزبير في، أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، مرجع سابق، ص 301/2.

شاعر وابنه سعيد وأبوه حسان وجده ثابت وأبوه المنذر وجده حرام ، يروى أن عبدالرحمن هذا لسعه زنبور وهو صغير فجاء أباه يبكي، قال: مالك؟ قال: لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة، قال: قلت والله الشعر، وأراد معلمه تأديبه على التأخر عن المكتب مع صبيان فقال:

الله يعلم أني كنت منتبذا   في دار حسان أصطاد اليعاسيبا[1]

قيل: لما حوصر ابن الزبير قالت له أمه ذات النطاقين: يابني لا تقبل منهم خطة تخاف على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بسوط في مذلة، فقال: إنما أخاف المثلة ، فقالت له: إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ، فذهبت كلمتها مثلاً ، وبقي مصلوباً سنة آلى الحجاج أن لا ينزله ما لم تشفع فيه أمه ، وبعد سنة مرت به وقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل ! فاعتبر ذلك منها شفاعة وأنزله وأمر بدفنه، وقبالته قبر يزار يقال إنه قبرها.

[**فصل**] قد يستشرف القارئ عند ذكر البيتين المذكورين عند ذكر عروة ابن الزبير معرفة الفقهاء السبعة ، فرأيت استتباع ذكرهم على ترتيب النظم، فأقول إنما خُصوا بهذه التسمية مع أنه كان في وقتهم جماعة من علماء التابعين مثل سالم بن عبدالله بن عمر؛ لأن الفتوى بعد الصحابة لم تكن إلا لهم ، قال الحافظ السلفي: «ومن المجربات أنه إذا علقت أسماؤهم على محموم زالت حماه، وإذا وضعت في حب لا يدخله السوس»[2].

أما عبيدالله فهو أبو عبد الله عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فهو ابن أخي سيدنا عبد الله بن مسعود؛ لأنه أيضاً عبدالله بن عتبة بن مسعود، وهو من أعلام التابعين لقي من الصحابة خلقاً كثيرين، وروى عنه أبو الزناد[3] والزهري[4]

(1) البيت لعبدالله بن حسان، انظر: الجاحظ: **الحيوان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1424هـ، ص 30/3.

(2) لم أجد هذا النص فيما لدي من المصادر.

(3) هو عبدالله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة، انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط 2، 1408هـ، ص 218.

(4) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة، انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ص 157/1.

وغيرهما، وقال الزهري: أدركت أربعة بحور ذكر فيهم عبيد الله هذا، وقال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله فإذا كأني ليس في يدي شيء، وقال عمر بن عبد العزيز : لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا وما فيها، وقال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وتحفظك؟ فقال: أين يذهب بكم إني أعود برأيه ونصيحته وبهدايته على بيت المال بألوف، إن في المحادثة تلقيحاً للعقل وترويحاً للقلب وتسريحاً للهم وتنقيحاً للأدب، وكان عبيد الله عالماً ناسكاً توفي سنة 102هـ اثنتين ومائة، وقيل تسع وقيل ثمانٍ وتسعين، بالمدينة المنورة.

وأما عروة فهو عروة بن الزبير شقيق عبدالله، وكان من أعلام التابعين وكان عبدالملك يكرمه، ورد عليه سيف أخيه عبدالله وعرفه من بين سيوف، فقال: بمَ عرفته، فقال بقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[1]

وكان يحدث عن أخيه كثيراً في مجلس عبدالملك فيقول: قال أبو بكر كذا أو سمعت أبا بكر يقول كذا، وكان الحجاج ذات يوم حاضراً فقال أبحضرة أمير المؤمنين: تكني أخاك المنافق لا أم لك! فقال عروة: يا ابن المتمنية إليَّ تقول لا أم لك! وأنا ابن عجائز الجنة، يعني جدته أم أبيه صفية بنت عبدالمطلب وعمته خديجة بنت خويلد بن أسد وأسماء أمه وعائشة خالته بنتي الصديق، وقد اُستدل بقوله: يا ابن المتمنية على أن أم الحجاج هي فريعة بنت همام التي تمنت نصر بن حجاج السلمي وليس كذلك وستأتي قصتها. ووفد على الوليد مرة فأصابته بالشام أكلة في رجله، فقُطعت رجله ولم يترك ورده تلك الليلة، ومات ابنه في تلك السفرة فلما عاد قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، وعاش بعدها ثماني سنين، روي أنه عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال: والله

(1) ديوان النابغة الذبياني، مرجع سابق، ص 32.

ما بك حاجة إلى المشي ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض - إن شاء الله تعالى - وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه أفقر وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك وإيانا به، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك[1]، وحكى سعيد بن أسد قال: حدثنا ضمرة عن أبي شوذب قال : كان عروة إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلونه ويحتملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآيه ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ....﴾ الآية[2] حتى يخرج، وهو الذي احتفر بئر عروة عند المدينة فهي منسوبة إليه، لكن العامة تكسر عينها، يقال ليس بالمدينة أعذب منها، وكان عبدالملك يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير، وسبب ذلك ما ذكره العتبي أنه اجتمع بالمسجد الحرام عبدالملك وعبدالله وعروة والمصعب أيام تألفهم في عهد معاوية فقال بعضهم: هلم فلنتمنه، فقال عبدالله: منيتي أن أملك الحرمين وأنال الخلافة، وقال مصعب: منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وقال عبدالملك: منيتي أن أملك الأرض كلها وأخلف معاوية، فقال عروة: لست في شيء مما أنتم عليه منيتي الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنه هذا العلم، فصرف الدهر صروفه إلى أن بلغ كل منهم إلى أمله[3]، وكانت ولادة عروة سنة اثنتين وقيل ست وعشرين وتوفي سنة ثلاث وقيل أربع وتسعين ودفن بقرية يقال لها فُرْع بضم الفاء وسكون الراء في ناحية الربدة بينها وبين المدينة أربع ليال، وهي ذات مياه ونخيل - رحمه الله.

وأما القاسم فهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - كان من سادات التابعين، أفضل زمانه روى عن جماعة من الصحابة - رضوان الله عليهم تعالى - وروى عنه جماعة من كبار التابعين، قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 256/3.

(2) سورة الكهف: الآية (39).

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 258/3.

أحداً نفضله على القاسم بن محمد، وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة، وقال محمد بن إسحاق: جاء رجل إلى القاسم فقال: أنت أعلم أم سالم؟ يعني ابن عبدالله بن عمر، فقال: ذاك مبارك سالم، كره أن يقول هو أعلم فيكذب أو أنا أعلم فيزكي نفسه، وكان القاسم أعلمهما، وكان يقول في سجوده : اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان[1]، وتقدم أن أمه إحدى بنات يزدجرد، توفي سنة ثمان أو اثنتي عشرة أو اثنتين ومائة وعمره إحدى وسبعون سنة بقديد موضع بين مكة والجحفة، وأوصى أن يكفن في ثيابه التي كان يصلي فيها قميص وإزار ورداء، فقال ابنه: ألا تزيد ثوبين ! فقال : هكذا كُفِّن أبو بكر، والحي أحوج إلى الجديد من الميت.

وأما سعيد فهو ابن المسيَّب بفتح الياء مشددة، وروي أنه كان يكسرها ويقول: سيب الله من سيب أبي، وفد أبوه المسيَّب مع أبيه حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو قرشي مخزومي صحابي وابن صحابي، وكان سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الفقه والحديث والزهد والعبادة والورع، سمع سعد ابن أبي وقاص وأبا هريرة - رضي الله عنهما - وأخذ عنهما، قال ابن عمر لرجل سأله عن مسألة: ائت ذاك فسله يعني سعيداً، ثم ارجع إليَّ فأخبرني، ففعل ذلك، فقال: ألم أخبركم أنه أحد العلماء، وقال أيضاً لأصحابه: لو رأى هذا رسول الله لسُر[2]، واجتمع بجميع من الصحابة وسمع منهم، ودخل على الأزواج الطاهرات وأخذ عنهن وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة؛ لأنه كان زوج بنته، وسئل الزهري ومكحول: من أفقه من أدركتما؟ فقالا: سعيد بن المسيب[3]، وروي عنه أنه قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة؛ لمحافظته على الصف الأول[4]، أقول: أو لإطراقه

---

(1) ابن حبان: الثقات، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية. الدكن الهند، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، ط 1، 1973م ، ص 41/8.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 375/2.

(3) السابق والصفحة.

(4) السابق والصفحة.

ببصره في موضع سجوده، وقال أهل الحديث: مرسلات سعيد ابن المسيب مقبولة، وكان يقول: ما أغرت العباد نفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانتها بمثل معصيته[1]، ومن كلامه: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار في قلوبكم؛ لكيلا تحبط أعمالكم[2]، ونزل الماء في عينه فقيل له: ألا تقدح عينك، فقال: حتى على من أفتحها[3].

قال يحيى بن سعيد[4]: كتب ابن إسماعيل والي المدينة إلى عبدالملك: أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب. فكتب: أن اعرضه على السيف، فإن مضى ؛ فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة، فلما جاء الكتاب دخل عليه سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله، وقالوا: قد جاء كتاب عبدالملك إن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك ثلاث خصال، فأعطنا إحداهن، فالوالي قبل أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل: لا ولا نعم، فقال: يقول الناس بايع سعيد! ما أنا بفاعل، وكان إذا قال لا لا يستطيع أن يقول نعم، قالوا فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً فإنه يقبل منك إذا طلبك فلم يجدك، قال: فأنا أسمع الأذان فوق أذني: حي على الصلاة ! ما أنا بفاعل، قالوا: فانتقل من مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، وكان سعيد يلزم مكاناً في المسجد لا يصلي إلا فيه، فقال: أفرقاً من الناس! ما أنا بمتقدم ولا بمتأخر، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه، فأتي به فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك، قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيعتين، فلما رآه لم يجب أخرجه إلى السدة فمدت عنقه، وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى؛ أمر به، فجرد، فإذا عليه

---

(1) السابق والصفحة .

(2) السابق ، ص 378/2.

(3) السابق والصفحة .

(4) السابق ص 372/2.

ثياب شعر، فقال: لو علمت ذلك لما اشتهرت بهذا الشأن فضربه خمسين سوطاً، ثم طاف به أسواق المدينة، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال: إن هذه الوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة ، ومنعوا الناس أن يجالسوه فكان من ورعه إذا جاء أحد إليه يقول له: «قم من عندي» كراهية أن يضرب بسببه، كانت ولادته لسنتين مضتا من خلافة عمر، وتوفي بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع وتسعين ، وقيل: سنة خمس ومائة، رحمه الله ونفعنا به.

وأما أبو بكر فهو ابن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي، واسمه كنيته ، وكان من سادات التابعين، وكان يسمى راهب قريش، وهو أخو أبي جهل، ولد أبو بكر في خلافة عمر، وتوفي سنة أربع وتسعين[1].

وأما سليمان فهو ابن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة - رضي الله عنها - أخو عطاء بن يسار ، كان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة، قال الحسن بن محمد سليمان بن يسار : عندنا أفهم من سعيد بن المسيب[2]، ولم يقل أعلم ولا أفقه.

روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة - رضي الله عنهم وعنها - الزهري وجماعة من الأكابر، وكان المستفتي إذا أتى سعيداً يقول: اذهب إلى سليمان ، توفي سنة سبع ومائة، وقيل: أربع وتسعين، وهو ابن ثلاث وسبعين[3].

وأما خارجة فهو خارجة ابن سيدنا زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي - رضي الله عنه - كان أبوه من أجلاء وأكابر الصحابة، وهو الذي قال فيه - صلى الله عليه وسلم -: «**أفرضكم زيد**»[4]، والقبر المنسوب إليه بالطائف لا أصل له، فإنه

(1) ابن إسحاق: **فتح الباب في الكنى والألقاب**، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، مكتبة الكوثر، ط1، 1996م، ص 108.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 399/2.

(3) أبو إسحاق الشيرازي: **طبقات الفقهاء**، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، ص 60.

(4) العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 20/12.

مدفون بالمدينة، وقيل: بالشام، وكان ابنه خارجة تابعياً جليل القدر أدرك زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، روى عنه الزهري، توفي سنة تسع وتسعين.

ذكر ابن سعد في (الطبقات) أنه قال: رأيت في المنام كأني بنيت بيتاً سبعين درجة ، فلما فرغت منها تدهورت، وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها، قال: فمات رضي الله عنهم ونفعنا بهم[1].

قال الملا في (شرح الشفا)[2]: إن منهم أبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف فلعله ثامن لهم؛ لأنه ذكر السبعة قبل ذلك على الترتيب المنظوم، وقد راجعت عدة من الكتب كـ (حلية) أبي نعيم، و(تقريب) ابن حجر، و(تذكرة الحفاظ)، فلم أجدهم عدوه منهم، ولا شك أنه كان من أكابر التابعين.

قال في (التذكرة)[3]: كان يناظر ابن عباس ويراجعه، واسمه كنيته، وقيل: عبدالله، وقيل: إسماعيل، وأمه تماضر بنت الأصبغ ابن ثعلبة بن ضمضم الكلبي، تزوجها أبوه حين بعثه - صلى الله عليه وسلم - إلى كلب بدومة الجندل، وعممه بيده وسد لها بين كتفيه، وقال: إن فتح الله عليك فتزوج بنت شريفهم أو قال ملكهم، وكان الأصبغ وهي التي صولحت لما مات زوجها عن ربع الثمن بثمانين ألفاً.

روى - رحمه الله - عن أبيه وعن عثمان وقتادة وأبي هريرة وعائشة وحسان وعدة، وعنه سالم أبو النضر وسعد بن إبراهيم وأبو الزناد والزهري ويحيى بن أبي كثير ومحمد بن عمرو وخلف، وكان غزير العلم ثقة عالماً، وهو ثاني بحور الزهري، والثالث عروة، والرابع سعيد بن المسيب - نفعنا الله بهم - وتوفي أبو سلمة سنة أربع وتسعين، تم الكلام على الفقهاء.

---

(1) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1، 1990م، ص202/5.

(2) الملا الهروي القاري: **شرح الشفا**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ، ص 347/2.

(3) شمس الدين الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م، ص 51/1.

وأما الحجاج فإنه أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، وما قيل: «إنه كان دباغاً أو معلم صبيان» فمن زعم بعض الرواة، لم يصح شيء منه، وكذا ما قيل: «إن أمه فريعة بنت همام التي تمنت نصر بن حجاج بالمدينة»، فإنه لم يتم، وإن قاله عروة: «يا ابن المتمنية» فإنه يحتمل غيرها، أما فريعة فكانت من نساء المدينة، وكان من حديثها الذي أوجب تسميتها بالمتمنية، وضرب بها المثل فقيل: «**أصبُّ من المتمنية**»[1] أنها عشقت نصر بن حجاج من سليم (بالتصغير) العرب المتاخمين للمدينة، وكان أحسن الناس صورة فقضيت من حبه ودفنت من الوجد به، ولهجت بذكره، حتى صار ذكره هجيرها، فَمر عمر بن الْخطاب ذَات لَيْلَة ببابها فَسَمعَهَا تَقول رافعة صوتها[2].

أَلا سَبِيل إِلَى خمر فأشربها أَو لَا سَبِيل إِلَى نصر بن حجاج

فقال من هذه المتمنية؟ فعرف خبرها فلما أصبح استحضر الفتى المتمنى فرآه فبهره جماله فقال له: أنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن لا أم لك، لأزيلن عنك رداء الجمال ثم دعا بحلاق فحلق رأسه، ثم تأمله فقال: أنت محلوق أحسن، فقال: وأي ذنب لي في ذلك؟ فقال: صدقت الذنب لي أن تركتك في دار الهجرة، ثم أركبه جملا وسيره إلى البصرة، فنزل على مجاشع ابن مسعود السلمي، وكانت له امرأة جميلة تسمى شميلة فهويها نصر، وهويته وخفي حال كل منهما عن الآخر لملازمة مجاشع، وكان مجاشع أمياً وهما يقرآن، فكتب على الأرض بحضرة مجاشع: إني أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك، ولو كان تحتك لأقلك، فوقعت تحته غير محتشمة، [قالت: و][3] أنا، فقال لها مجاشع: ما كتب؟ فقالت: كم تحلب ناقتكم؟ قال: وما كتبت؟ فقالت: وأنا، فقال: ما ينطبقان، وأكفأ على الكتابة جفنة ودعي بغلام يكتب ويقرأ، فقرأه عليه، فقال لنصر: يا ابن عمّ ما سيرك عمر من خير، فقم، إن وراءك

(1) مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 414/1.
(2) السابق والصفحة .
(3) سقطت من المخطوطة.

أوسع لك[1]، فخرج مستحيياً، وعدل إلى بيت سلمي آخر، ووقع لجنبه، وضنى من حب شميلة حتى قيل بالبصرة: «**أدنف من المتمنَّى**»[2]، بصيغة اسم المفعول، قيل: رق له مجاشع، وكلفها أن تأتيه فدخلت عليه وألقمته خبزة لاكتها وضمته إلى صدرها فقام كأن لم يكن به شيء، فقال بعض عواده[3]:

لو أسندت ميتاً إلى صدرها   عاش ولم ينقل إلى قابره

ولما فارقته نكس فلم يزل دنفاً إلى أن مات.

أما الحجاج فكان تربى في كنف أبيه ، وكان أبوه جليلاً في قومه ثقيف، فوفد على عبد الملك ومعه ابنه الحجاج ، واتصل بروح بن زنباغ صاحب شرطته، ولم يزل يترقى إلى أن ولي الحجاز، ثم العراق، وكان من أعظم مشيدي دولة بني مروان، حتى إن عبدالملك لما مات أوصى بنيه بالاحتفاء به وبقتيبة بن مسلم الباهلي، والمبالغة في إكرامهما والاحتفاظ بمودتهما، وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته: الكرم والفصاحة والدهاء والجور.

أما كرمه فمنه أنه كان في العراق يطعم على ألف مائدة ، أي سفرة يجتمع على كل واحدة منها عشرة لا أقل، وكان يرسل الرسل للناس ليحضروا، فكثر عليه ذلك، فقال: أيها الناس رسلي إليكم الشمس إذا طلعت احضروا للغداء، وإذا غربت احضروا للعشاء.

وأما دهاؤه وجوره فكثير لا تكاد تحصر أفراده[4]، وله حلم أحياناً، حكي أنه خرج يوماً إلى ظاهر الكوفة منفرداً فرأى رجلاً فقال: ما تقول في أميركم الحجاج؟ فقال: زعموا أنه من ثمود، وكفى بسوء سيرته شراً، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقال: أتعرفني ؟ قال: لا، قال: أنا الحجاج، فقال الرجل: أتعرفني يا أمير

(1) أبو هلال العسكري: **الأوائل**، طنطا، دار البشير، ط 1، 1408هـ، ص 2155.

(2) مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 274/1.

(3) عبدالقادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مرجع سابق، ص 200/3.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق ، ص 44/2.

المؤمنين؟ قال: لا، قال: أنا مولى بني عامر، أجن في كل شهر ثلاث مرات، وهذا اليوم اشتد الصرع عليَّ، فضحك من قوله وصفح عنه .

وأما فصاحته وبلاغته فمنها خطبته المشهورة المطولة يوم دير الجماجم، وفصوله الموجزة في المكاتبات، وعلى المنابر، قال مالك بن دينار: والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنيعه إلى أهل العراق وسوء صنعهم معه حتى يخيل لي أنه مظلوم[1].

وقال الحسن البصري: لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على المنبر: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له؛ لحري أن تطول حسرته[2]. ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فصعد المنبر فقال: إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله ، واستكن بحرم الله، ولو كان شيء مانع للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة؛لأن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة[3].

وخطب يوما فقال: أيها الناس، من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن ثقل عليه رأسه وضعته عنه، إن للشيطان طيفاً، وإن للسلطان سيفاً، فمن وضعه ذنبه، رفعه صلبه؛ ومن لم تسعه العافية، لم تضق عنه الهلكة.

وأرجف قوم بموته، فخرج متحاملاً حتى صعد المنبر فقال: ألا إن أهل العراق أهل النفاق ، نفخ الله في مناخرهم، فقالوا : مات الحجاج وإن مت فمه ! والله ما يرجى الخير إلا بعد الموت، وما رضي الله تعالى ذكره بالتخليد إلا لأخس خلقه وأهونهم إبليس لعنه الله ، ولقد سأل سليمان ربه فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ

(1) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 230/1.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 135/2.

(3) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، بيروت، المكتبة العلمية ، ص 287/2.

لي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ﴾[1]، ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن، أستغفر الله لأمير المؤمنين ولي وللمسلمين، وتقدم ذكر بعض خطبته في أهل العراق ، وكيف أرهبهم وتحكم فيهم في رقابهم.

قال القاسم بن سلام: لعن الله أهل الكوفة، أين قبائلهم وعشائرهم ؟! وأهل الأنفة منهم ؟! وأين تجبرهم ؟! قتلوا علياً وخذلوا الحسين ، وقاتلوا المختار وعجزوا عن الحجاج، وقد دخل عليهم في اثني عشر فارساً وهم يزيدون على مائة ألف، ولكن ظهر تصديق دعوة سيدنا علي بن أبي طالب فيهم: اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي، وقيل: هي دعوة عمر[2]، وكان محمد بن عبيدالله النميري يتغزل بزينب بنت يوسف أخت الحجاج فكان لا يلقاه، ثم لقيه فارتاع من نظره فدعا به فلما عرفه قال مبتدئاً[3]:

فهاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها … وإن كنت قد طوفت كل مكان

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها … لخلتك إلا أن تصد تراني

ثم قال: والله إن قلت إلا خيراً، إنما قلت[4]:

يخبّئن أطراف البنان من التقى … ويخرجن وسط الليل معتجرات

قال: أجل ولكن أخبرني لما قلت؟[5]:

ولّما رأت ركب النّميريّ أعرضت … وكنّ من أن يلقينه حذرات

في كم كنت أي حتى صرتم ركباً؟ قال : والله إن كنت إلا على حمار هزيل ومعي رفيقي على أتانٍ مثله، ولعله أراد تقبيحه ومقته في تغزله بالحرائر وهو بتلك الحالة من الفقر، وهلا اشتغل بنفسه، ولما واقف ابن الأشعث[6] برستقباز، وكان

---

(1) سورة ص: الآية (35).

(2) عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 264/3.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 153/2.

(4) السابق ، ص 78/2.

(5) السابق والصفحة

(6) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 153/2-154.

فيروز حصن، من رجال ابن الأشعث، فنادى الحجاج في أصحابه: من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم، ففصل فيروز عن الصف فقال وصاح بالناس: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا فيروز وقد عرفتم ما لي ووفائي. من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف. قال الحجاج[1]: والله لقد تركني أكثر التلفت وأنا بين أصحابي وخاصتي.

وفيروز هذا رجل عجمي أسلم وكان جيد البيت في العجم، كريم المحتد مشهور الآباء جواداً نبيل الصورة جهير الصوت، ولما أسلم والى حصن بن عبدالله العنبري فقيل له فيروز حصن لذلك، وكان له في قتال الخوارج اليد البيضاء مع المسلمين، وأبلى فيهم البلاء الحسن في مواطن، وكان يقاتل في موال له كثيرين يروى أنه سقط في خندق لهم في أثناء القتال فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه فوهب له عشرة آلاف درهم[2]، وروي أنه مر يوماً بفتى يسبه قومه بالعجمية لما أن أمه فتاة فقال الفتى: هذا خالي فمن منكم له خال كخالي، وظن أنه لم يسمعها وقد سمعها فيروز، فلما وصل إلى منزله بعث إلى الفتى فاشترى له منزلاً وجارية ووهبه عشرة آلاف درهم[3]، ولما ظفر الحجاج بابن الأشعث يوم دير الجماجم أتى له بفيروز فقال له: أنت الذي جعلت في رأس أميرك مائة ألف؟ قال: نعم، قال: فوالله لأمهلنك ثم لأحملنك أين مالك؟ قال: عندي، هل إلى الحياة سبيل؟ قال: لا، قال: فأخرجني إلى الناس حتى أجمعه لك فعلك ترحمني، ففعل. فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق ثم رجع له، وقال: اصنع ما شئت، فعذبه أشد العذاب حتى مات[4] -رحمه الله.

(1) انظر: السابق، ص 252/3.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 251/3.

(3) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 63/2.

(4) أبو هلال العسكري: الأوائل، مرجع سابق، ص 338/1.

وأما عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية[1] فكان ملكاً حازماً، ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه واجتماع أهل الحل والعقد عليه ، وممن بايعه ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهم – واحتج الإمام مالك بعمله في بعض مسائل كما قاله ابن خلدون في (المقدمة)[2]، ومدحه عمرو بن العاص عند معاوية يوماً فقال آخذ بثلاث[3]: آخذ بقلوب الرجال إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر الأمرين عليه إذا خولف، تارك للمراء، تارك لمقارب اللئيم، تارك لما يعتذر منه، كقول الشاعر:

فقلت له تجنب كل شيء يعاب عليك إن الحر حر[4]

وقال له رجل يوماً أن أسر إليك شيئاً فقال لأصحابه: إن شئتم، فنهضوا، ثم قال للرجل: قل: لا تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني فلا رأي لكذوب، ولا تغتب عندي أحداً، فقال له: إذن أفتأذن لي أن أنصرف، قال : إن شئت[5].

وكان لا يرضى لمجالسته إلا الأدباء، ويحاورهم تارات في أشعار العرب وأقوالهم، قال يوماً لهم: أي المناديل أفضل؟ فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقيء البيض، أي القشرة الرقيقة من دون القشرة العليا التي يقال لها القيض، وقال بعضهم: مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع، فقال: ما صنعتما شيئاً أفضلها ما قال أخو تميم عبدة[6]:

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل
وردوا شقر ما يؤنيه طابخه ما غير الغلي منه فهو مأكول
ثمة قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا المناديل

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مرجع سابق، ص 419/6.

(2) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ص53.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 41/1.

(4) عبدالقادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مرجع سابق، ص 30/10.

(5) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 50/3.

(6) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مرجع سابق، ص 219.

أي أنهم مسحوا أيديهم بعد الأكل في أعراف الخير فهي مناديلهم وهي أفضل المناديل في رأيه لأن في ذلك نوعاً من البأس والشدة والمبادرة إلى ملاقاة العدو. وسأل يوماً الأسيلم ابن الأحنف الأسدي: ما أحسن ما مدحت به؟ فاستعفاه، فأصر فقال: قول القائل من قصيدة[1]:

جلا المسك والحمام والبيض والدمى　　　وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

فقال له: ما قال أخو الأوس أحسن[2]:

قد حصت البيضة رأسي فما　　　أطعم نوماً غير تهجاع

وسألهم مرة عن قول نصيب[3]:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت　　　أوكل بدعدٍ من يهيم بها بعدي

فعابوه فقال: ما كنتم تقولون؟ قال واحد منهم: أقول بدل الشطر الثاني: (فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي) فقال: ما قلت أسوأ، فقيل: فكيف كنت قائلاً يا أمير المؤمنين؟ قال[4]:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت　　　فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقالوا واللهِ أنت أشعر الثلاثة، وروي أن نصيباً أتاه مرةً وأنشد شعره، فاستحسنه وسُرَّ به فوصله، ثم دعا بالطعام فأكل معه، ثم قال: يا نصيب، هل لك فيما يتنادم عليه؟ - يعني الشراب - فقال: يا أمير المؤمنين، جلدي أسود، وخلقي مشوه ، ووجهي قبيح، ولست في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي، فلا أحب أن أدخل عليه ما يخل به، فأعجبه كلامه ، وأعفاه ، وكان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعاً إلى مصعب ابن الزبير ، ومن مدائحه فيه قوله[5]:

إنما مصعب شهاب من الله　　　تجلت عن وجهه الظلماء

(1) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مرجع سابق، ص 380/5.
(2) القرشي: جمهرة أشعار العرب، مرجع سابق، ص 523/1.
(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 147/1.
(4) السابق، ص 148/1.
(5) انظر: **ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات**، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ص 91.

فلما قتل أصر عبدالملك على قتل عبد الله إلى أن شفع فيه سيدنا عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب، وكان مقبول الشفاعة، مرعي الجانب عنده، فدخل عليه ومدحه بقصيدة منها[1]:

يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه ذهب

فقال: تقول لي هذا، وتقول لمصعب: إنما مصعب البيت، فانظر إلى شدة نقده ولكنه قد عفا عنه لمكان ابن جعفر، وكان ممن يحضر مجلسه روح بن زنباع الجذامي صاحب شرطته[2]، وكان لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً إلى حدثه به، وكان عنده ضيف من الخوارج (عمران بن حطان)[3]، وهو ممن أطرده الحجاج وتنقل في القبائل ينتمي عند كل قبيلة إلى من غيرهم، وكان انتمى عند روح إلى الأزد، وكان يسأله عما يجري من المحاورات في مجلس عبدالملك، فما سأله عن شيء إلا عرفه وزاد عليه، فذكره لعبدالملك، فقال: خبرني عن بعض أخباره؟ فخبره وأنشده، فقال: إن اللغة عدنانية، وإني لأحسبه عمران بن حطان[4]، حتى تذاكروا ليلة قوله يمدح ابن ملجم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

أني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا[5]

ولم يدرِ عبدالملك لمن هما، فرجع روح إلى عمران فسأله عنهما، فقال: هذا الشعر لعمران بن حطان يمدح عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، ولم يقل أنا، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال: هو ضيفك فائتني به، فرجع إليه، فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فقال: إني أردت أن أسألك ذلك ولكني احتشمت،

(1) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، مرجع سابق، ص 5.

(2) ابن أعثم: الفتوح، مرجع سابق، ص 66/7.

(3) المرجع السابق، ص 66/7.

(4) عبدالقادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مرجع سابق، ص 355/5.

(5) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق.

فاذهب فأنا على أثرك، فرجع فأخبره، فقال: أما إنك سترجع فلا تجده، فكان كما قال، ووجده ترك رقعة فيها أبيات منها:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ ... وإن لقيت معدياً فعدنانِ[1]

وعمران هذا من بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن مصعب بن علي بن بكر بن وائل، وكان في الخوارج رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وقد قلب بيتيه الفقيه الطبري فقال:

يا ضربة من شقي ما أراد بها ... إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ... إيهاً وألعن عمران بن حطانا[2]

وقال محمد بن أحمد الطبيب يرد عليه:

يا ضربة من غدورٍ صار ضاربها ... أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلْتُ ألعنه ... وألعن الكلب عمران بن حطانا[3]

وممن كان من قعدة الخوارج القتاني، كتب إليه قطري بن الفجاءة المازني وكان من أمرائهم وأهل الشدة والبأس:

أبا خالد يا انفر فلست بخالد ... وما جعل الرحمن عذراً لقاعد
أتزعم أن الخارجي على الهدى ... وأنت مقيمٌ بين لصٍ وجاحدِ[4]

فكتب إليه:

لقد زاد الحياة إلي حباً ... بناتي أنهن من الضعافِ
أحاذر أن يرين الفقر بعدي ... وأن يشربن رنقاً بعد صافِ
وأن يعرين إن كسي الجواري ... فتنبو العين عن كرم عجافِ
ولولا ذاك قد سومت مهري ... وفي الرحمن للضعفاء كافِ
أبانا من لنا إن غبت عنا ... وصار الحي بعدك في اختلافِ[5]

(1) ابن أعثم: الفتوح، مرجع سابق، ص 68/7.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 746/2.
(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 126/2.
(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 123/3.
(5) المرزباني: **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1982م، ص 258.

أقول هذه بلوى هذا العاجز أساله تعالى اللطف والعناية لي ولهن، وروي أن الحجاج لما هزم ابن الأشعث وأخذ رأسه وبعث به إلى عبدالملك مع عرار بن عمرو ابن شاس الأسدي، وكان أسود دميماً، جعل لا يسأله عن شيء من أمر الوقعة إلا أنبأه به، في أصح لفظ، وأشبع قول، وأوجز عبارة، فشفاه وملأ أذنه صوابه وهو لا يعرفه، وقد اقتحمته عينه حين رآه، فقال[1]:

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد لعمري عراراً بالهوان فقد ظلم

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار: أتعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: أنا عرار، فزاد في سروره، وأضعف له الجائزة.

وكتب صاحب اليمن إليه أيام محاربته ابن الأشعث: «أني قد وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم يرَ مثلها قط»، ودخل بها عليه، فرأى وجهاً جميلاً، وخلقاً نبيلاً، فألقى إليها قضيباً في يده، فنكست لتأخذه، فرأى جسماً بهره، وهم بها، فأعلمه الحاجب أن رسول الحجاج بالباب، فنحى الجارية، وأذن فأعطاه كتاباً من ابن الأشعث فيه ثلاثة أسطر[2]:

سائل مجاور جرم هل جنيت لها حرباً تزيل بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لجبٌ جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحي ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغيط

وتحتها بيت وهو:

قتل الملوك وصار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الأقوام[3]

فكتب إليه عبدالملك وجعل في طيه جواباً لابن الأشعث:

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 415/1.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 218/1.

(3) اليوسي: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط 1، 1981م، ص 78/3.

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظاً وينوي من سفاهته كسري
أظن خطوب الأمر بيني وبينهم ... ستحملهم من على مركب وعرِ
وإني وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري
أناةً وحلماً وانتظاراً بهم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر[1]

وبات يقلب كف الجارية، ويقول: ما أفدتُ فائدةً أحب إلي منكِ فتقول: فما يمنعك؟ فقال: قول الأخطل، [و][2] إن خرجت منه، كنت ألأم العرب:

قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... عن النساء ولو باتت بأطهارِ[3]

وكان - رحمه الله - من الرأي والعلم بمكان، أُتِيَ إليه برجل من الخوارج فبحثه فرأى منه ما شاء فهماً وعلماً وأدباً ودهياً، فرغب واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مستبصراً، محققاً، فزاده استدعاءً، فقال: لتغنك الأولى عن الثانية وقد قلت فسمعتُ فاسمع أقل، قال: قل، فجعل يبسط له من أقوال الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق، وألفاظ بينة، ومعانٍ قريبة، حتى قال عبدالملك بعد ذلك: لقد كاد يوقع في قلبي أن الجنة إنما خلقت لهم وأني أولى بالجهاد منهم، وكان أراد قتله فصفح وحبسه[4]، وقال يعتذر إليه: شككتني ووهمتني حتى مالت بي عصمة ربي فغير بعيد أن تستهوي بألفاظك رعيتي من بعدي، وروي أنه في أثناء مكالمته وهو يقول له: «لله الآخرة والأولى وقد سلطني فيها ومكن لنا وأراك لا تجيب بالقول، والله لأقتلنك» إذ دخل عليه بابنه مروان شقيق اليزيد إذ أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبياً عزيز النفس وهو يبكي لضرب المؤدب، فشق على عبد الملك، فأقبل عليه الخارجي، فقال: «دعه يبكي ، فإنه أرحب لشدقه، وأصح لدماغه، وأذهب لصوته، وأحرى أن لا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة

(1) أبو علي القالي: الأمالي، مرجع سابق، ص 172/2.
(2) سقطت من المخطوطة.
(3) القرشي: جمهرة أشعار العرب، مرجع سابق، ص 728.
(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 170/3.

ربه، فاستدعى عبرتها» فأعجبه قوله، وقال متعجباً: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ويعرضه؟ فقال: ما ينبغي أن يشغل المؤمن شيء عن قول الحق.

وكان عبدالملك في شبيبته ذا ديانة، وكان له صديق من أهل الكتاب، فرأى جيوش يزيد مع مسلم بن عقبة المري تريد المدينة فقال له: ألا ترى خيل عدو الله قاصدة حرم رسول الله، فقال له: جيشك والله إلى حرم الله أعظم ، فقال: معاذ الله، قال: ما قلت ذاك شاكاً، وإني لأجدك بجميع أوصافك، قال: ثم ماذا؟ قال: تبدو لها رهطك إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان، ولما أفضت إليه الخلافة وسلم عليه بها وكان المصحف بيد ويقرأ فيه تركه، وقال: **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾**(1).

وحكى أن خالد بن يزيد(2) تزوج نساء أهل شرف منهن أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب(3)، وآمنة بنت سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية أخت عمر الأشدق(4)، ورملة بنت الزبير(5)، فقال بعض الشعراء يحرض عبدالملك على خالد بن يزيد:

عليك أمير المؤمنينَ بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تحب صدودُ
إذا ما نظرنا في مناكح خالدٍ ... علمنا الذي ينوي وأين يريدُ(6)

وسمع خالد، فطلق آمنة بنت سعيد، فتزوجها الوليد بن عبدالملك، فقال خالد:

فتاة أبوها ذو العمامة وابنه ... أخوها فما كفؤٌ لها بكثير
فإن تفتلتها والخلافة ينقلب ... بأكرم علقى منبر وسرير(7)

(1) سورة الكهف: الآية (78).

(2) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو جعفر: المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص 59.

(3) أبو جعفر: المحبر، مرجع سابق، ص 439.

(4) السابق، ص 445.

(5) هي رملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ص 127/69.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 273/1.

(7) السابق، ص 273/1.

ولبثت عند الوليد إلى أن مات عبدالملك، فسعت بها ضراتها بأنها لم تبك عبدالملك، فقالت: صدقن، لو كنت باكيةً ماذا أقول؟! يا ليته بقي حتى يقتل لي أخاً كعمرو بن سعيد؟ وذلك أن عمراً الملقب بالأشدق خرج على عبدالملك وبايعه بعض أهل بيته، وكتب إليه عبدالملك: أما بعد فإن رحمتي[1] تصرفني عن الغضب عليك، وذلك لتمكن الخداع منك، وخذلان التوفيق إياك، نهضت بأسباب أوهمتك نفسك أن تستفيد بها عنها، وأنت جدير أن لا تدفع بها ذلاً من رجل حاق به سوء الظن، واستعبدته الأماني، ملك الجبن تصريفه، واستترت عنه عواقب الأمور، عما قليل يتبين من سلك سبيلاً بمثل أسبابك أنه صريع طمع وأسير خدع، والرحم يعطف على الصفح عنك ما لم تحل بك عواقب جهلك؛ فانزجر قبل الإيقاع بك فإن فعلت؛ فإنك في كنفٍ وستر، والسلام[2].

فأجابه عمرو: واستدراج النعم إياك أفادك البغي، وراحة القدرة أورثتك الغفلة، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس من شريف المطلوب ؛ما انتقل سلطان ولا عزَّ إنسان وعن قليل يتبين من صريع بغي وأسير عدوان[3].

وكان ما كان إلى أن حُمِلَ أسيراً إليه فقال له: «طالما رحلت ثقال البغي، وهممت بعقود الباطل، وظننت أن الحق لا يلحق باطلك، والسيف لا يقطع كاهلك»، وأمر بقتله وكان مكبلاً في الحديد فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن لا تفضحني بأن تخرجني إلى الناس فتقتلني بحضرتهم ، فافعل وأراد أنه يخالفه فيخرجه فتمنعه أصحابه، ففطن لها عبدالملك وقال: «**يا أبا أمية، أمكراً وأنت في الحديد؟**»[4]؟ فذهبت مثلاً ، وأمر أصحابه فقطعوه. ولقب عمرو هذا بالأشدق لفصاحته[5]،

(1) في المخطوطة : أو لا برحمتي والتصويب من : جمهرة الأمثال، ص 34/1.

(2) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 34/1.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 302/3.

(4) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 309/2.

(5) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق ، ص 228/2.

وكان من خطباء قريش والملقب بذي العمامة هو سعيد بن العاص جد أبيه لا سعيد أبوه، ولقب بذي العمامة لجماله؛ أو لأنه لا يعتم قرشي إعظاماً له، أو لا يلبس أحد عمامةً على لونها، وكان ذلك في الجاهلية، وكان يقال له أبا أحيحة[1]، وفي الأمثال: «**أجمل من ذي العمامة**»[2] يعنونه، مات كافراً، وخلف أربعة أولاد كلهم أسلموا : خالداً، جد عمرو هذا وعمراً وأبانا والحكم الذي سماه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبدالله وهؤلاء أولاد العاص ابن أمية وبنو مروان مع سيدنا عثمان أولاد أبي العاص ابن أمية؛ لأن أمية كان له عشرة أولاد: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وهؤلاء يقال لهم الأعياص، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان غير أبي سفيان ابن حرب وعمرو وأبو عمرو وهؤلاء الستة يقال لهم العنابسة أي الأسود، وقيل[3] في أبي عمرو: إنه عبد أمية لا ابنه، وهو أبو أبي معيط جد الوليد ابن عقبة ابن أبي معيط وأبو العيص جد سيدنا عتاب ابن أسيد.

ويحكى أن الحجاج أكره عبدالله بن جعفر على أن زوجه بنته، فاستأجله في نقلها سنة وفكر في الانفكاك منه، فخطر في باله أن خالد بن يزيد يخلصه منه، فكتب إليه يعلمه بذلك، وكان الحجاج تزوجها بإذن عبدالملك، فورد على خالد كتابه ليلاً فاستأذن على عبدالملك من ساعته، فقيل له في هذا الوقت؟ فقال: إنه أمر لا يؤخر فأخبر عبدالملك فأذن له فلما دخل قال له: فيم السرى يا أبا هاشم؟ قال: أمر جليل لم آمن أن أؤخره ؛ فتحدث عليَّ حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك، قال وما هو؟ قال تعلم ما كان بين بني الزبير وآل أبي سفيان؟ قال: نعم، قال: إن تزوجي منهم أزال ذلك فما أهل بيت أحب إليَّ منهم قال: إن ذلك يكون، قال: فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم وهو من سلطانك بحيث علمت؟ وبنو هاشم كذلك؟ قال: فجزاه خيراً، وكتب إلى الحجاج يعرفه أن يطلق بنت عبدالله بن جعفر فطلقها، فغدا الناس

(1) الجاحظ: **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق:أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط 1، 1914م، ص 45.

(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 188/1.

(3) سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص 175.

يعزونه عنها[1]، وكان فيهم عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، فأوقع الحجاج بخالد وقال: الأمر كان لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه، فقال له عمرو: لا تقل ذا إن لخالد قديماً سبق إليه، وحديثاً لم يغلب عليه، ولو طلب الأمر طلبه بحق[2]، ولكنه علم علماً فسلم الأمر إلى أهله، ثم تزوج الحجاج أم الجلاس[3] بنت خالد بن أسيد، وعتبة هذا كان أمير مكة زمن أخيه شقيقه معاوية، فولّى بعض آله على الطائف، فظلم رجلاً من أزد شنوءة، فمثل بين يديه، وقال:

أمـرت مـن كـان مظلـوماً ليأتيكم   فقد أتاكم غريب الدار مظلومُ[4]

وذكر ظلامته فقال له عتبة : إني أراك أعرابياً جافياً ، والله ما أظنك تدري كم تصلي كل يوم وليلة، فقال : أرأيت إن أنبأتك تجعل لي على نفسك مسألة؟[5]:

فقال: نعم، قال الأعرابي:

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاثٌ بعدهن أربع
ثم صلاة الصبح لا تضيع[6]

فقال: صدقت فاسأل، فقال: كم فقار ظهرك ؟ فقال: لا أدري، قال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟ قال: ردوا عليه غنيمته[7].

وهذا مما يرشدك إلى أن التأني في كثيرٍ من الأحوال مما يمدح به الإنسان، قيل: شهد عند معاوية أعرابي بشهادة كرهها فقال : كذبت، فقال: الكاذب متزملٌ

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 205/1.
(2) السابق، ص 275/1.
(3) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ص 497/11.
(4) الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مرجع سابق، ص 310/3.
(5) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 280/1.
(6) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ص 170/8.
(7) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 160/7.

في ثيابك، فتبسم - رضي الله عنه - وقال: هذا جزاء من عجل[1]، وكان - رضي الله عنه - يقول: إني لا أحمل السيف على من لا سيف معه وإن لم تكن إلا كلمة يشتفى بها مشتفٍ جعلتها تحت قدمي ودبر أذني[2].

واجتمع عنده الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد، فقال لهما كلاماً أحفظهما، فردوا عليه جواباً سيئاً ، وامرأة من نسائه تسمع، فقالت له لما خرجوا : لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاماً تلقَّوك به فلم تنكر! فكدت أخرج إليهم فأسطو بهم، فقال لها: إن مضر كاهل العرب، وتميماً كاهل مضر، وسعداً كاهل تميم، وهؤلاء كاهل سعد[3].

ويروى أن يزيد ابنه قال له يوماً يغريه: أما سمعت قول عبدالرحمن بن حسان في ابنتك؟ قال: وما الذي قال؟ قال: من قصيدة:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص ميزت من جوهرٍ مكنونِ[4]

قال معاوية: صدق، فقال يزيد : وقال :

وإذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون[5]

قال معاوية: صدق، فقال يزيد: إنه قال:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضرا ... ء تمشي في مرمرٍ مسنونِ[6]

قال معاوية: كذب، فانظر إلى تؤدة هذا الصحابي الجليل والخليفة النبيل ورعايته حق أولاد الأنصار.

---

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 157/2.

(2) عبدالملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مرجع سابق، ص 157/3.

(3) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مرجع سابق، ص 162.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 237/1.

(5) عبدالقادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، مرجع سابق، ص 314/7.

(6) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 474/1.

لكان فيما جرى على ما يحتمل أن يكون نكالاً ويدعى ولو على المجاز عقاباً: هذا جوابٌ لو كما علمت واقترن باللام ؛ لأن الأكثر في جوابها إذا كان مثبتاً اقترانه باللام، أما الماضي المنفي فالأكثر عدم اقترانه بها، وأما المضارع المنفي بلم فيجب تجريده من اللام وهذه اللام تسمى لام التسويف[1] أي التأخير ، فإنها تدل على تراخي وقوع الجزاء عن وقوع الشرط، فانظر في قوله تعالى: ﴿**لَو نَشَاءُ لَجَعَلنَاهُ حُطَامًا**﴾[2] فإنها دلت على تأخير جعله حطاماً عن المشيئة تشديداً للعقوبة؛ لأنه إذا جُعِل حطاماً بعد أن استوت سوقه وقويت الأطماع فيه كان أشد في العقوبة : وأما قوله ﴿**لَو نَشَاءُ جَعَلنَاهُ أُجَاجًا**﴾[3] فإن العقوبة في تعجيل جعله أجاجاً، فإن قيل: كان مقتضى الظاهر أن يقول ابن زيدون: لكان فيما جرى على ما هو أشد النكال وأعظم العقاب؛ فالجواب أنه ليس من الحكمة تعظيم النكبة في استعطاف من صدرت منه، بل الأحرى التلطف به على وجه يعطفه على من لحقته من خادمه والمنتمي إلى سدته، فلذلك اختار هذا التعبير وأردفه بقوله :

وحسبك من حادث بامرئٍ ترى حاسديه له راحمينا[4]

رجوعاً إلى الحقيقة والبيت للعتبي، ومن هنا زائدة، وحسب اسم فعل بمعنى يكفيك حادث.. إلخ، أي يكفيك في تعظيم هذا الحادث الواقع بي أنه بلغ حد أن الحاسدين له صاروا راحمينا.

فكيف ولا ذنب إلا نميمةٌ أهداها كاشح؟! : أي كيف لا أكون محلاً لنظر مولاي وعطفه علي وأنا لا ذنب لي، وقوله: إلا نميمةً أهداها، أي أتى بها مزوقةً مزخرفة كما

---

(1) انظر تفصيل ذلك في: - ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط 1، ص 490/1.

- ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دمشق، دار الفكر، ط 6، 1985م، ص 285.

(2) سورة الواقعة: الآية (65).

(3) سورة الواقعة: الآية (70).

(4) البيت للعتبي وقيل لعبدالصمد بن معذل ، انظر : ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 69/3.

يعتنى بالهدية لتكون مقبولة عند المُهدى إليه، فهو استعارة تبعية، والكاشح مضمر العداوة، قال ابن الأثير[1]: سمي العدو كاشحاً: لأنه ولاك كشحه وأعرض عنك، أو لأنه يخبئ العداوة في كشحه ، وفي الكشح كبده وهو بيت العداوة والبغضاء، ولذا قيل: للعدو أسود الكبد[2]، كأن العداوة أحرقت كبده، والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع، ويقال طوى كشحه على الأمر: ستره وأضمره[3]، مجازاً، ويقال أيضاً: طوى كشحه عن فلان، أي قاطعه وعاداه وأعرض عنه[4]، قال الأزهري[5]: ويحتمل طوى كشحاً عن الأمر عزم عليه واستمر على عزيمته، والنميمة نقل كلام الغير على وجه الإفساد، وهي من الكبائر ولو كان صدقاً، ويجب على الإنسان أن لا يهتم بما ينقل النمام إليه ولا يستاء به، وما بلغ المكروه إلا من نقل، أي ما أوصل المكروه إليك وآذاك إلا الذي نقله إليك فهو الأحق باللوم لا المنقول عنه، قال القائل:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ... إن كان برك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهرهُ ... وقد أجلك من يعصيك مستترا[6]

ولمح بقوله: ***ونبأ*** – أي خبر– ***جاء به فاسق***: إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[7] الآية، صرح فيها بفسق الناقل ولم يفصل بين كونه صادقاً أو كاذباً، وأمر فيها بالتبين، أي باستيضاح الأمر قبل الإيقاع؛ لئلا يحصل الإيقاع بقوم بريئين مما نقل عنهم فيصبح الفاعل نادماً على ما فعل.

---

(1) لم أجد كلامه في النهاية ، ووجدته في: ابن قتيبة: **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397هـ ، ص 345/1.

(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 385/2، وفيه (هو) مكان (العدو).

(3) الزمخشري: أساس البلاغة، مرجع سابق، كشح.

(4) العسكري: **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1419هـ، ص 355.

(5) الأزهري: تهذيب اللغة، مرجع سابق ، (كشح).

(6) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 18/2.

(7) سورة الحجرات: الآية (6).

وهم أي الذين نقلوا هذا النبأ وَأَهْدَوْا هذه النميمة ***الهمازون المشّاؤون بنميم***، لمح إلى ذمهم بما ذمهم الله تعالى به في قوله في حق الوليد بن المغيرة المخزومي[1]: ﴿**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾[2]، ونزل في حقه أيضاً: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا**﴾[3].. الآيات، وكان الوليد من عظماء قريش، وكان في سعة من المال، ومكنة من السيادة، وكان يطعم الناس أيام منى حيساً[4]، وينهى أن توقد نارٌ لأجل طعامٍ غير ناره، وكانت له البساتين بين مكة والطائف، ومنها بستان لا ينقطع نفعه صيفاً ولا شتاءً، وكان من فصحاء قريش، وكان يقال له ريحانة قريش[5]، وهو الذي رمى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسحر مع اعترافه بأنه بريءٌ منه، لكن ضاقت عليه المذاهب فلم يعرف ما يقول، قال: إنه أقرب القول فيه تنفيراً للناس عنه، وتبعه على ذلك كفار قريش بعد التشاور، ففي طريقٍ إسناده جيد: «أنه اجتمع نفرٌ من قريش إلى الوليد وهو حينئذ أسنهم فقال يا معشر قريش قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا ، فيُكذِّب بعضكم بعضاً، قالوا : فأنت أقم لنا رأياً؟، قال: قولوا أسمع. قال بعضهم: نقول كاهن؟ قال: والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهان فما هو بزمزمتهم ولا بسجعهم، وقال آخرون: نقول مجنون؟ قال: والله ما هو بمجنون، ما هو بخنقه ولا وسوسته، وقال بعضهم: نقول شاعر؟ قال: والله ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، قالوا: ساحر؟ قال: ما هو

(1) الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م، ص 12/10.

(2) سورة القلم : الآيات (10-12).

(3) سورة المدثر: الآيات (11-13).

(4) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، 1964م، ص 235/18.

(5) مقاتل البلخي: **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط 1، 1423هـ، ص 492/4.

بساحر ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما تقول أنت؟ قال: والله إن لِقَولِه لحلاوة، وله طلاوة، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذَا شيئاً إلا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يفرق به بين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته»[1]، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون في سبيل الناس حين قدموا الموسم لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه منه ، وذكروا لهم أمره ، فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في أنحاء العرب بل العالم، وانقلب مكرهم عليهم، وهو أي الوليد أحد المستهزئين المعنيين بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[2]، ثانيهم العاص بن وائل السهمي أبو سيدنا عمرو بن العاص، ثالثهم الأسود بن الحارث بن قيس ابن عدي السهمي، رابعهم الأسود بن عبد يغوث بن وهب، خاله - صلى الله عليه وسلم -، وخامسهم الأسود بن مطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي ، فهم المعنيون في الآية وإن كان المستهزئون أكثر من خمسة، أبو جهل بن هشام والحكم بن أبي العاص وأبو لهب بن عبد المطلب بن هاشم وعقبة بن أبي معيط. وقيل: إن ﴿وَلاَ تُطِعْ﴾[3] الآية، نزلت في الحكم بن أبي العاص[4]، روي ذلك عن عائشة أم المؤمنين قالته لابنه مروان، أسلم الحكم عام الفتح وكان في إسلامه شيء، وكان يجالس المنافقين وينقل لهم أخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - فنفاه إلى الطائف، وتطلع يوماً على رسول الله من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج إليه رسول الله بالعنزة وقيل بالمدرى أي المسلة التي يفرق بها الشعر وقال: من عذيري؟ من الوزغة؟ لو أدركته لفقأت عينه[5]، ولعنه وما ولد، وبقي بالطائف منفياً إلى خلافة سيدنا عثمان، فرده - رضي الله

(1) القاسمي: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، ط 1، 1418هـ، ص 355/9.

(2) سورة الحجر: الآية (95).

(3) سورة القلم: الآية (10).

(4) الملا العاني: **بيان المعاني**، دمشق، مطبعة الترقي، ط 1، 1965م، ص 523/2.

(5) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، مرجع سابق، ص 462.

عنه - كما تقدم، وهو مما شنع به الشيعة ولا وجه بذلك، بعد أن ثبتت عدالته، وأنه أحد العشرة، وأنه من أهل بدر إلى آخر ما هو من مناقبه، فقد كان يشفع فيه عنده، ولم يقبحه بل وعده برجعه، وقد استأذن فيه أبا بكر وعمر فأبيا وقالا: لا نحل عقدة عقدها[1] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهما لم يصح عندهما ما صح عنده، وهو مصدق فيما يرويه - رضي الله عنه - ولا اعتراض عليه في الأمور الاجتهادية، وكان في رجوعه تأسيس البلوى التي وقعت له[2]، فإن منشأها مروان ابن الحكم، ولذا قال بعضهم:

فليت عثمان لم يحكم بعودته ... رِضاً بما حكم الصديق في الحكما[3]

وابنه مروان ولد بالطائف، وقيل: بالمدينة. وكان لا يولد مولود بالمدينة في عهده - صلى الله عليه وسلم - إلا أتي به إليه، فأتي بمروان فقال: هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون[4]، فإن ثبت هذا - أي أنه ولد بالمدينة فهو صحابي؛ لأنه اجتمع به - فهو صحابي ابن صحابي.

ثم اعلم أن الأحاديث والآثار الواردة في ذم المروانيين خصوصاً وبني أمية عموماً يجب حملها على غير الصالحين منهم، فإن منهم عثمان ومعاوية وأباه وأخاه يزيد وعتاب بن أسيد وأخاه خالداً، ومنهم أبناء سعيد بن العاص عمرو وخالد وأبان والحكم ، ومنهم عمر بن عبدالعزيز بن مروان ومنهم ومنهم ومنهم، قال في (الشفاء)[5]: وأخبر - صلى الله عليه وسلم - بولاية معاوية وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير فإن الملك هو السلطنة مع التغلب. والخلافة

(1) الطبراني: المعجم الكبير، مرجع سابق، ص 214/3.

(2) يقصد اللبني سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وماجرى له، فقد ذُكر أن مروان بن الحكم ممن تسبب في الفتنة التي وقعت له.

(3) لم أعثر على هذا البيت فيما لدي من مصادر.

(4) المقريزي: **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق:محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1999م، ص 275/12.

(5) القاضي عياض السبتي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عمان، دار الفيحاء، ط 2، 1407هـ، ص 656/1.

ما كان ببيعة أهل الحق، والولاية أعم منهما وتشمل الإمارة ونيابة الخلافة وقال - صلى الله عليه وسلم -: «**يا معاوية، إذا ملكت فاعدل واتق الله**»[1]، فكان - رضي الله عنه - على غاية من الحلم والصبر والتحمل. وفي رواية «**إذا ملكت فاسجح**»[2] وفي أخرى: «**إذا ملكت فأحسن**».

وعن بعضهم: كنت عند معاوية، وعنده ابن عباس على السرير، فدخل عليه مروان فكلمه في حاجة وقال: اقضِ حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إن مؤنتي لعظيمة، فإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة، فلما أدبر قال معاوية: «أشهدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة»؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم، ثم ذكر مروان حاجته فبعث عبد الملك فكلمه فلما أدبر قال معاوية: «أنشدك الله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الأربعة؟ فقال: اللهم نعم»[3]، وقد ولي الخلافة أولاده الأربعة: الوليد وسليمان وهشام ويزيد، واستدل بعضهم على أن عبد الملك صحابي بهذا الحديث، وهو وهم. وكيف يُتَصوَّر والحكَمُ أسلم عام الفتح ولم يكن مروان ولد يومئذٍ كما علم مما تقدم، فمتى كان عبد الملك، ولا دلالة في الحديث، فإنه على فرض صحته يحتمل أنه ذكره قبل وجوده فليتدبر، وبنو مروان كانوا يُسَبَّون ببني الزرقاء، وهي إحدى أمهات مروان، قيل: إن بني كلب أخوال عبد العزيز بن مروان أوقعوا ببني فزارة أخوال أخيه بشر، فبلغه فقال لأخيه شامتاً: أما علمت ما فعل أخوالي بأخوالك؟ وأخبره الخبر فقال: أخوالك أضيق أستاها[4]، ثم تبين صحة الخبر بمجيء بني فزارة إلى عبد الملك في خلافته وإخبارهم إياه بذلك، فضمن لهم نصف الحمالات وأعطاهم النصف، وخرجوا

---

(1) الحلبي: السيرة الحلبية، مرجع سابق، ص 137/3.

(2) السابق والصفحة.

(3) الطبراني: المعجم الكبير، مرجع سابق، ص 236/12.

(4) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ص 21/9.

فدس لهم بشر ابن أختهم مالاً اشتروا به كراعاً وسلاحاً واغتروا كلباً وأوقعوا بهم بمحلٍ يقال له بنات قيد، وبلغ ذلك بشراً فأخبر به عبدالعزيز بمحضر عبدالملك فغضب لإخفارهم ذمته، فأرسل إلى الحجاج: إذا فرغت من ابن الزبير أوقع ببني فزارة، فنزل الحجاج بهم فأتاه رؤساؤهم: حلحلة بن قيس بن أشيم، وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وأخبرا الحجاج أنهما صاحبا الأمر ولا ذنب لغيرهما، فأوثقهما وبعث بهما إلى عبد الملك فقال لهما: قد أمكن الله منكما، فقال حلحلة: ما يقاد مني أنا قد نقضت وترى وشفيت صدري وبردت دحري، قال عبدالملك: من كان له عند هذين وتر يطلبه فليقم إليهما، فقام سفيان بن سويد الكلبي، وكان أبوه قُتل يوم بنات قيد، فقال: يا حلحلة هل حسست لي سويداً ؟ قال: عهدي به وقد انقطع خرؤه في بطنه، فقال: لأقتلنَّك، قال: كذبت، إنما قتلني ابن الزرقاء - يعني عبدالملك - فقال بشر: صبراً يا حلحلة، فقال: إي والله[1]، وكذا قيل لسعيد، فقتلا صبراً.

والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا، والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً:

الفقرة الأولى حل بيت كثير عزة.

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا　　　إذا هي لم يصلب على البري عودها[2]

والثانية حل بيتٍ لشاعر آخر:

فإني رأيت غواة الرجال　　　لا يتركون أديماً صحيحاً[3]

وكثيِّر بالتصغير والتشديد أبو صخر ابن عبدالرحمن شاعر مشهور[4]، وأضيف إلى عزة بنت جميل الكنانية، ويُكنى جميل، أبوها، بأبي بصرة الغفاري

(1) السابق، ص 21/10.

(2) انظر: الديوان، ص 199.

(3) البيت للإمام علي - رضي الله عنه - انظر ديوانه، ص 3.

(4) هو أبو صخر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني الشاعر الشهير أحد عشاق العرب المشهورين، وله مع محبوبته حكايات وتوادد وأمور مشهورة وأكثر شعره فيها، انظر ترجمته في: السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مرجع سابق، ص 293/2.

والإضافة لأدنى ملابسة[1]، كونه كان يعشقها وأكثر أشعاره فيها كجميل بثينة، وأخبارهم كلهم مشهورة طافحة بها الكتب لاسيما: (تزيين الأسواق في تفصيل أحوال العشاق) لأبي داود الأنطاكي[2].

البصير والواشي يقال: وشى الثوب نقشه وحسنه، ومن المجاز وشى كلامه زينه بالكذب فيه ، ووشى به إلى السلطان سعى ونم به. ولا يلبثون.. إلخ ، لا يصبرون ولا يتأخرون عن صدع العصا، أي تفريق أجزاء عصا الألفة؛ لأن اتحاد العصا كناية عن التناصر، أي إذا رأوا جلداً مزقوه، أي أن دأبهم التكلم في الناس، فلا يكاد يسلم أحدٌ من شرورهم.

والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس، فقال: ما ظنك بقوم، الصدق محمود، إلا منهم؟: قد اشتملت هذه الفقر من قوله فكيف ولا ذنب... إلى هنا على ذم النمامين الساعين بالناس إلى أولي الأمر لإيقاع الشرِّ بهم، واشتملت أيضاً على سبب إيقاع سيده به ما أوقعه به ما هو إلا نميمة النمامين وسعاية الساعين، وإلا فهو لا ذنب له، وهذه الحكمة من كلام الأحنف، يقول: أي خير تظنه في قوم قد بلغوا من القباحة درجة أن الصدق الممدوح في جميع الأحوال مذموم منهم، أي إذا كانت هذه درجتهم، فأي فلاح يؤمل فيهم! ومدح الرجل نفسه وإن كان صادقاً مذموم أيضاً، لكن لا بهذه الدرجة ، والأحنف هو المضروب به المثل في الحلم والسيادة[3] واسمه الضحاك، وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصن السعدي التميمي ويكنى أبا بحر، ولقب الأحنف لحنف في رجله[4]، وهو أنه يقبل الرجل حال المشي بالإبهام على الأخرى، وفي عرف عوامنا اليوم يقال له: أحفج، بالحاء المهملة والفاء والجيم، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم يره، وفد مع وفد البصرة إلى عمر بن

(1) العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط 1، 1312هـ، ص 343.

(2) الأنطاكي: تزيين الأسواق، مرجع سابق، ص 33/1، وما بعدها .

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 219/2.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص 39/5.

الخطاب، وتكلم كل رجل منهم في حاجة نفسه، وكان الأحنف في آخرهم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال[1]: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه، وأهل الشام نزلوا منازل قيصر، وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبة والجنان المخصبة، وفي مثل عين البعير، وكالحوار في السلى، تأتيهم ثمارهم قبل أن تُغيَّر، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة، زعقة نشاشة، طرفها في ملح أجاج، والطرف الآخر في الفلاة، لا يأتيها الحلب إلا في مثل حلقوم النعامة، فارفع خسيسنا، وأنعش وكيسنا، واعدل قفيزنا ودرهمنا، ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء، فقال عمر - رضي الله عنه - أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد؟! هذا والله السيد، ثم حبسه عنده سنة، ثم قال: يا أحنف إني بلوتك فأعجبتني، وإنما حبستك عندي لأعلم علمك، فإني سمعت رسول الله يقول: «**احذروا المنافق العالم**»[2] وأشفقت عليك منه فوجدتك بريئاً مما تخوفت، وسأله يوماً : أي الطعام أحب إليك ؟ فقال:الزبد والكمأة[3]، قال عمر - رضي الله عنه[4] -: هما أحب إليه، ولكنه يحب الخصب للمسلمين، أي لأن الزبد والكمأة يكونان وقت الخصب وناهيك بمن يشهد له عمر بمثل هذه الشهادة.

ومن كلماته - رحمه الله -: ما شاتمت رجلاً منذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبتي رجل، وإذا لم أصل مُجْتَدِيَّ[5] حتى ينتحي جبينه عرقاً، كما ينتحي الحميت فوالله ما وصلته[6]، وانتحى: جد في الشيء، والحميت: المتين أو الزِق، وقد

---

(1) السابق، ص 41/5.

(2) ورد الحديث على النحو التالي في المعجم الكبير«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ» انظر ص 237/18.

(3) ابن حمزة الحسيني: **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 42/1.

(4) الدينوري المالكي: **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، بيروت، دار ابن حزم، 1419هـ، وفي إسناده ضعف.

(5) يريد الذي يأتيه يطلب فضله.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 179/1.

ساد بعقله وحلمه، وصار بحيث يجرد لأمره مائة ألف سيف، وكان الأمراء والولاة يعتمدون عليه في المهمات، وكان دميم المنظر، فإذا تكلم جلا عن نفسه، حدث عن نفسه قال: بينا أنا أطوف إذ رآني رجل أعرفه، فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى، قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى قبيلتك بني سعد أدعوهم إلى الإسلام، فجعلت أدعوهم وأعرض عليهم وأنت تقول: إنه يدعوكم إلى خير ولا أسمع إلا حسناً، فإني رجعت إليه – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال: اللهم اغفر للأحنف، قال فما شيءٌ أرجى عندي منها[1]، أقول: وإني أعجب في عدم وصوله إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وكيف لم يتفق له ذلك وبه يضرب المثل في الحلم، فيقال: «أحلم من الأحنف»[2] فمن حلمه أنه أشرف عليه رجل وهو يعالج قدرا فقال يذمه:

وقدر ككف القرد لا مستعيرها يعار ولا من يأتها يتدسم[3]

فقيل له، فقال: يرحمه الله لو شاء لقال أحسن من هذا[4]، وقال يوماً: ما أحب أن لي بنصيبي من الذل حمر النعم، فقيل له: أنت أعز العرب، فقال: إن بعض الناس يرون الحلم ذلاً[5]، وكان يقول: رُب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه، ومن كلامه: كثرة المزاح تذهب الهيبة ، ومن أكثر من شيءٍ عُرِف به ، والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل[6]، وقال: ثلاث أقولهن ليعتبر معتبر، أي لا افتخاراً، لا أخلف جليسي بغير ما أحضره به ، ولا أدخل نفسي فيما [لا][7] مدخل لي فيه، ولا آتي السلطان إلا أن يُرسل لي[8].

---

(1) انظر : مسند أحمد ، مرجع سابق، ص 260/38.

(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 219/2.

(3) البيت لمعن بن زائدة في: الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مرجع سابق، ص 761/1.

(4) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 219/1.

(5) السابق والصفحة .

(6) السابق والصفحة.

(7) سقطت من المخطوطة .

(8) السابق والصفحة .

وقال له رجل: بما سدت قومك ولست من أشرافهم؟ فقال: بتركي من أمرِك ما لا يعنيني، كما لم تترك من أمري ما لا يعنيك[1]، وقال مرةً في جواب مثل ذلك: لو كره الناس الماء ما شربته وقد عدت[2].

له رحمه الله سقطات، وكفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معايبه[3]، منها أنه رأى الزبير منصرفاً عن وقعة الجمل فقال: جمع بين المسلمين يقتل بعضهم بعضاً، وانصرف فسمع ابن جرموز[4] قوله، فتبع الزبير وقتله غدراً فقيل: قتله الأحنف[5]، فانظر رحمك الله كيف أن الكلمة تصدر من الإنسان لا يلقي لها بالاً فينشأ عنها ما لا يحمد، فليحفظ الإنسان لسانه عما لا يعنيه خصوصاً إذا كان ممن يقتدى به.

ومنها أنه أتاه كتاب الحسن بن علي يستنصره فقال: قد بلونا حسناً وآل حسن، فلم نجد إيالة الملك ، ولا صيانة المال، ولا مكيدة الحرب، ولم يجبه[6]، ومنها أنه قال للحباب ابن المنذر: يا آدر وكان آدر[7]، ومنها طاعته لجاريته زبراء، وسُئل عن ذلك فقال: كيف لا أطيع من لي إليه كل يوم حاجة! وإذا أراد حرباً قالوا: غضبت زبراء، ولطمه رجل فقال له: لمه؟ فقال: جُعِل لي جُعُل أن ألطم سيد بني تميم فقال: لستُ سيدهم إنما ذاك جارية بن قدامة، فذهب فلطمه فقطعت يده، فقال الناس: قطعها الأحنف[8].

---

(1) القاسم بن سلام الهروي: **الأمثال**، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط 1، 1980م، ص 212.

(2) اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، مرجع سابق، ص 146/1، وفي المثل: (عاب) مكان (كره).

(3) إشارة إلى قول الشاعر: ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلّها... كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه.

(4) هو عمرو بن جرموز التميمي قاتل الزبير، انظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1997م، ص 335/8.

(5) ابن قتيبة الدينوري: **الإمامة والسياسة**، تحقيق: د. طه الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه، ص 69/1.

(6) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 141/1.

(7) السابق والصفحة.

(8) أبو هلال العسكري: الأوائل، مرجع سابق، ص 142.

ووفد هو وعمرو بن سنان الملقب بالأهتم على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأراد أن يقرع بينهما في الرياسة وكلاهما تميمي: الأحنف سعدي، والأهتم منقري، فقال الأحنف:

ثوى قدح عن أهله طول ما ثوى فلما أتاهم قال: قوموا ففاخروا[1]

وأرسل إليه الأهتم يوماً رجلاً يكايده فسأله: ما كان مال أبيك؟ ففطن لها، فقال: صرمة يقري بها ضيفه، ويكفي عياله، ولم يكن أهتم سلاحاً، وقال للمرأة التي أتته بالمجمرة أيام أبي مسعود وقالت: تجمر: است المرأة أحق بالمجمرة[2].

ومما عدوه عليه أيضاً قوله لقطري ابن الفجاءة رئيس حرب الخوارج في وقته: «لو أن أبا نعامة (كنية قطري)، أشار على القوم فركبوا البغال، وجنبوا الخيل، فأصبحوا ببلد، وأمسوا بغيره، فأقمِن به أن يطول أمره»، فأخذ قطري بقوله، فطال زمنه، فهي نصح له، لكنها كانت عناء على المسلمين[3]، فلذا عُدَّت من سقطات الأحنف.

ومن سؤدده وشرفه أن المهلب بن أبي صفرة، في بعض انتصاراته على الخوارج يوم سلى، كتب إلى القُباع[4] - بضم القاف - أمير البصرة من قبل ابن الزبير، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر الشاعر المشهور: بسم الله الرحمن الرحيم ،أما بعد، فإنا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد، فكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فصاروا درأة رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن الماحور، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها، والسلام[5]، فكتب إليه القُباع: قد قرأت كتابك يا أخا الأزد، فرأيتك قد

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 317/1.

(2) الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مرجع سابق، ص 192/2.

(3) أبو هلال العسكري: الأوائل، مرجع سابق، ص 142.

(4) انظر ترجمته في : العسقلاني: تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ص 149/2.

(5) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 138/4.

وهب الله لك شرف الدنيا وعزها، وذخر لك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرها، ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهادماً أركان المشركين، وأخا السياسة، وذا الرياسة، فاستدم الله بشكره يتم عليك نعمته، والسلام[1].

وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه إلا الأحنف فما كتب، ولكن قال: اقرأ عليه السلام وقل له: أنا لك على ما فارقتك عليه ، فلم يزل المهلب يقرأ الكتب ويلتمس فيها كتاب الأحنف فلم يَره، وسأله عنه، فقال له الرسول: «حمَّلَنِي إليك رسالة». وبلغه إياها فقال: والله لهي أحب إلي من هذه الكتب[2].

وكان مع علي - رضي الله عنه - إلى أن استشهد فكان مع معاوية - رضي الله عنه - فروى أنه قال له يوماً معاتباً أَوَ مُبَكِّتاً: أما إني لم أنس ولم أجهل اعتزالك يوم الجمل بسفوان بقومك، وقريش تُذبح بناحية البصرة ذبح الحيوان، ولم أنس طلبك إلى ابن أبي طالب أن يدخلك في الحكومة لتزيل عني أمراً جعله الله لي وقضاه، ولم أنس تحضيضك بني تميم يوم صفين على نصرة علي[3] فأجابه بما معناه أن القلوب التي أبغضناك بها هي بين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا، وإن تعف فبحلمك[4] ثم خرج من عنده فقيل له: ما صنع بك وما قال لك؟ قال: «**صدقني سن بكره**»[5]، أي أخبرني بما في نفسه، وما انطوى عليه ضميره، وأصل هذا المثل أن رجلاً أتى ببكر له يبيعه، فساومه رجل وسأله عن سنه، فقال: بازل، ثم نفر فزجره بقوله: هدع هدع ، وهي لفظة يسكن بها صغار الإبل[6]، فقال: صدقني سن بكره ، ويظهر لي أن الأحق بهذا المثل أن يضرب فيما إذا أراد الشخص أن يلبس فظهرت الحقيقة على فلتات لسانه.

(1) ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، 1381هـ، ص 155/4-159.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 236/3.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 392/1.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 251/2.

(5) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 575/1.

(6) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 392/1.

ولما نصب معاوية يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل مثل ذلك، ثم رجع إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين: أعلم أنك لو لم تولِّ هذا أمور المسلمين لأضعتها - والأحنف جالس- فقال: ما بالك يا أبا بحر لا تقول شيئاً، فقال: أخاف الله إن كذبت، وأخافك إن صدقت، فجزَّاه خيراً - بتشديد الزاي - أي قال له جزاك الله خيراً، وأمر له بألوف، وخرج الأحنف فلقي الرجل بالباب فقال: يا أبا بحر إني أعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت، فقال له الأحنف: أمسك يا هذا، فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً[1].

وتمازح مع معاوية يوماً فلم يُرَ متمازحان أوقر منهما، وذلك أن بني تميم كانت تعار بالجشع وحب الطعام ، حتى قال فيهم الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم ... وسرَّك أن يعيش فجئ بزادِ
بخبزٍ أو بسمنٍ أو بتمرٍ ... أو الشيء الملفق في البجاد
تراه يطوف في الآفاق حرصاً ... ليأكل رأس لقمان بن عادِ[2]

أراد الشاعر بالشيء الملفق في البجاد الوطب من اللبن، فسأل معاوية الأحنف عنه يعرض بهذه الأبيات، فقال: ما الشيء الملفق بالبجاد يا أحنف؟ فقال: هو السخينة يا أمير المؤمنين[3]، والسخينة يعيَّر بها قريش، وهي حساء من دقيق تتخذ عند غلاء السعر[4]، فترك الأحنف الجواب بالوطب، وأجاب بالسخينة تعريضاً بذلك، وهذا شيءٌ كان في الجاهلية بناء على ما مر من أن تسيير المثل

---

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 44/1.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 295/2.

(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 221/2.

(4) أبو الفرج الجوزي: **أخبار الظراف والمتماجنين**، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجان، بيروت، دار ابن حزم، ط 1، 1997م، ص 57.

والنبز بالألقاب وما أشبههما يقع اتفاقاً، وإلا فأي عار في دقيق، وما يُطبع دقيقاً، ويُحسى سخيناً، أو دافئاً قبل أن يثلج، لاسيما إذا أتقن كالشوربة المدبرة، التي يقال لها على اصطلاح الأتراك (تربيلي)، وتُعيَّر تميم أيضاً بأكل الضب، وعليه البيت الذي يستشهد به في علم البديع في نوع الهزل الذي يُراد به الجد:

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً فقل عد عن ذا كيف أكلك للضبِّ[1]

أي تجاوز الفخر واتركه، وأخبرني أولاً كيف أنكم تأكلون الضب الذي هو من الهوام؟

فائدة: ذكرت بالمثل الذي أوردوه في سقطات الأحنف: (است المرأة أحق بالمجمرة) قصة لسليمان بن عبدالملك، وهي أنه كان على رأسه وصيفة حسناء، وكان دخل عليه فتى ظريف في أمر، فجعل الفتى ينظر الجارية، ورآه سليمان فقال: هات سبعة أمثال فيها ذكر الاست وهي لك؛ فعدَّ ستةً: است لم تعود المجمرة[2]، استي أخبثى[3]، است المسؤول أضيق[4]، است البائن أعلم[5]، من الله عليك واستك[6]، الحر يعطى والعبد يبجع استه[7]، وأتم السابع بقوله: لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت[8]، فقال: هذا ليس منها، فقال الفتى: أخذت الجار بالجار، كما يفعل أمير المؤمنين، وكان سليمان أول من أخذ الجار بالجار في الإسلام فقال: خذها لا بارك الله لك فيها، وكان يمكن أن يتم السابع بالمثل الذي تمثل به الأحنف، وكأنه لم يحضره ، فهو قصوره أو قصد إلى الملاطفة بما أتى به والاست - بكسر

(1) البيت لأبي نواس، انظر: ديوان أبي نواس، شرح غريبه ووضح غامضه: محمد أفندي واصف، القاهرة، المكتبة العمومية، ط 1، 1898م، ص 159.

(2) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 145/1.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 332/1.

(4) السابق، ص 341/1.

(5) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 128/1.

(6) السابق ، ص 142/1.

(7) السابق، ص 359/1.

(8) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 217/2.

الهمزة، وهي همزة وصل ولا تُضم فهو غلط. وذكر في (سعود المطالع)[1] ثلاثين مثلاً ذكر فيها الاست، ونحوها في الضب.

ومن كلام الأحنف: لا خير في لذة تعقب ندماً[2]، لن يفتقر من زهد[3]، اقبلوا عذر من اعتذر[4]، ما أقبح القطيعة بعد الصلة[5]، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك[6]، لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان[7]، إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك[8]، أنفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك[9]، لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب[10].

وقال يوماً: «ما رددت عن حاجة قط» فقيل له: لمَ؟، قال: لأني لا أطلب المحال[11]، مات - رحمه الله - بالكوفة سنة تسع وستين، وخرج مصعب بن الزبير في جنازته، وهو أمير العراقيين من قبل الخليفة أخيه عبد الله ماشياً بلا إزار، وهو أول أمير فعل ذلك في جنازة كبير[12]، والحاصل أن الأحنف كان من أفراد زمانه حلماً وعقلاً وسؤدداً، ولم ينقص من شرفه كونه دميم المنظر، كما لا يضر الشريف كونه في أثواب خلقة وأسمال بالية، قال الحريري:

ما أن يضر العَضْبَ كون قرابه خَلِقاً ولا البازي حقارة عشه[13]

---

(1) يقصد كتاب: سعود المطالع وسعد المطالع، فيما في هذا الاسم الشريف من العلوم والمنافع، من تأليف العلامة: عبدالهادي بن نجا بن رضوان الإبياري.

(2) أبي عبيد البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، مرجع سابق، ص 20/2.

(3) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 365/1.

(4) السابق والصفحة.

(5) السابق والصفحة.

(6) أبي عبيد البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، مرجع سابق، ص 20/2.

(7) السابق والصفحة.

(8) السابق، ص 21/2.

(9) السابق والصفحة .

(10) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 286/3.

(11) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مرجع سابق، ص 286/2.

(12) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ص 352/24.

(13) أبو محمد القاسم بن علي الحريري: مقامات الحريري، مرجع سابق، ص 219.

وكما أنه لا يزين الخسيس الوضيع ثيابه الصقيلة، وظواهره الجميلة كما قيل :

ما غيّر الجل أخلاق الحمير ولا نقش البراذع أخلاق البراذين[1]

روي أن رستم قبل حرب القادسية طلب من سعد بن أبي وقاص أن يبعث إليه نفراً من رجاله يتكلم معهم، فبعث إليه برجال في مثل تلك الحالة فاقتحمتهم عينه، فقال له من كان عنده من جماعته: أيها الأمير، إن العرب ليس لهم عناية بتزيين ظواهرهم بالملابس، إنما فخارهم بطيب النجار، وعلو الهمة، وحسن الفعال، ومقارعة الأبطال.

وروى الأصمعي: إن حرباً كانت ببادية البصرة واتصلت بها، وتفاقم الأمر فيها، ثم مشى بين الناس بالصلح، فاجتمعوا بالمسجد الجامع، فبعثوني وأنا يومئذ غلام إلى ضرار بن القعقاع الدارمي، فاستأذنت عليه، فأذن فدخلت، فإذا به في شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب، فخبرته بمجتمع الناس، فأمهل حتى أكلت العنزة، وغسل الصحفة، وصاح يا جارية غدينا، فأتته بزيت وتمر، ودعاني فقذرته أن آكل معه، حتى قضى أكله، ووثب إلى طين في صحن الدار فغسل به يده، وقال: يا جارية، اسقنا فسقته، فشرب ومسح وجهه وقال: الحمد لله، ماء الفرات وتمر البصرة وزيت الشام، متى نؤدي شكر هذه النعمة، ثم طلب رداءه فأتته به، رداء عدنيا فارتدى به على تلك الشملة، قال: فتجافيت عنه استقباحاً لزيه، فدخل المسجد، فصلى ركعتين، ثم مشى في القوم، فلم تبق حبوة إلا حلت إعظاماً له، ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف[2].

حلفت فلم أترك لنفسي ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

هذا البيت للنابغة الذبياني[3]، وطأ به ابن زيدون لما بعده من القسم كأنه يقول: إن يميني التي سأحلفها ما كانت عن ريبة، أي شبهة، بل كانت عن يقين،

(1) ابن الخطيب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، مرجع سابق، ص 216.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 166/1.

(3) انظر: الديوان ، ص 29.

وليس غير الله ما يصدق القسم به حتى أقسم به ، والنابغة الذبياني شاعر شهير اسمه زياد بن معاوية بن خباب بن جابر بن يربوع بن غبط بن مرة بن سعد بن ذبيان، ويُكنّى أبا ثمامة أو أبا أمامة ولقب النابغة[1] لأن النوابغ من الشعراء من لم يكن له إرث فيه، أو لقوله من قصيدة:

وحلت في بني القين بن جسر فقد نبغت لنا منها شؤون[2]

ويقال فيمن يأت مهموماً مذعوراً: (بات بليلةٍ نابغية)[3]، وأُخذ من بيتٍ للنابغة:

وبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع[4]

وفي المقامات الحريرية[5] فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية.

والقسم هو هذا ***والله ما غششتك بعد النصيحة***: «الـ» في النصيحة للعهد يقول ابن زيدون لسيده: إن نصيحتي في خدمتك المعهودة عندك هي هي، ما تغيرت، وحلف على ذلك هذه اليمين وأنه ما حصل منه غش منذ نصح معه.

ومثل هذه الجملة من القسم ما يروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني[6] قال: دفع إلي الحجاج آزاد مرد بن الهربذ، وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه ، فلما انطلقت به قال لي: يا محمد إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أعطي على القسر شيئاً، فاستأذني وارفق بي، قال: ففعلت، فأدى إليَّ في أسبوع خمسمائة ألف. فبلغ ذلك الحجاج، فأغضبه وانتزعه من يده، ودفع إلى من تولى عذابه، فمررت يوماً بالسوق فإذا هو يصيح بي، فالتفت فإذا به معرضاً على

---

(1) انظر ترجمته في: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1986م، ص 1466/3.

(2) الديوان، ص 72.

(3) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص ص 213/6.

(4) الديوان، ص 54.

(5) أبو محمد القاسم بن علي الحريري: مقامات الحريري، مرجع سابق، ص 278.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 241/2.

حمار مدقوق اليدين والرجلين، فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت منه، فملت إليه فقال لي: إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحسنت، وإنهم صنعوا بي ما ترى، ولم أعطهم شيئاً، وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهي لك، فقلت: ما كنت لآخذ منك على معروفي أجراً ولا لأرزأك على هذه الحالة شيئاً، قال: فأما إذا أبيت فاسمع أحدثك عن نبيك أنه قال: إذا رضي الله على قوم أمطرهم في وقته، وجعل المال في سمحائهم، واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم، وجعل المال عند بخلائهم ، وأمطرهم المطر في غير حينه. وانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج حتى قاضوني بالمسير إليه، فألفيته جالساً والسيف منتضى بيده، فقال: أدنُ، فدنوتُ، ثم قال: ادنُ، فدنوتُ شيئاً، ثم صاح الثالثة: ادنُ لا أبا لك، فقلت: ما لي حاجة إلى الدنو وفي يد الأمير ما أرى، فضحك وأغمد السيف عني ثم قال: اجلس، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلت: أيها الأمير، والله ما غششتك منذ استنصحتني، ولا كذبتك منذ استخبرتني، ولاخنتك منذ ائتمنتني، ثم حدثته الحديث، فلما أن صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال أعرض عني بوجهه وأومأ إلي بيده أن لا تسمه قال: إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث.

ولا انحرفت عنك بعد الصاغية إليك[1]: الصاغية، بمعنى الإصغاء، واستعمال صيغة اسم الفاعل بمعنى المصدر كثير ففي التنزيل: ﴿**فَأُهلكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾[2] أي بالطغيان، ﴿**فَهَل تَرَى لَهُم مِن بَاقِيَةٍ**﴾[3] أي من بقاء، ومثله في (المصباح)[4] بقوله: قم قائماً، أي قياماً ويقال: فلج فالجاً من فلج اللازم، بمعنى أصابه الفالج، وهو استرخاء أحد الشقين لانصباب خلط بلغمي تنسد منه مسالك الروح ولم يستعمل في غيره، أي والله ما ملت عنك بعد أن أصغيت لك.

---

(1) هكذا وردت (إليك) ولعلها زائدة.

(2) سورة الحاقة: الآية (5).

(3) سورة الحاقة: الآية (8).

(4) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، ص 698.

ولا نصبت لك بعد التشيع فيك: مجاز عن ما عاديتك بعد أن كنت مفرطاً في محبتك ، فإن النواصب أو الناصبة من الخوارج قومٌ هم يتدينون ببغض سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ضد الشيعة وسموا بذلك؛ لأنهم نصبوا له[1] أي عادوه وكانوا فرقاً، ثم انتهى أمرهم إلى أزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي، وكانوا على رأس واحد ، ثم افترقوا إلى أربع فرق[2]: الإباضية (بكسر الهمزة) أصحاب عبد الله بن إبَاض[3]، والصفرة لانتسابهم إلى ابن صفار، وقيل لأنهم قومٌ نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم وهو الأكثر[4]، والبيهسية أصحاب أبي بيهس وأخبارهم مستوفاة في الكتب كالشيعة[5]. وروي أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي: «**يهلك فيك محب مفرط وعدو مفرط**»[6] أو كما قال.

ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكفَّلتَ به الثقة عنك. وعهد أخذه حُسْنَ الظن عليك: في (التاج)[7] أزمعت الأمر، وأزمعت على الأمر أجمعت عليه انتهى، أي أن لي فيك حسن ظن ، ناشئاً عما أعهده من مكارم شيمك ، وثقة تكفلت ، وضمنت جميل إحسانك، فلا أيأس من عواطفك، والمقصود بيان أنه لم يتغير من خلوصه له شيء يوجب إعراضه عنه أو جفاءه.

ففيم عبث الجفاء بأذمَّتي: عبث فعل ماض، والجفاء فاعله، وبأذمتي جمع ذمام، بمعنى الحق والحرمة، أي حيث لم يكنْ ما يوجب الجفاء ففي أي شيء.. إلخ، وفي هنا بمعنى باء السببية على حد: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها**»[8]

---

(1) حمود بن عبدالله بن حمود بن عبدالرحمن التويجري: **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط 2، 1414هـ، ص 209/1.

(2) لم يذكر اللبني سوى ثلاث فرق، وتقسيم الخوارج عند بعض العلماء يصل إلى ثماني فرق ، انظر: ناصر عبد الله: **الخوارج: دراسة ونقد لمذهبهم**، الرياض، دار المعراج الدولية، ط 1، 1417هـ.

(3) انظر ترجمته في : الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ص 61/4.

(4) ناصر عبد الله: الخوارج: دراسة ونقد لمذهبهم.، ص 81.

(5) الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مرجع سابق، ص 102/1.

(6) ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق ، مرجع سابق، ص 374/14.

(7) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، مرجع سابق ، (زمع) .

(8) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 130/4.

الحديث، ويصح أن (فيمَ) خبر مقدم و(عبث) مبتدأ مؤخر مضاف إلى الجفاء إضافةً بيانية أو الصفة إلى الموصوف، أي ففيم الجفاء الذي هو عبث لا سبب له أو الموصوف بأنه عبث لا داعي له؟

وعاث العقوق في مواتّي؟: عطف عليه، أي وفيم عاث إلخ ، وعاث أفسد، ومواتي بتشديد الياء مضاف إلى ياء المتكلم، جمع تأتي، وفي (القاموس) و(التاج) مأتى الأمر وما تأته جهته ووجهه الذي يؤتى منه.

وتمكن الضياع من وسائلي: بمعناه أي وبأي سبب صرت بحيث صار ضياع وسائلي متمكناً، فلا أتشبث بوسيلة إلا ضاعت وذهبت أدراج الرياح، ولا آتي أمراً إلا لأتوصل به إلى رضاك إلا أفسده العقوق.

وفي معناه قوله: ***ولمَ ضاقت مذاهبي***[1] ***وأكْدتْ مطالبي؟***: يقال حفر فأكدى أي صادف كدية ، أي أرضاً غليظة، أو صفاة منعته الحفن، ويقال: سأله فأكدى أي وجد مسؤوله مثل الكدية، والمراد ضاقت سبله وردت مطالبه.

فائدة: كَداء بالفتح والمد، وكُدى بالضم والقصر، وكُديّ بالضم وشد الياء مصغَّراً أسماء مواضع بمكة، وقع فيها اختلاف على أكثر من ثلاثين قولاً مبني على اختلاف روايات دخوله - صلى الله عليه وسلم - مكة وخروجه منها. والذي عليه المعوَّل أن كداء (بالفتح والمد) اسم ثنية الحجون التي تلي مقبرة المعلا، وكُدى (بالضم والقصر) اسم للثنية السفلى التي يمر عليها الداخل القادم من جدة وتُسمى اليوم ريع الرسام، تسمية قديمة لما كان يجلس عندها أخذ الرسوم من واردات مكة، وكُدَيّ (بالضم والتصغير) جبل مسفلة مكة، ولعله - والله أعلم - الموضع المسمى قوز المكاسة محل جلوس من يأخذ المكس من واردات اليمن، وكل ذلك كان في السابق فيأتي بعض من وفقه الله تعالى من الملوك أو الوزراء فيرفع ذلك ويجعل لأخذه بدلاً من أعطية سنوية ترتب مع الصرور أو مستغلات في مصر

(1) جاءت في المخطوطة (مذهبي) والصحيح: مذاهبي.

أو نحو ذلك، ويكتب ذلك في أساطين المسجد الحرام، ويمضي على ذلك زمن، ثم يرجع الحال، ثم يرفع بمثل ذلك ثم يرجع .. وهكذا، أما الآن فلا، والله الموفق.

فائدة أخرى: الميم في (فيم) و (لم) و (علام) هي ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر وهنا حذف ألفها واجب[1]، ومنه ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾[2] تفرقةً بينها وبين (ما) الشرطية والموصولة، وخصت هي به لاستقلالها، وهو خاص بالمجرورة سواء جرت بحرف أو بالإضافة.

وأما قوله: على ما قام يشتمني لئيمٌ؟[3]، فضرورة كضده في: إلام تقول الناعيات إلامه؟[4] باللا الاستفتاحية، وهذا إن لم تركب مع ذا وإلا فلا تحذف[5] نحو: على ماذا تلومونني؟[6] وبعد حذف ألفها قد تسكَّن الميم وصلاً في المجرورة بالحرف ضرورة كقوله: يا أسديا لمَ أكلته لمه[7]، أما وقفاً فجائز أو تلحق بها (ها) السكت والمجرورة بإضافة فيجب إلحاقها (ها) السكت وقفاً، ولا يجوز تسكينها.

وعلامَ رضيتَ من المركب بالتعليق؟: مأخوذ من المثل السائر: «**ارض من المركب بالتعليق**»[8] أي: ارض من عظيم الأمور بصغيرها، يُضرب في القناعة بإدراك بعض الحاجة، والمركب يجوز أن يكون بمعنى الركوب، أي ارضَ بدل ركوبك بتعليق أمتعتك، ويجوز أن يُراد به المركوب، أي ارض منه بأن تتعلق به في عقبتك ونوبتك، ومثله: «**ارض من العشب بالخُوصَة**»[9] وقريب منهما: «**رضي من الوفاء**

---

(1) ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص 381/2.

(2) سورة النبأ: الآية (1).

(3) صدر بيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ص 90، وعجزه: كخنزير تمرغ في رماد

(4) المرادي: **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 2008م، ص 186/3.

(5) السابق والصفحة.

(6) السابق والصفحة .

(7) صدر بيت من الرجز، وعجزه: لو خافك اللهُ عليه حَرَّمَهْ، انظر: **الأشموني**: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م ، ص 18/4.

(8) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 301/1.

(9) السابق، ص 305/1.

باللفاء»[1]، الخوصة واحدة ورق النخل، تقول لها العامة سعفة، واللفاء الشيء الحقير، يقال لفاه حقه أي بخسه، انتهى.

بل من الغنيمة بالإياب: أتى في هذا بـ (بل) للانتقال إلى حالة أبلغ من الأولى في الرضا، فإنه مأخوذ من المثل: «رضيت من الغنيمة بالإياب»[2]، يُضرب فيمن يشقى في طلب أمر حتى يود الخلاص منه بتركه، وأول من قاله امرؤ القيس قال:

وقد طوَّفتُ في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب[3]

ونحوه ما قاله الآخر:

كفاني الله شرَّك يا ابن عمي فأما الخير منك فقد كفاني[4]

وقيل في بعض ليالي صفين:

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسدٍ ما أراها تصطلح
فقائمٌ ونائم ومنبطح ومن نجا بنفسه فقد ربح[5]

وأنّى غلبني المُغلّب: أنّى: تأتي لمعان، وهي هنا استفهامية بمعنى كيف[6] على حد ﴿**أَنَّى يُحيِي هَذِهِ الله بَعدَ مَوتِهَا**﴾[7].

والمُغَلَّب: بضم الميم وشد اللام مفتوحةً على صيغة اسم المفعول، أي وكيف غلبني المُغلَّب، أي من يُغلَب المرة بعد المرة، وهنا تعريض بمن وشى به، كقوله: ***وفخر عليّ العاجز الضعيف***[8]، وكلاهما حل قول الشاعر، قيل هو امرؤ القيس:

فإنه لم يفخر عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب[9]

(1) السابق، ص 3031.
(2) القاسم بن سلام الهروي: الأمثال، مرجع سابق، ص 249.
(3) ديوان امرئ القيس ، مرجع سابق، ص 79.
(4) البيت لأبي فرعون العدوي في: الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مرجع سابق، ص 409/1.
(5) الزمخشري: **المستقصى من أمثال العرب**، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987م ، ص 344/1.
(6) العكبري: **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبدالإله النبهان، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1995م، ص 130/2.
(7) سورة البقرة : الآية (259).
(8) الهاشمي: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، تحقيق: لجنة من الجامعيين، بيروت، مؤسسة المعارف، ص 202/1.
(9) ديوان امرئ القيس، مرجع سابق، ص 75.

لا تشبَّع الهاء في إنه، أي أن الإنسان لا يصعب عليه إلا أن يفخر عليه فاخرٌ ضعيف، أو يغلبه شخصٌ يُغلب كثيراً، وفجر في كلام ابن زيدون بالجيم استعمله بمعنى اجترأ، وعدل به عن فخر بالخاء المعجمة، وبالعاجز بالعين والجيم والزاي، عن الفاخر بالفاء والخاء والراء وهو تصحيف لطيف.

هنا تنبيه: (أنَّى) في قوله تعالى: ﴿أَنَّى شِئتُم﴾[1]، «بمعنى متى، فهي لعموم الأزمان»[2]، وأجاز كثيرٌ من المفسرين جميع وجوه (أنَّى)، ويرد عليها إيرادات وأجابوا عنها بجوابات في محلها بسطها[3].

ولطمتني غيرَ ذات سوار: هو أيضاً داخلٌ تحت هذا الاستفهام التعجبي المبني على الدعوى المقرونة باليمين أنه لم يغشه بعد النصيحة.. إلخ، وهذا مأخوذ من المثل الشهير: «**لو ذات سوار لطمتني**»[4] والمعنى: لو ظلمني من كان كفؤاً لي لهان عليَّ، وقيل: أراد لو لطمتني حرةٌ؛ لأن العرب كانت قلَّما تلبس الإماء سواراً، وهو كقوله:

فلو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما ألقى ولكنْ ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني![5]

ولا ننس أن هذا تعريض بمن وشى به، فمن البعيد أن يعني به ابن جهور، ويقارب هذا المثل مثل آخر وهو: «**لو غير ذات سوار لطمتني**»، وهو لحاتم الطائي، وذلك أنه مرَّ ببلاد عنزة فناداه أسيرٌ عندهم: يا أبا سفانة أكلني الإسار و القمل، فقال: ويحك أسأت إذ نوَّهت بي في غير بلاد قومي، فساوَمَ القوم فيه[6]، ثم قال

---

(1) سورة البقرة: الآية (232).

(2) الرضي: **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية 1975م، ص211/4.

(3) انظر على سبيل المثال: أبو حيان الأندلسي: **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420هـ، ص428/2، 429.

(4) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص193/2.

(5) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ص48/3.

(6) العاملي: **الكشكول**، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص213/2.

أطلقوه واجعلوا يدي في القد مكانه، ففعلوا، فجاءته امرأة ببعير ليفصده، والفصد عندهم أن يقطع عرقاً من عروق الناقة ثم يجمع الدم ليشووه ويأكلوه، فقام حاتم وعقرها فلطمته، واللطم الضرب بالراحة على صفحة الوجه فقال: **لو غير ذات سوارٍ لطمتني**، أي لو كان الذي لطمني رجلاً لجازيته، أي أنه لا يقتصُّ من النساء، وقالت له النساء: إنما قلنا لك افصدها، فقال هذا فزدي[1] أي فصدي، وطي يبدلون الصاد زايا مفخمة، ثم إنه عُرف وفدى نفسه، وحاتم هذا هو الذي يُضرب به المثل في الجود، كان من أجواد العرب وشجعانهم وأهل الفتك منهم وفحول شعرائهم، فمن شعره قوله يخاطب امرأةً له:

أماويّ إن المال غادٍ ورائحُ ... ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ
أماويّ ما يغني التراث عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
أماويّ إن يصبح صدائي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمرُ
تري إن ما هلكت لم يك ضائري ... وإن يدي مما بخلت به صفرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراءَ المال كان له وفرُ
وإني لا ألوي بما لي صنيعةً ... فأوله زاد وآخره ذخرُ
غنينا زماناً بالتصعلك والغنى ... وكُلاً سقاناه بكاساته الدهرُ
فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ[2]

وأخباره في الجود كثيرة شهيرة، روي عن علي - كرم الله وجهه - أنه قال: سبحان الله، ما أزهد كثيراً من الناس في خير، أعجب لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لكان ينبغي له أن يُسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أسمعته من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال: نعم، لما أتى

(1) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 194/2.

(2) انظر: **ديوان حاتم الطائي**، برواية هشام الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1999م، ص 199-203.

بسبايا طي وقفت جارية عيطاء لعساء، فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لأطلبنها من النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت :يا محمد ، إن رأيت أن تخلي عني ولا تفضحني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيدهم، وإن أبي كان يفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طي ، فقال: يا جارية، هذه صفة المؤمن. ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق[1].

أقول والله أعلم: في هذه الرواية ما يدل أن للصحابة أن يسندوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أقوالاً أخذوا عنه فحواها، فإنه - كرم الله تعالى وجهه - قال: نعم، في جواب السائل، واستدل له بقصة ابنة حاتم، وأنت خبير أن هذا لا يجوز لغير من عرف العربية حق معرفتها، فانظر مباحث ورواية الحديث بالمعنى من كتب المصطلح[2]، وقال عدي بن حاتم: قلت للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن أبي كان يطعم المساكين ، ويعتق الرقاب، ويصل الرحم، فهل له في ذلك أجر؟ فقال : إن أباك رام أمراً فأدركه[3] - يعني الذكر -.

وما لك لم تمنع مني قبل أن أُفترس: ما استفهامية مبتدأ، ولك متعلق بمحذوف خبره أي، أي شيءٍ لك من الأعذار في أنك لم تمنع عني من يؤذيني قبل أن أفترس؟ ولعل هذا حل بيت شعري لأحد الشعراء ولكني لم أره لأحد.

وقوله: ***وتدركني ولما أمزق***: من حيث المعنى مثله، وهو من قول المثقب العبدي:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل ... وإلا فأدركني ولما أمزقِ[4]

وتقدم في «**بلغ السيل الزبى**» أنه مما كتبه عثمان إلى علي - رضي الله عنهما - ولا شك أن هذا الأسلوب بليغ في باب الاستعطاف، حيث إنه فرض وقدر

(1) الحلبي: السيرة الحلبية، مرجع سابق، ص 288/3.

(2) ابن الصلاح: **معرفة أنواع علوم الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1986م، ص219-220.

(3) الطحاوي: **شرح مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415هـ ، ص 150/11.

(4) البيت سبق تخريجه.

أن له مكانةً عند سيده، فأظهر الاستغراب في إغضائه عنه وعدم المبادرة إلى تخليصه، وأكد هذا المعنى بعده بقوله:

أم كيف لا تتضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك، وتنقطع أنفاس النظراء منافسةً لي على الكرامة فيك؟: أم هنا منقطعة، بمعنى بل التي للإضراب، كأنه أضرب عن الأسلوب الأول، وعاد إلى أسلوب آخر من الكلام، أي أن اختصاصي بك أوجب أن تتضرم، أي تتحرق أحشاء أكفائي حسداً، وكرامتي لديك اقتضى انقطاع أنفاس نظرائي في المنافسة، فأدَّاهم ذلك إلى أن وشوا بي عندك، ***وكيف*** لا يكون ذلك، ***وقد زانني اسم خدمتك وزهاني وسم نعمتك!***: أي أنني تزينت وتشرفت بكوني خادمك، وكبرت وصار لي منظر حسن بوسم نعمتك، أي بنعمتك التي هي كالوسم أي كالعلامة، والزهو من معانيه الكبر، لكن زها هنا فعل ماضٍ والنون للوقاية والياء مفعوله ووسم فاعله ، والذي يقرب إلى الذهن أن زهاني هنا بمعنى جعلني ذا منظر حسن ، كما أشرنا إليه لا بمعنى جعلني متكبراً، وكلاهما بعيد من استعمال العرب، فإن استعمال زها مبنياً للفاعل بأحد هذين المعنيين أو قريبٌ منهما لم أره، فليتأمل وليُراجع، ومن البعيد أن يقال: زها هنا بمعنى استخف كازدهى.

وأبليتَ البلاء الجميل في سماطك: أبليت بالبناء لما لم يسم فاعله، أي اختبرت وامتحنت اختباراً جميلاً في صفك ووجهك ومعيتك أو في صف خدمك ، قال المجد: وسِماط القوم بالكسر صفُّهم[1]، ومنه يقال: قام السماطين، ويقال: قام القوم حول فلان سماطين[2]، أي صفين والسماط من الطعام ما يمد عليه، والعامة تضم السين، وهو في عُرف أهل مكة ومن قرُب منهم طعامٌ يجمع أنواع المأكولات والموجودات يومئذٍ في البلد من حلو وحامض ومن فواكه ، ويجلب إليه ما يمكن

(1) مجد الدين الفيروزبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (سمط).
(2) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (سمط).

جلبه من أقرب المحلات، ويصف على أشكال مخصوصة لهم فيها اصطلاحات يصنع في الولائم العظام، ويعرف أوضاعه أساتذة لهم مهارة فيه ، وهي عادة قديمة في مكة، وإذا قصر عن بعض الأطعمة سمي ظرافة أو نصف سماط، وكادت هذه العادة تترك، إذ اعتاد الناس في ولائمهم اصطلاح الأتراك من وضع الخوان وفيه أنواع السكرجات، ثم الإتيان بالأطعمة صحفة فصحفة على ترتيبٍ مخصوص إلى أن يتم، بأن يؤتى بالشوربة أولاً ثم باللحوم أو البيوض ثم الخضروات، يتخلل ذلك الحلويات وما أشبهها ويختم بالأرز، وتسمى هذه الكيفية (قالدر) - لفظة تركية بمعنى ارفع - ؛ لأن صاحب الوليمة يقول لخادمه عند إرادته تبديل الصحفة: (قالدر) ، أي ارفع هذه الصحفة وائت بما بعدها.

لطيفة: مما يدل على أن هذه الطريقة كانت عادةً قديمة حتى عند العرب أنه قيل لطفيلي، مالك مصفر اللون؟ قال: للفترة بين الصحفتين، مخافة أن يكون قد فرغ الطعام، وقد كاد كثيرٌ من الناس أيضاً الآن يتخذون طريقة الفرنج التي يقال لها (الأفرنكة).

وقمت المقام المحمود على بساطك: أي على فراشك، كل ذلك كنايةً عن كونه كان مخلصاً في خدمته، خصيصاً به الأمر الذي أحقد عليه أقرانه، حتى حسدوه فوشوا به فوقع عليه ما وقع.

ألستَ الموالي فيك غر قصائد هي الأنجم اقتادت من الليل أنجما؟
ثناءٌ يظن الروض منه منورا ضحى ويخال الوشي فيه منمنما[1]

البيتان من قصيدة للبحتري يخاطب بها الفتح ابن خاقان مطلعها :

يهون عليها أن أبيت متيماً أكابد وجداً في الضمير مكتما[2]

(1) ديوان البحتري، مرجع سابق، ص 1984، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

(1) السابق، ص 1981.

يقول : كيف تحملني من غضبك ما لا أتحمله ، وأنا الخصيص بك ؟ أما هو أنا الذي أثنيت عليك بالقصائد الغر المتوالية ! قصائد مثل النجوم التي اقتادت، أي استتبعت أنجماً من نجوم السماء، أي أنها فاقتها بما أهدته إليك من الثناء العاطر الفاخر الذي يظن الناس أن كل أنوار الرياض، أي أزهارها، مبتدأة منه، أي ناشئة عنه في وقت الضحى الذي هو وقت بهجة الأزهار ، وأن كل وشي، أي زينة، على الثياب مأخوذة منه، وهذا - أي أخذ بيتي البحتري بهذه الصورة - يسمى عند أهل البديع استعانة، وهي غير التضمين وهو أخذ كلام الغير مستعملاً في غير المعنى الذي استعمله ربه فيه ، لا مع إيهام أنه كلامه بخلاف السرقة، أما الاقتباس فهو أخذ الألفاظ القرآنية وإدماجها في الكلام، فهو نوعٌ من التضمين خص باسم الاقتباس ، وقد يلحق به أخذ ألفاظ السنة، وأمثلة ذلك مع قيودها المعتبرة مبسوطة في كتبه، ويعجبني من الاقتباس قول المرحوم محمود أفندي الساعاتي[1] في المرحوم المبرور المنتقل إلى الغرب والقصور أمير مكة المكرمة سابقاً سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون إذ غزا نجداً:

يا حاكماً أهل نجدٍ   وعالماً ما لديهم
وافتك افتك أسدٍ   يعزى المجال إليهم
جاء ابن عون بجندٍ   لو اطلعت عليهم[2]

وفيه مع الاقتباس الاكتفاء وقد غلب على سيدنا المشار إليه محمد ابن عون، وهو ابن عبدالمعين بن عون لعله - والله أعلم - مات أبوه وهو صغير، فرباه جده عون المذكور، وهو الذي أسس المجد لهذه العائلة المحترمة - حفظهم الله - ولم يكونوا عاطلين من ذلك، كما قد يتبجح به من لا يعبأ به، فإنهم فخذٌ من العبادلة ذرية الشريف عبدالله بن الحسن ابن أبي نمي، وآخر من ولي مكة من أولاد

---

(1) الشاعر هو محمود صفوت بن مصطفى الزيلة لي، وهو غير الشاعر المعروف بهاء الدين أبي الحسن الساعاتي صاحب الديوان المشهور، انظر ترجمته: الزركلي: الأعلام، ص 174/7.

(2) **ديوان محمود أفندي صفوت**: جمعه: مصطفى رشيد بك، القاهرة، مطابع الفجالة ، 1329هـ / 1911م، ص129.

الحسن لصلبه، وملك بعده ابنه محمد الذي مات شهيداً في الحرب التي[1] عند قوز المكاسة الواقعة[2] بين السادة الأشراف والعساكر الجلاوية الذين جاؤوا من اليمن وعصوا على واليه قانصوه باشا، ثم كان ابنه الآخر حمود مشاركاً للشريف زيد بن محسن مدة إمارته من عام 1042هـ إلى عام 1077هـ، ثم صار ملك مكة ينتقل في ذوي زيد وذوي بركات ابن أبي نمي، وناله مرةً أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي، ومرةً عبد الله بن هاشم بن عبدالعزيز بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، وفي حدود سنة 1180هـ أخذه الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات، وبعد سنتين انتزعه منه أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد، ثم سرور بن مساعد بن سعيد، ثم غالب بن مساعد، ثم يحيى بن سرور، ثم ناله مولانا وسيدنا الشريف محمد بن عون سنة 1243هـ ثلاث وأربعين ومائتين وألف إلى عام 1267هـ، ثم ناله الشريف عبد المطلب بن غالب إلى 1272هـ، ثم رُجع سيدنا الشريف محمد وبقي إلى أن مات 1274هـ، فتولاها ابنه سيدنا الشريف عبدالله (بفتح الدال وتفخيم لفظ الجلالة) إلى 1294هـ، فمات، وتولاها أخوه سيدنا الشريف الحسين ثم مات شهيداً سنة 1297هـ، قتله أفغاني شحات انساب إليه في موكبه بجدة، ثم أُرجع سيدنا الشريف عبدالمطلب وبقي إلى 1299هـ، فعُزل واعتقل بقلعة الطائف، وتولاها سيدنا الشريف عبدالله (بكسر الدال وترقيق لفظ الجلالة له) ابن محمد بن عون.

فائدة: ما ذكرته من فتح الدال وتفخيم لفظ الجلالة في عبدالله الأول، وكسر الدال وترقيق اللفظ الكريم في عبدالله الثاني مبني على اصطلاح العامة من جعلهما علمين وعدم التفرقة في وجوه الإعراب، وجرى اصطلاح بعض الكتاب على كتابة الثاني عبد الإله ولا أراه مستحسناً، وقبل هذا التاريخ كان في الأشراف أيضاً في أولاد الشريف سعيد بن سعد بن زيد اثنان يقال لهم عبدالله، وأظنهما

(1) ورد في المخطوطة (الذي).

(2) ورد في المخطوطة (الواقع).

من هذا القبيل، وكانت مدة عبدالله هذا أربعين يوماً، ثم قلدتها الدولة سيدنا الشريف عون بن محمد إلى أن مات 1323هـ، فتولاها سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف عبدالله باشا الأول إلى عام 1326هـ، وعُزل فتولى مكة سيدنا ومولانا الشريف الحسين ابن المرحوم سيدنا الشريف علي بن محمد بن عون، وهو اليوم أميرنا - وفقه الله لما يحبه ويرضاه.

وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائلك؟ وتقلّدت الجوزاء إلا عقداً فصّلته بمآثرك؟ واستملى الربيع إلا ثناءً ملأتَه في محاسنك؟ وبثّ المسك إلا حديثاً أذعتَه في محامدك؟ :

هذا من تمام المعنى الذي قبله وتأكيدٌ له، فإنه ادعى أولاً أنه خدمه، وقام بخدمته أتم قيام، وأنه أثنى عليه الثناء الجميل مراراً عديدة، وأراد هنا التنويه بثنائه عليه وإكبار أمره بتشبيهه بأشياء بديعة المثال، لكنه أخرج التشبيه مخارج بديعة؛ لئلا يكون مبتذلاً كما ذكره أهل البيان كالسيوطي في (عقود الجمان)[1]، فمن أمثلة ذلك أن تريد تشبيه إنسان بالبدر، فلو قلت زيد كالبدر، أو زيد بدر، أو كأنه بدر، كان كلاماً مبتذلاً مطروقاً لكل أحد؛ فتعدل عنه إلى قولك يكاد البدر يشبه زيداً، أو خجل البدر لما رآى زيداً ونحو ذلك، فهنا أراد أن يشبه نشره الثناء عليه بما يكتسبه الجو وقت الصباح من الإشراق والنور فعدل عن ذلك إلى قوله وهل لبس الصباح.. إلخ، وهل هنا استفهام إنكاري بمعنى النفي أي أن إشراق الصباح ما هو إلا الثوب الذي طرزته أنا بفضائل هذا الممدوح، وتشبيه الثناء بالثوب من تشبيه معقول بمحسوس كالمنية بالسبع، فإن التشبيه من هذه الحيثية ينقسم إلى أقسام كما هو مبسوط في كتب البيان، ثم شبهه أيضاً بمنطقة الجوزاء في الرفعة بقوله وتقلدت الجوزاء.. إلخ، أي وليس قلادة الجوزاء إلا العقد الذي فصلته أنا من مآثرك، وقلادة الجوزاء ما يعبر عنه تارةً بنطاق الجوزاء عندهم، وهو النجوم الثلاثة المصطفة في منزلة الهقعة، ثم شبهه بأنوار الربيع، أي أزهاره في البهجة والنضارة بقوله: وهل استملى الربيع إلخ، ادَّعى أن الربيع استملى، أي طلب منه

(1) انظر: السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مرجع سابق، ص 83-91.

إملاء شيء، فأملى عليه ثناء هذا الممدوح فاكتسى بهذه الأنوار، وزمان الربيع هو وقت كون الشمس في بروج الحمل والثور والجوزاء، وهو وقت ابتهاج الأشجار بالأزهار، والرياض بالأنوار ، ثم شبهه بشذا المسك، أي رائحته، بقوله: وهل بث المسك.. إلخ، أي وما نشر المسك بين الأنام من هذه الرائحة الطيبة إلا هو الأحاديث التي أذعتها أنا في محامدك.

ما يوم حليمة بسر: هنا مثل عربي مشهور يُضرب لكل أمر مشهور عند الناس[1]، ويُضرب أيضاً للشريف النابه يقول: إن ما ادعيته من هذه الأمور ليس خفياً على أحد؛ بل هو أمر ظاهر يعلمه كل أحد، وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان، كان أبوها وجه جيشاً إلى المنذر ابن ماء السماء، فأخرجت لهم طيباً من مركن فطيبتهم، وكان اليوم الذي قتل فيه المنذر، وهو أشهر أيام العرب، قيل ارتفع في هذا اليوم من العجاج ما غطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب - انظر لمَ لم يغط الكواكب أيضاً[2] - وقال النابغة يصف السيوف:

تخيرن من أزمان يوم حليمة	**إلى اليوم قد جُربن كل التجارب**
تقد السلوقيَّ المضاعف نسجه	**ويوقدن بالصفاح نار الحباحب**[3]

وإن كنت لم أكسك سليباً: إن هنا مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمراد بهذه الجملة وما بعدها دفع ما يتوهم أنه يمن عليه بإذاعة فضائله، ونشر محاسنه، وأنه يدعى اختراعها له بقول إني لم أكسك هذه المدائح وكنت مسلوباً منها.

ولا حليتك عطلاً: أي ولا حليتك بهذه الخصائص وأنت عاطل منها، ***ولا سمتك غفلاً***: أي ولا وصفتك بصفات وأنت غير محلى بها، والغُفل بضم الغين المعجمة بعدها فاء كقفل، ما لا يرجى خيره، ولا يخشى شره، وما لا علامة له[4].

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 441/2.

(2) وردت في الهامش وأثبتها في المتن.

(3) ديوان النابغة الذبياني: مرجع سابق، ص 32.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (غفل).

بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت: الآجر اللبن المحرق، والجص النورة، ويقال له الجير، أي أن الصفات صفاتك، والخصائص خصائصك، وإنما أنا صغتها في قوالب الألفاظ، وشيدت لها تلك الأبيات، قال الخفاجي:

ولي فيك من غرِّ القوافي قصائدٌ   تقبل أفواه الرواة لها رشفا
وما أدَّعي دُرَّ الكلام لأنه   صفاتك إلا أنني أحسن الوصفا[1]

ومكان القول ذا سعة: فقلت، أي ووجدت مكان القول.. إلخ، وهذا من قول المتنبي:

وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ   فإن وجدت لساناً قائلاً فقُلِ[2]

حاش لك: حاش هنا اسم مرادف للتنزيه منصوب انتصاب المصدر الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل، ويُقال لها حاشا التنزيهية[3]، وخُصَّت بذلك وإن كانت الاستثنائية فيها معنى التنزيه، ولهذا لا يستثنى بها إلا فيما ينزه عنه المستثنى، فتقول: ضربت القوم حاشا زيداً، ولا تقول: صلى الناس حاشا زيداً؛ لأنها يراد بها التنزيه وحده، ولها وجهٌ ثالث وهو أنها تكون فعلاً متعدياً متصرفاً[4] تقول: حاشيته بمعنى استثنيته ومنه الحديث أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «**أسامة أحب الناس إلي ما حاشا فاطمة**»[5] فإن ما حاشا إلخ من كلام الرواة، أي أنه - صلى الله عليه وسلم - قال ذلك ولم يستثنِ فاطمة وليس من كلامه - صلى الله عليه وسلم - ؛بدليل أن حاشا الاستثنائية لا تصحب ما، ورواية الطبراني في (المعجم) زيادة[6]، ولا غيرها.

---

(1) البيتان في: الرضي : شرح شافية ابن الحاجب، مرجع سابق، ص 120/4.

(2) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 138.

(3) خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م، ص 358/1.

(4) السابق والصفحة .

(5) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ص 518/9.

(6) الطبراني: المعجم الكبير، مرجع سابق، ص 159/1.

لطيفة: كثر استعمال حاشا التنزيهية عند ذكر ما يتوقَّى عن ذكره بحضرة من يحتشم منه؛ كالنعال فيقال: هذا النعل حاشا المقام، حتى غلب لفظ حاشا المقام على معنى النعل فيقول بعضهم: اشتر لي أو اشتريت حاشا المقام أي نعلاً، ومن اللطائف ما كتبه الفاضل محمد بن خليل الإحسائي[1] قاضي الطائف في القرن الحادي عشر للشيخ تاج الدين المالكي[2] مستقضياً منه إرسال نعل كان طلبها منه:

قاضي الشرع فقت هذا الأناما ... بحجى ثابت وعز قدامى
وذكاء يفيد كل ذكي ... واطلاع يخجل النظّاما
إنَّ أهل الكمال عطل وتاج ... الدين تاج يزين النظاما
من أناس في بطن مكة ساروا ... إذ غدوا يمنحون فضلاً لهاما
زينوا منصب الرياسة والفضـ ... ـل بفضل ومنطق لن يراما
مذ حللت الحجاز ضاء ومذ غبت ... رأينا عليه حيناً ظلاما
كل وقت لم ننس ذكرك فيه ... فاحفظن للمحب منك الذماما
واذكرن حاجة المحب وإن ركـ ... ـك ادكاري لهافحاشا المقاما[3]

فراجعه القاضي بقوله:

وصلت رقعة الحميم ولكن ... اقتضى النظم أن أقول الحماما
وصلت يقظة عيانا وكانت ... وصلت قبل ذا مراراً مناما
اذكرتني فاذكرت غير ناس ... لا تخلني أنساك حاشا المقاما
وكأني أراك تعرك بالتفـ ... ـكير فيها منك القذال دواما
إن تكن قد ضعفت لما تراخى ... بعثها عن وصولنا يا هماما
فاعتذاري شحي بأنسك لما ... كل حين تزورنا أحلاما

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 460/3.

(1) السابق، ص 230/1.

(1) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مرجع سابق، ص 461/1.

يا لها من مطية أمتعتنا ... بمحيا قد زادنا ابتساما
قد لعمري وريت فيها بلطف ... واحتكمت التنكيت فيها احتكاما
كل أبياتها قصور ولكن ... كان بيت القصيد منها الختاما
فنشقنا فتيت مسك ختام ... زاد نشراً بما افتتحت النظاما
عجل الله ذلك الفأل منه ... وأقام المحب ذاك المقاما(1)

فأعاد عليه الجواب بقوله:

وصلت رقعة الفريد على ما ... كان في طيها محبا فقاما
وهي في كفه يفكر فيها ... أيرى ذروة لها أم سناما؟
أم يخلي سبيلها في عفاء ... ليرى أنها تقيم النظاما؟
وإذا احتجتها ليوم نزل ... فحميمي يكون فيها إماما
زينةً يوم زينة وهي في الكف ... ف سلاح إذا أردنا اللطاما(2)

إلى أن قال:

ثم لا زلت من أياديك تمضي ... كل وجناء لا تمل الزماما
كل يوم نرى نوالك يهمي ... مخجلاً حين يستهل الغماما
يا أخا الفضل إنني في زمانٍ ... سلَّ من جوره علي الحساما
صدَّعني فصدَّعني صديقي ... ورآني لا أستحق السَّلاما
هذه قسمتي جرت من قديم ... كلما رمته أراه حراما
وأبقى يا سيدي وقرة عيني ... في سرورٍ ونعمةٍ لا تسامى
ما أجاد المطالع الغر ذو الشعـ ... ـر وما أحسن البليغ الختاما(3)

وأتبع ذلك بنثر فقال: وبعد، فقد وصلت المطية التي هي حمراء الوبر المركوبة في السفر والحضر، الكافية راكبها مؤنة نفسها، فلا تشرب ماءً ولا ترعى الشجر،

---

(1) السابق، ص 3/461.
(2) السابق، ص 3/462.
(3) السابق، ص 3/462.

فَقَبلَها المملوك وما قبَّلها، فشكر الله فضلكم ولا أعدم أحبابكم طولكم والسلام[1]، ورأيت بعض أفاضل القضاء يجمعه على حواشي المقام أي النعال.

يقول ابن زيدون لابن جهور: تنزيها لك عن هذه الحالة الذميمة، وهي أن ***أُعَدَّ*** - وأنا من أخصائك - ***من العاملة الناصبة***، أي الذين يعملون وينصبون أي يتعبون في عملهم ولا يعود عليهم نفعٌ منه، والمعنى بهم في الآية الكفار.

وأكون كالذبالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق: من تتمة وصف الحالة التي نزهه عنها، وهو مأخوذ من قول العباس بن الأحنف:

صرت كأني ذُبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترقِ[2]

ثم أردف هذا التنزيه بما يناسبه من أنواع التلطف بقوله: ***فلك المثل الأعلى***، أي أني أتجافى عن أن أمثلك بأحدٍ من الناس، فإن لك المثل الأعلى، ***وهو بك وبي فيك أولى***، أي المثل الأعلى بك أولى وبي حال كوني فيك أولى أيضاً، أي حال كوني داخلاً في المختص بك وقوله تعالى: ﴿وَلِله المَثَلُ الأَعلَى﴾[3]، جاء أنه لا إله إلا الله، فمعناه أن الله تعالى أمر بالتوحيد، ونفى جميع الأمثال، أي كل إله سواه، ويستعمل الأمثل بمعنى الأفضل والأشرف ويجمع على أماثل[4]، ومنه الحديث: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[5]، وتأنيثه المثلى، ويقال: الطريقة المثلى أي الفضلى.

ولعمرك: هذا قسم بمعنى وحياتك كما أوضحه النحاة[6]، وهو انتقال من أسلوب إلى آخر من نوع الاستعطاف، خلاصته أنه أقسم بحياته، أنه يعلم أن الرأي الصواب التحول عن دار الهوان، ولكنه آثر حب الوطن، وأن يكون في جوار سيده،

(1) السابق والصفحة.

(2) الهاشمي: **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 84.

(3) سورة النحل: الآية (60).

(4) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (مثل).

(5) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 115/7.

(6) المبرد: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، عالم الكتب، ص 325/2.

وقد أبدع ما شاء في التفنن بين طرفي مدح الغربة وذمها ، والتوفيق بين الأمرين بأوضح مثال وأمكن منوال ، وكل ذلك من أساليب البلغاء وتمكنهم من الكلام.

تقول: هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تَعِبْ قلت:ذا قيء الزنابير[1]

كما سيظهر لك من شرح كلامه من هنا إلى قوله فما هذه البراءة ممن.. إلخ.

ما جهلت أن صريح الرأي أن أتحول إذا بلغتني الشمس: هذا جواب القسم وهو مأخوذٌ من قول أبي تمام:

وأن صريح الرأي والحزم بامرئ ... إذا بلغته الشمس أن يتحولا[2]

وقوله: **ونبا بي المنزل**، عطف على بلغتني الشمس وهو مأخوذ من قول عنترة:

احذر محل السوء لا تحلل به ... وإذا نبا بك منزلٌ فتحول[3]

والمراد بصريحي الرأي: سديده، والصريح له معانٍ أحسنها هنا المحض الخالص، ***ونبا بي المنزل***، أي لم يوافقني، أو لم أجد فيه قراراً وهو مجاز، وأصله - والله أعلم - أن نبا بمعنى تجافى وتباعد والباء في بي للتعدية، مثلها في قوله تعالى: **﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم﴾**[4]، أي أذهبه، فنبا بي أبعدني، أي أهله أبعدوني عنهم، وتنكروا لي، فالتحول حينئذٍ أجدر بي، وهذا أحد أوجه مدح السفر، وأعلم أن لكل شيءٍ طرفي مدح وذم، فالتغرب عن الوطن يذم تارةً ، ويمدح أخرى كغيره، ولكلٍ وجه، والشعراء لهم اليد الطولى في تحسين ما أرادوا تحسينه، وتقبيح ما أرادوا تقبيحه، وهذا هو المسمى بالخطابة، وروي أن بعضهم كان في مجلس بعض الملوك فجرى ذكر الفجل، ورأى ميل الملك إليه فمدحه، وعد من محاسنه ما خيل أنه

(1) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ص 14/2.

(2) ديوان أبي تمام، مرجع سابق، ص 254.

(3) انظر: **ديوان عنترة بن شداد**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1992م، ص 119.

(4) سورة البقرة: الآية (17).

أفضل أنواع البقول وفي ذلك المجلس رأى ميل الملك عنه فذمه بمثل ذلك فقال له الملك: ما رأيت أعجب منك مدحته وذممته في مجلسٍ واحدٍ فقال: أنا جليس الملك أمدح ما يحبه وأذم ما يكرهه.

وكان عمرو بن سنان الملقب بالأهتم[1] من أكابر سادات قومه بني تميم وشعرائهم وخطبائهم، بليغ القول طلق العبارة بهي المنظر، وفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – هو والزبرقان بن بدر[2] فأسلما، وكان رسول الله يكرمهما، فسأل يوماً عمراً عن الزبرقان بحضوره فقال: مطاع في ناديه، شديد العارضة في قومه، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان : يا رسول الله، إنه ليعلم مني أكثر مما قاله، ولكنه حسدني. فقال عمرو, أما والله لئن علمت ما قد علمت فإنه زمر[3] المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، ضيق العطن، حديث الغنى ، فرأى تغير النبي – صلى الله عليه وسلم – لما اختلف قوله ، فقال: يا رسول الله، لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت،ولما غضبت قلت أقبح ما علمت، فوالله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الثانية فقال – صلى الله عليه وسلم -: «إن من البيان لسحراً»[4]، والزبرقان هو صاحب البيت الذي يستشهد به على أن الحج لغة القصد، أو إلى معظَّم، قال:

ألم تعلمي يا أم سعد أنني تخاطأني ريب الزمان لأكبرا
وأشهد من عوف حؤولاً كثيرةً يحجون سب الزبرقان المزعفرا[5]

والسب السترة، توضع على الباب للعظيم من الناس، والمزعفر صفة للسب، والزبرقان يعني نفسه أظهر في محل الإضمار تعظيماً، والأهتم لقب به؛ لأنه كسرت ثنيته يوم كلاب، والحديث المذكور قيل: أريد به المدح وهو الأصح؛ فإن البيان الفهم،

(1) القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مرجع سابق، ص 1163/3.

(2) ابن قتيبة الدينوري: **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992م، ص302.

(3) في المخطوطة زمن، والصواب ما أثبتناه.

(4) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 19/7.

(5) الجواليقي: **شرح أدب الكاتب لابن قتيبة**، قدَّم له: مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 327.

وإنما سمي بعضه سحراً؛ لحدة عمله، وسرعة قبول القلب له، والتعجب منه، كما يتعجب من السحر، وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق في صورة الباطل من أعلى درجات البلاغة، وقيل: أريد به الذم[1]؛ لأن السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق، واحتجوا بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «**الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»[2]، وسمي البيان هنا نفاقاً إذا كان من البذاء، ومن هذا القبيل الأسفار وملازمة الوطن، فتجد الشعراء تارةً تذكر الأسفار والتجول في الأقطار بما يخلب العقول ويروق الجهول، وتارةً بالضد، هذا ابن النحاس في حائيته المشهورة قال :

حسنوا القول وقالوا غربة ... إنما الغربة للأحرار ذبح[3]

وقال في أخرى:

إذا عرضت لي في بلادٍ مذلة ... فأيسر شيءٍ عندي الوخد والرحل
وليس اعتساف البيد عن مربع الأذى ... بذل ولكن المقام هو الذل
وكل رياض جئتها لي مرتع ... وكل أناسٍ أكرموني هم الأهل[4]

والطغرائي قال في لاميته :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت تكفيك منه مصة الوشل[5]

وقال فيها في نقيض ذلك :

حب السلامة يثني عزم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسلِ
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزلِ
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ[6]

---

(1) ابن بطال: شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 446/9.

(2) مسند أحمد ، مرجع سابق، ص 649/36.

(3) علي بن أحمد بن محمد معصوم: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ،مرجع سابق، ص 164.

(4) السابق، ص 167.

(5) العبكري: لامية العجم ، مرجع سابق، ص 236، وفيها : اعتراضك بدل: اقتحامك .

(6) السابق، ص 226-236.

ويروى: **السفر قطعة من سقر**[1]، ويروى: **سافروا تصحوا**[2]، **سافروا تغنموا**[3]، والقول الفصل أن الإنسان إذا رأى الجفوة من أهل وطنه أو لحقه تهديد أو خاف وقوع نفسه في شَرَكِ من لا يرحمه، فلا شبهة أن صريح الرأي التحول إلى أن يأتي من يأمن عاقبته:

ولا يقيم على ذل يُراد به   إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشيح فلا يرثي له أحد[4]

ولا شبهة أن الوطن محبوب والمربى غالٍ، لكن السياحة في الأقطار تشتمل على فوائد جمة عظيمة، خصوصاً في حق الأديب العاقل؛ فإنه يضيف بها أدباً إلى أدبه، وعقلاً إلى عقله، بما يكتسبه من التجارب ومزاولة الأخطار، ومن الغنى إن كان فقيراً إلى غير ذلك من الاطلاع على مصنوعات الله سبحانه وخوارق عاداته؛ فتتهذب نفسه، ويقوى حدسه، ويشتد جأشه، وينجاب استيحاشة، قال أعرابي من باهلة:

سأُعمِل نَصَّ العيس حتى يكفني   غنى المال يوماً أو غنى الحدثانِ

فللموت خيرٌ من حياةٍ يرى لها   على المرء بالإقلال وسم هوانِ

متى يتكلم يلغ حكم مقاله   وإن لم يقل قالوا عديم بيانِ

كأن الفتى في أهله بورك الغنى   بغير لسانٍ ناطقٍ ببيانِ[5]

وأنه يروى أن بعض الأفاضل أراد السفر ، فخرج لتشييعه نظراء أهل بلده من تلاميذه ومحبيه ، وأخذ كلٌّ يتكلم ويبدي تألمه لمفارقته فأنشد في الحال:

إذا ترحلت عن قومٍ وقد قدروا   أن لا تفارقهم فالراحلون هم[6]

---

(1) القاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمد نكري: **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م ، ص 124/2.

(2) اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، مرجع سابق، ص 213/1.

(3) السابق والصفحة.

(4) الثعالبي: **لباب الآداب**، تحقيق: أحمد حسن لبج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1997م، ص 115.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 250/1.

(6) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 333.

وقال: والله لو أن كل واحدٍ منكم تكلف لي كل يوم عشر عشر دانق لكان مجموع ذلك قائماً بنفقتي ونفقة عيالي، فلا أسافر، ولا أتنقَّل عن وطني.

واصفح: عطف على أن أتحول، أي وإني لم أجهل أن الرأي الصريح أن ***اصفح عن المطامع التي*** - من صفاتها أنها - ***تقطع أعناق الرجال***، هذا مثلٌ أرسله المجاشعي في قصيدة له، يقول:

طمعت بليلى أن تزيغ وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع[1]

فإن الطمع مورد الهلكة والخذلان، قال ابن عطاء الله في حكمه الشهيرة: «ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع»[2] ومذام الطمع كثيرة، وهو غير الأمل الذي لا يخلو أحد عنه، ولولا الأمل الذي هو راحة القلب ما غرس غارس شجراً، ولا أرضعت والدة ولدا، والأماني رأس مال المفاليس.

فلا أستوطئ العجز: أي لا أجعل لي موطئاً، وهو مأخوذ من المثل: «**العجز وطيء**»[3]، يضرب لمن استلان فراش العجز، وقعد عن مطالبه ومهماته.

ولا أطمئن إلى الغرور: أي ولا أجنح إلى الاغترار بزخارف الأماني فأطمئن إليها، أعلم ذلك كله ولكني أردت المداراة ، كما أشار إلى ذلك بقوله، ***ومن الأمثال المضروبة***: «***خامري أم عامر***»[4] ومثله: «**خامري حضاجر أتاك ما تحاذر**»، وأم عامر[5] وأم عويمر كنية الضبع[6]، وحضاجر الذكر من الضباع[7]، ويسمى الآن الجعير بالتصغير، لكن العامة تميل ضمة الجيم نحو الكسرة، وكلا المثلين يُضرب

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 37/2.

(2) الفاسي الصوفي: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، حسن عباس زكي - القاهرة، 1419هـ، ص 32/3.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 40/2.

(4) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 416/1.

(5) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 239/1.

(6) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مرجع سابق، (عمر) .

(7) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 239/1.

للذي يرتاع من كل شيء جبناً، وقيل يضرب من عرف الدنيا في نقضها عقد الأمور بإيراد البلاء عقب الرخاء، ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تفتر الضبع بقول القائل: (خامري أم عامر) وهذا هو المناسب هنا، وفي الجمهرة: «يضرب مثلاً للأحمق يجيء بالباطل والكذب الذي لا يخفى بطلانه على أحد»[1] انتهى.

وفسر أهل اللغة هنا خامري باستري قال في (الجمهرة)[2]: خامري اثبتي في خمرك، بفتح الميم أي وجارك، ووجارها حجرها إذا كان على وجه الأرض، فإن كان في جبل فهو مغار، ويروى عن علي - كرم الله وجهه - أنه قال: «لا أكون مثل الضبع تسمع اللِّدَم فتبرز طمعاً في الحية فتصاد»، وهي من أحمق الدواب تقول العرب: إذا رأت ما تنكره وكان بحيث لا يخفى هذا على الضبع، ويورى عنهم أن الصائد يدخل عليها وجارها فيقول: أطرقي أم عامر، خامري أم عامر، أبشري بشاء هزلي، وجراد عظلى، فتشد عراقيبها ولا تتحرك فيصيدها[3]، وزعموا أيضاً أنه يقول: أبشري بكمر الرجال[4]، لما زعموا أن الضبع إذا وجدت قتيلاً قد انتفخ تجيء حتى تركبه تريد منه الفاحشة، وأخذ هذا المعنى العباس ابن مرداس المسلمي فقال:

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباعٌ بأعلى الرقمتين عرائسا[5]

والجراد العظال الكثير الذي يركب بعضه بعضاً كثرة، ومن رموز العرب أي أقوالها التي ترمز بها إلى معانٍ مطوية أن الضبع وجدت تودية في غدير فجعلت تشرب وتقول: حبذا طعم اللبن واضياحاه حتى انشق بطنها[6]، فماتت، والتودية العود الذي يشد على خلف الناقة؛ لئلا يرضعها فصيلها، والضياح اللبن المذيق إذا

(1) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 416/1.

(2) السابق والصفحة.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 238/1.

(4) الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، مرجع سابق، ص 75/1.

(5) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مرجع سابق، ص 403.

(6) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 416/1.

كثر ماؤه، ومنها رأت الضبع ظبية على حمار فقالت: أردفيني، فأردفتها، فقالت بعد أن مشت بها قليلاً: ما أفره حمارك. ثم سارت يسيراً، وقالت: ما أفره حمارنا، فقالت لها: انزلي قبل أن تقولي: ما أفره حماري[1]، والضبع سبع تخافه الحمر، فإن الحمار إذا سمع صوت الضبع وقف فلا يتحرك حتى يأتيه فيشق بطنه، ولحمه حرام، لكنا رأينا الأعراب يصطادونه ويأكلونه، ويزعمون أن في كل عضو منه شفاء لمثله من الآدمي، ورأيناهم أيضاً يأكلون الثعالب والهرر، وليس للضبع فك فإنها تتحرك وتستدير جميعها لا تستطيع لفت عنقها، وسمعت من بعض يتعاطى الصيد أنها تتخذ لنفسها مغارة مستطيلة فإذا أرادت وقت الهجير الدخول فيها، تدخل بعجزها وتمشي القهقرى، وأن بعض الصيادين إذا أراد صيدها حيةً دخل قبلها مغارتها فإذا دخلت؛ أخذ يغمزها فترتاح لذلك، ويمد يده تدريجاً إلى أن يصل رأسها فيدخل فيه حبلاً قد أعده لذلك آخذاً بمجامع شدقيها، ثم يسوقها حتى تخرج، فيذهب بها حيث شاء.

تنبيه: المثل الآخر وهو «**خامري حضاجر**».. إلخ، هكذا رواه أهل الأمثال وصوابه: خامر بدون ياء، إذ هو ذكر الضبع أو تحاذرين، قال مثله المجد.

وإني: إن واسمها خبرها قوله الآتي: عارف.. إلخ، وما بينهما اعتراض ***مع المعرفة بأن الجلاء*** مع ظرف متعلق بصارف أو بمحذوف حال من اسم إن، والجلاء الخروج من الوطن، ***سباء***، بكسر السين وهو الأسر مطلقاً ، أو خاص بأسر العدو، والمراد به هنا مطلق الأسر والحمل على التشبيه، أي أن الخروج من الوطن مثل الأسر، أو مستعار للنفي والتغريب والجامع أن كلاً عقوبة، وهذا من مذام الغربة كما هو ظاهر، لكنه ليس على إطلاقه كما سيظهر.

والنقلة مثله: هذا من أمثال المولدين[2]، والنقلة اسم من الانتقال أي التحول من موضع إلى آخر، أي ومع المعرفة بأن النقلة مثلة، أي أن انتقال الإنسان من وطنه

(1) السابق، ص 417/1.
(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 358/2.

إلى وطن آخر مثلة (بضم الميم) مصدر، مُثِّل بفلان بالقطع والتشويه ، ويقال: مُثل بالقتيل جدع أنفه وأذنه ومذاكيره، أو شيئاً من أطرافه يعني أن النقلة شبيهة بالمثلة، وتمثل لذلك ببيتين للأعشى وهما:

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى   مصارع مظلوم مجراً ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء   يكن ما أساء النار في رأس كبكبا(1)

أي أن الغريب لا يزال يرى مصارع مظلوم، أي لا يزال يظلم ويجر ويُسحب فلا يكترث به، ومهما بدا من صالحاته دفن وأخفى، ومهما كان من إساءته، كانت ظاهرة مثل نار على رأس جبل يظهرونها لا يخفون منها شيئاً، فالنار بالنصب خبر يكن، وكبكب جبل بعرفات يقع خلف الإمام إذا وقف (2)، وهو معلومٌ إلى الآن به قوم من هذيل يقال لهم الكباكبة(3).

عارف: - علمت أنه خبر إن - ***أن الأدب الوطن***، إن واسمها وخبرها مؤولة بمصدر مفعول عارف وقوله: ***لا يخشى فراقه***، جملة صفة لوطن أو حال منه على حد ما قيل في قوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمة قلت لا يعنيني(4)

أي إن نظرنا إلى لفظ الوطن وأنه معرف بأل كانت الجملة حالاً؛ لأن الجمل بعد المعارف أحوال(5) وإن نظرنا إلى معناه شأن المعرف بأل الجنسية الذي يُراد به فرد منهم كأن أكله الذئب، أو أدخل السوق ولا عهد ، فهو نكرة معنى، فالجملة صفة إذ الجمل بعد النكرات صفات(6)، فالمعنى: أنا عارف أن الأدب الذي هو من صفاتي هو الوطن الذي لا يخشى فراقه؛ لأنه ملازم لمن هو له.

---

(1) انظر: ديوان شعر ميمون بن قيس مع شرح أبي العباس، مطبعة آذلف هلز هوسن، 1927م ، ص 88.

(2) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، مرجع سابق ، كبب.

(3) حمد بن محمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص 675.

(4) سيبويه: الكتاب، مرجع سابق، ص 28/3.

(5) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مرجع سابق، ص 560.

(6) السابق والصفحة.

والخليط مني والأدب - أي الصاحب - ***الذي لا يتوقع زياله***، أي لا تنتظر مفارقته، فقوله والخليط.. إلخ عطف على الوطن.. إلخ، فهو خبر بعد خبر لأن.

وكذا قول: ***والنسيب لا يخفى***: أي وعارف أن الأدب هو النسيب الذي لا يخفى، أو أن هذه جملة من مبتدأ وخبر عطف على جملة أن الأدب إلخ، أي وعارف أن النسيب أي صاحب النسب لا يخفى مهما كان، وفي أي جهة توجه، وهذا أولى.

وجملة ***والجمال لا يُجفى***: عطف عليها، أي وعارف أن الجمال - أي ربه - لا يُجفى، أي لا يجفوه أحد أينما حل، وفي أي جهة ارتحل يقول ابن زيدون: إني وإن كنت عارفاً أن الغربة وفراق الوطن غير ممدوح، أعلم أيضاً أن ما أنا متخلق به ومفطورٌ عليه من الآداب الجليلة والأخلاق الجميلة هو كالوطن الحقيقي لي فإن الأدب هو الوطن.. إلخ.

ثم ترقى إلى درجة هي أعلى من الأولى فادعى أنه متصف بصفات أخرى غير الأدب هي أيضاً توجب تكرمته وإجلاله بقوله: ***ثم ما قرن السعد بالكواكب أبهى أثراً، ولا أسنى خطراً من اقتران غنى النفس به*** - أي بالأدب - ***وانتظامها نسقاً معه***: يعني أنه غني النفس، قد اجتمع له غنى النفس والأدب، وذلك أبهى أثراً، وأعلى قدراً من اقتران الكواكب السيارات الذي هو عنوان السعد وعلل ذلك بقوله: ***فإن الحائز لهما*** - أي الشخص الجامع بين الأدب وغنى النفس - ***الضارب بسهم فيهما***: أي الآخذ حصةً من كل منهما، وخبر أن قوله أينما توجه.. إلخ، وما أجمله! ***وقليل ما هم***: فهي معترضة بين الاسم والخبر، أراد بها إفهام سيده أن نظيره في هذه الأخلاق قليل، والتعريض بأن حساده الذين وشوا به ليسوا مثله في اجتماع هذين الأمرين، فمن كان أديباً منهم لم يكن غني النفس، ومن حاز غنى النفس عُرّى عن الأدب والمعارف.

أيما توجّه ورد منهل بر: جملة هي خبر إن كما علمت، والمنهل إما مصدر ميمي من نهل وهو الشرب الأول والثاني يسمى علا، فيقال: سقاه علاً ونهلاً، أو موضع الشرب، ومنه سمي المنزل بالمفازة تنزله القوافل والركوب منهلاً، أما ما كان

مائلاً عن الطريق يُعرج إليه عند الاقتضاء فيضاف إلى من هو مختص به، فيقال: منهل بني فلان وهو الأقرب هنا، ومن البعيد تفسيره بالعين الجارية.

وحط في جناب قبول: عطف على ورد.. إلخ، والجناب والجانب الجهة والناحية، وصار عرفاً شائعاً إضافته لمن يراد تعظيمه وتنزيهه عن أن يذكر اسمه.

وضوحكَ قبل إنزال رَحْله: أي وضاحك أهل المنزل بمجرد أن يروه قبل أن ينزلوا رحله، أي بادروا إلى ملاقاته بالبشاشة .

وأُعطي حكم الصبي على أهله: كناية عن إكرامهم نزيلهم أشد الإكرام، وحفاوتهم به أتم حفاوة، وحكم الصبي على أهله أن يفعل ما يريد، كما يفعل السيد بالعبيد.

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ ومقيلُ[1]

أصله لبعض الشعراء، فقلت له أهلاً.. إلخ، يقول ابن زيدون: إن مثلي من كان له سهمٌ وافرٌ من الأدب وغنى النفس قليل لا يكاد يوجد، فاتخذني ولا تضع من قدري، فإني أينما توجهت أجد منزلاً باراً لا يضيع فيه قدري، وإني لأعرف ذلك ولا أجهله.

غير أن الوطن محبوب والمنشأ مألوف: فإن ذلك أمر طبيعي، لا يكاد يخلو عنه إنسان، وأما حديث «**حب الوطن من الإيمان**»[2] فما أظنه حديثاً صحيحاً، ولكنه مما ترضخ إليه العقول وتذعن له النفوس، فلا تكاد تجد أحداً يكره وطنه الذي ولد ونشأ به إلا لسبب خارجي من اضطهاد ظالم أو جفوة أقارب أو فقر حال يؤمل معه رواج حاله في غير وطنه أو نحو ذلك ، وقد قيل :

ما من غريبٍ وإن أبدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطنا[3]

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 33/1.

(2) الحديث موضوع، انظر: الألباني: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، ص110/1.

(3) الثعالبي: **اللطائف والظرائف**، بيروت، دار المناهل، ص 231.

واللبيب يحن إلى وطنه حنين النجيب إلى عطنه: اللبيب العاقل مأخوذ من اللب بمعنى العقل، ويجمع اللب على ألباب، كما أن اللبب بفتحتين يجمع على ألباب، وهو ما يشد على عنق الدابة ليمنع استيخار الرحل، واللب العقل مجازاً بحسب الأصل؛ لأن اللب خالص كل شيءٍ كاللباب، ولب النخل والجون قلبه سمي به؛ لأنه خلاصة الإنسان، أو لأنه لا يسمى بذلك إلا إذا خلص من الهوى وشوائب الأوهام، وعليه فهو أخص من العقل، والنجيب الفاضل من كل حيوان، ومن الرجال الكريم الحسيب، يجمع على أنجاب ونجباء، ومن الإبل الخفيف السريع وهو المراد هنا، والعوام يستعملون النجابة فيما هو من نوع الفطنة والذكاء، وأخذه منهم الأتراك بهذا المعنى، فأدخلوه في محاوراتهم، وهو اصطلاح ولا مشاحة فيه، والحنين قال الراغب[1]: النزاع المتضمن للاشتياق، يقال: حنين المرأة والناقة لولدها، وقد يكون صوت مع ذلك، ولذلك يعبر بالحنين عن الصوت الدال على النزاع والشفقة أو مقصور بصورة، وعلى ذلك حنين الجذع له - صلى الله عليه وسلم[2] - انتهى بزيادة، وفي الحديث: نهى عن الصلاة في أعطان الإبل[3]، ويقال أيضاً معطن، ويجمع على معاطن، وهذا أرسله مثلاً فيما جاوره، أي كل من كان ذا لب فهو يحن إلى وطنه، كما أن الكريم من الإبل يحن إلى عطنه، وإرسال المثل نوعٌ من المحسنات البديعية، وللمتنبي فيه قصب السبق، انظر (خرانة) ابن حجة[4].

ومثله قوله: ***والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله. ولا ينسى بلداً بها مراضعه***: أي شأن من كان موصوفاً بصفة الكرم أن يكون هكذا لا يجفو.. إلخ، والجفاء نقيض الصلة يمد ويقصر، واقتصر الجوهري على المد، وهو مصدر جفا يجفو واوي، فلا تقول: جفيت بل جفوته، فإن جفيت لغةً في جفأته بالهمز بمعنى صرعته، وتقول فلان فيه جفوة وفلان جاف أي: فيه عدم صلة، وفي الحديث: «البذاء جفاء»[5] والبذاء

---

(1) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 259.

(2) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 195/4.

(3) مسند أحمد، مرجع سابق، ص 58/24.

(4) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ص 186/1.

(5) الدرامي: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1988م، ص 10/13، وفيه: البذاء من الجفاء.

بالذال المعجمة الفحش، وفي الحديث أيضاً: «**من بدا جفا**»[1] أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطة الناس، وجفا أيضاً لم يلزم مكانه كتجافى، ومنه: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ**﴾[2]، أي تتباعد عن المضاجع فلا تلزمها، للجفاء معانٍ استدرك بها في (التاج)[3].

والقوابل جمع قابلة المرأة تقابل النفساء حتى تتلقى الولد فتأخذه وهو المراد هنا، والقابلة الليلة المقبلة، يقال: أتيك القابلة، أي الليلة التي تلي ليلتنا هذه، وفي اصطلاح مكة - زادها الله شرفاً وما والاها - إذا قال: الليلة، فمراده الحاضرة أو التي تلي ذلك النهار، فأل فيها للعهد الحضوري، وإذا قال القابلة فمراده الليلة التي تليها، والمقبلة التي تلي القابلة، ومقبلة المقبلة التي بعدها وهكذا، وقوله: ولا ينسى، استعارة تبعية أي لا يكره بلداً فيها مراضعه، ثم أيد معنى محبة الوطن والميل إليه بقوله: ***قال الأول، وهو بعض الأعراب***:

أحب بلاد الله ما بين منعج … إلي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها حل الشباب تمائمي … وأول أرض مس جلدي ترابها[4]

منعج كمجلس، وبعضهم يفتح عينه قال في (التاج): وادٍ يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج، ويدفع في بطن فلج، ويوم منعج من أيام العرب لبني يربوع على بني كلاب[5].

وسلمى أيضاً موضع بنجد[6]، وأطم بالطائف وجبل لطي شرقي المدينة[7] واد يقال له رك، به نخل وآبار مطوية بالصخر، طيبة الماء، والنخل قصب، والأرض رمل بحافتيه جبلان أحمران وبأعلاه برقة[8]، انتهى (قاموس وتاج).

---

(1) مسند أحمد، مرجع سابق، ص 430/14.

(2) سورة السجدة: الآية (16).

(3) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (جفا).

(4) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 204/9.

(5) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (نعج).

(6) البغدادي: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1412هـ، ص 729/2.

(7) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 127/1.

(8) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (سلم).

فبلاد هذا الأعرابي ما بين هذين الموضعين يقول: أحب بلاد إلي من البلاد التي بين هذين الموضعين هي البلاد التي أدركت فيها زمن شبابي الذي حل عقد تمائمي والتي هي أول أرض مس.. إلخ ، والتمائم العوذات التي تعلق على الطفل وتنزع عنه إذا فارق سن الطفولية ودخل في حد الشبوبية، وقد علل كونها أحب إليه بكونها الموضع الذي قضى فيه زمن الشباب، وبكونها أول أرض تمعك جلده في ترابها؛ لأن تعليق الحكم بمشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق، و(إن يصوب) في تأويل مصدر مرفوع بأحب أو منصوب على التمييز، وإسناد حل التمائم إلى الشباب مجاز عقلي.

هذا - أي حب الوطن الذي آثرت به الإقامة على التجول - ***منضم إلى مغالاتي بعقد جوارك***: أي أني أرى جوارك الذي عقدت عليه عزيمتي أمراً غالباً، فلا أحب أن أعتاض بدلاً عنه.

ومنافستي بلحظة من قربك: المنافسة والتنافس الرغبة في الشيء وحب الانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه وقوله عز وجل: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(1)، أي فليتراغب المتراغبون ، فهو بمعنى الرغبة على وجه المبادرة.

واعتقادي أن الطمع في غيرك طبعٌ: في (القاموس) وشرحه الطبع بالتحريك الوسخ الشديد من الصدأ(2)، ومن المجاز الطبع الشيء والعيب في دين أو دنيا وفيه لمح إلى حديث «**أستعيذ بالله من طمع يهدي إلى طبع**»(3)، أو إلى قول عروة ابن أذينة:

لا خير في طمع يهدي إلى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني(4)

---

(1) سورة المطففين: الآية (26).

(2) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ومجد الدين الفيروزبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (طبع).

(3) الحديث ضعيف، انظر: محمد بن عبدالله الخطيب، التبريزي: **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط 3، 1405هـ - 1985م، 56/2.

(4) اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، مرجع سابق، ص 42/3.

وقال الأعشى :

من يلق هوذة يسجد غير متئب ... إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

له أكاليل بالياقوت زينها ... صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا[1]

هوذة هو هوذة بن علي الحنفي[2]، ملك اليمامة بلاد المشرق قبل مسيلمة الكذاب، وممن كتب إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - من الملوك، كتب إليه مع سليط بن عمرو العامري؛ فَرَدَّ رَدّاً جميلاً، أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بموته عند منصرفه من غزوة فتح مكة، وأنه مات على كفره، وأنه سيخلفه بها كذاب.. إلخ، وكان هوذة يجير لطيمة كسرى بجنبات اليمامة، واللطيمة الإبل تحمل البز والطيب، وبهذا السبب وفد على كسرى برويز فسأله عن بنيه، فذكر منهم عددا فقال: أيهم أحب إليك؟ فقال: صغيرهم حتى يكبر، وغائبهم حتى يرجع، ومريضهم حتى يبرأ، فقال: ما غذاؤك في بلدك؟ فقال: الخبز، فقال كسرى لأصحابه: هذا عقل الخبز، يفضله على أهل البدو والذي يغتذون اللبن والتمر، وقال أبو عبيدة عن أبي عمر ولم يتتوج معديٌّ قط، وإنما كانت التيجان لليمن، فسألته عن هوذة، أي لأنه من بني حنيفة بني لجيم وهم من بكر وهم من ربيعة بن نزارين معد بن عدنان فقال: إنما كانت خرزات تنظم له[3]، وقال شاعر من الري يدعى أبا يزيد يمدح عبدالله بن طاهر من رجال المأمون:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا ... في شاذ مهر ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه ... من هوذة بن علي وابن ذي يزن[4]

أخذ ذلك من بيتي الأعشى المتقاربين، ومن بيت لأمية بن أبي الصلت عند ذكر سيف بن ذي يزن:

اشرب هنيئاً عليك التَّاج مرتفقاً ... في رأس غمدان دار منك محلالاً[5]

---

(1) ديوان الأعشى الكبير، ص 107.

(2) ابن الأثير: **أسد الغابة**، بيروت، دار الفكر، 1409هـ - 1989م، ص 420/3.

(3) الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ص 102/8.

(4) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، القاهرة، 1866م، ص 6.

(5) أبو هلال العسكري: **ديوان المعاني**، بيروت ، دار الجيل ، ص 92.

وشاذ مهر (بفتح الذال المعجمة وكسر الميم) فارسي مركب تركيباً إضافياً، من شاذ بمعنى فرح، ومهر اسم صاحبه الأول، وهي بلدة بنيسابور أوموضع بها ، ويقال لنيسابور أيضاً شاذباخ ، وبها يروى هذا الشعر بدل شاذ مهر، وهي قاعدة بلاد خراسان، تولاها عبدالله بن طاهر بن الحسين، ونزل في نيسابور، فضاقت مساكنها بجنده، ونزلوا على الناس في دورهم، ولقي الناس منهم شدة، واتفق أن بعض الجند نزل في دار رجل له زوجة جميلة، وكان غيوراً عليها، فلزم البيت لا يفارقه غيرة على زوجته، فقال له الجندي يوماً: اذهب واسق فرسي، فلم يجسر على خلافه، ولا استطاع مفارقة زوجته، فقال لها: اذهبي أنت واسق الفرس؛ لأحفظ أنا أمتعتنا فمضت المرأة وكانت وضيئة حسنة، واتفق ركوب عبدالله بن طاهر، فرأى المرأة فاستحسنها وعجب من تبذلها فاستدعى بها، وقال لها: صورتك وهيئتك لا يليق بهما أن تقودي فرساً تسقيه فما خبرك؟ فقالت: هذا فعل عبدالله بن طاهر بنا، قاتله الله، ثم أخبرته الخبر فغضب وحوقل، وقال: لقد لقي منك يا عبدالله أهل نيسابور شراً، ثم أمر العرفاء أن ينادوا في عسكره من بات بنيسابور حل ماله ودمه، وسار إلى الشاذباخ[1]، وبنى فيه داراً له، وأمر الجند ببناء دورهم حوله، وكانت بستاناً له فعمرها وصارت محلة كبيرة، واتصلت بالمدينة وصارت من محالها، وبنى بها أهل المدينة دوراً وقصوراً ولما انقضت دولة آل طاهر خربت تلك القصور وتمامه في (معجم) ياقوت[2].

والغنى من سواك عناءٌ: أي الغنى الذي يحصل لي من سواك إنما هو عناء وتعب وتحمل منة من غير أهلها.

والبدل منكَ أعور: هذا مثل يُضرب لمن لا يرتضي بدلاً من الذاهب، وأصله كما في (الميداني)[3]، أن يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة ابن مسلم الباهلي وكان شحيحاً وكان أعور، قال الناس: هذا بدل أعور، فصار مثلاً، وقال بعض الشعراء أيضاً:

(1) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ص 305/3.

(2) السابق والصفحة.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 90/1.

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوحُ
حتى أتانا أبو حفص بأسرته كأنما وجهه بالخل منضوحُ[1]

وقال في (الجمهرة)[2]: هو من قول نهار بن توسعة بن أبي عتبان[3] البكري، من بكر بن وائل يهجو قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان بعد يزيد بن المهلب قال:

أقتيب قد قلنا غداة لقيتنا بدل لعمرك من يزيد أعورُ

وقال أيضاً: كانت خراسان.. إلخ ، إلا أن الشطر الأول من البيت الثاني هكذا:

فبدلت بعده قرداً نطيف به[4]

قال: فبلغ ذلك قتيبة، فطلبه، فهرب منه حتى لقي أم قتيبة، فأخذ منها كتاباً له بالرضى عنه، فترك مؤاخذته فقال نهار: لا تسكن نفسي حتى تصلني، فإني أعلم إذا اتخذت عندي يداً لم تكدرها ، وقال:

وما كان فيمن كان في الناس قبلنا ولا هو فيمن بعدنا كابن مسلم
أشد على الكفار قتلاً بسيفه فأكثر فينا مقسماً بعد مقسم[5]

فقال له قتيبة: ألست القائل:

ألا ذهب الغزو والضرب والتقى ومات الندى والجود بعد المهلَّب[6]؟

فقال: إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ، ولكنه الحشر فأمر له بصلة[7]، وأبطأت عنه مدة فلقيه فقال:

ولقد علمت وأنت تعلمه إن العطاء يشينه الحبس[8]

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 538.

(2) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 229/1.

(3) سقطت من المخطوطة .

(4) السابق والصفحة.

(5) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص 529/1.

(6) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 230/1.

(7) السابق والصفحة.

(8) السابق والصفحة .

فقال : عجلوا له بالجائزة، والمثل القديم إنما تمثل به نهار ، وقتيبة من كبار رجال الدولة المروانية ترقى فيها أولاً بانتمائه إلى الحجاج، وكان شجاعاً دمث الأخلاق ،فطناً مطلعاً على أحوال العرب وأيامهم وأقوالهم، ولم يكن يعاب بشيءٍ إلا بأنه باهلي ، وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل، وبإيعاز الحجاج قلده عبد الملك خراسان بعد يزيد بن المهلب، ولما دخلها صعد المنبر؛ فسقطت العصا من يده، فتطير الناس، فأخذها، وقال: ليس كما ساء الصديق، وسر العدو ، ولكن كما قال الشاعر:

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر[1]

ثم وثب لغزو ما وراء النهر، فجمع الجيوش وخطبهم خطبة بليغة، ثم سار ففتح ما وراء النهر جميعه، وغزا الصين وكاشغر، ثم رجع عنهم بعد أن قرر عليهم أموالاً، ومن توفقاته - رحمه الله تعالى - أنه لما أتى بيكتد[2] وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، ويقال لها مدينة التجار، استنصروا بالصغد، واستجدوا من حولهم، فأتوهم في جموعٍ كثيرةٍ، وأخذوا عليه المضايق، فلم يصل إليه رسول ولا قدر على إنقاذ رسول، وفترت المخابرة بينه وبين الحجاج شهراً، وأشفق عليه وعلى من معه، فأمر الناس بالدعاء، وكتب بذلك إلى الأمصار، وقتيبة يقاتلهم كل يوم، وله عليهم عين منهم، يقال له بندر فدفعوا إليه مالاً ليدفعه عنهم فأتاه، فقال: أخلني، فأخلا له المجلس، فقال: قد عُزل الحجاج عن العراق، وهذا عامل جديد يقدم عليك، فارجع بالناس إلى مرو ، وكان عند قتيبة ضرار الضبي، فقال لغلامه: اقتل بندر فضرب عنقه، وقال لضرار: والله لئن ظهر هذا الخبر قبل أن يقضى حربنا؛ لألحقنك به ، فإن انتشار مثل هذا الخبر يفتت في أعضاد المسلمين، ثم أصبح الناس على راياتهم، وأنكروا قتل بندر، قالوا: كان ناصحاً للمسلمين، فقال قتيبة: ظهر عندي غشه فأخذه الله بذنبه، ثم تقدم فقاتل، وأنزل الله النصر على

---

(1) القيسي: إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987م، ص 561/1.

(2) ابن حماد: رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أبو ظبي، دار السويدي، ط1، 2003م، ص133.

المسلمين ، فهزموهم ، وركبوا أكتافهم، وحلوا أكنافهم ، وفتح بيكتد عنوة، وأصاب فيها من الأموال والجواهر ما لم يصب مثله في بلد، وكان بها صنم من ذهب أذابوه فكان خمسة عشر ألف مثقال، ولما فتح سمرقند أصاب جارية من أولاد يزدجرد أرسل بها إلى الحجاج، وهو بعث بها إلى الوليد بن عبدالملك، فولدت له يزيد، ولما رآها قتيبة قال: أترى ابن هذه يكون هجيناً ، فقالت :نعم من قِبَلِ أبيه[1].

قيل: إن واحداً من المسلمين ليلة دخولهم سمرقند أسر امرأة منهم، فوطئها سبع مرات؛ فقالت: أو كلكم كذا؟ فقال: نعم، فقالت: بهذا غلبتم.

وأقام قتيبة بالمشرق والياً عليه ثلاث عشرة سنة، ثم مات ثمة مقتولاً، قتلته بطانته، حتى قال بعض الأعاجم: يا معشر العرب قتلتم قتيبة، والله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا[2]، وله أخبار تدل على علمه وعقله. وفصاحته شهيرة.

وأما المهلب فاسمه ظالم بن سراق بن صبح الأزدي العتكي البصري، أمير كبير، شهير الذكر، شجاع جواد، نشأ في دولة معاوية بن أبي سفيان، ولكنه صار من رجال ابن الزبير أيام دولته، ولما كان مصعب والياً على العراق من قبل أخيه عبدالله أمَّر المهلب على البصرة، ثم ولاه خراسان، وأسند إليه قتال الخوارج، ذلك أن الخوارج كان أميرهم عبدالله بن الماخور واستفحل أمرهم ، وكان على قتالهم أمير البصرة يومئذ الربيع بن عمر، ثم الحجاج ابن رباب، ثم حارثة بن بدر، وأتى الخوارج مدد عظيمٍ من اليمامة، فقلق أهل البصرة لذلك، ودخل الرعب قلوبهم، فبينما هم كذلك إذ ورد المهلب متوجهاً إلى خراسان بعهده عليها من عبدالله بن الزبير، فلما ورد البصرة قال الأحنف لوجوه أهل البصرة: والله ما للخوارج غير المهلب فكلموه في ذلك، فقال: هذا عهدي على خراسان ما كنت لأدع أمر أمير المؤمنين، فاتفق أهل البصرة مع الأحنف على أن يفتعلوا كتاباً على ابن الزبير

(1) الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مرجع سابق، ص 422/1.

(2) الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ص 190/5.

يأمره فيه بقتال الخوارج، فكتبوه وفيه: «أما بعد، فإن الحسن بن عبدالله كتب إلي يخبرني أن الأزارقة أصابوا جنداً من المسلمين، وأنهم قد أقبلوا نحو البصرة، وكنت قد عهدت إليك خراسان وجهتك، وقد رأيت أن تبتدئ بقتال الخوارج فإن الأجر فيه أعظم من سيرك إلى خراسان»[1].

فلما قرأ المهلب الكتاب قال: «والله ما أسير إليهم حتى تجعلوا إلي ما غلبت عليه، وتقووني من بيت المال، وأنتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت»[2] فأجابوه إلا طائفةً من بني سمع، فسار إلى الخوارج، وكان عليهم أشد من كل من قاتلهم، وبلغ ابن الزبير افتعال الكتاب، فلم يقل شيئاً وأقره، وأخذ المهلب في قتالهم بالحزم؛ لأنه رأى شدتهم عدّةً وعدداً وأبطالاً وتمسكاً في مقالتهم، وتماوتهم عندها، فبذل وسعه في أعمال الرأي والمطاولة، وأذكى العيون، وأقام الحرس، ولم يزل الجند عن مصافهم ولا الناس عن راياتهم وأخماسهم، فكلما أبرم الخوارج أمراً، وجدوه قد سبقهم إلى نقضه حتى سموه الساحر، وأخبارهم معه مستوفاة في المطولات.

وفي أثناء ذلك توارد الولاة على العراق فمنهم القُباع[3] - بضم القاف - لقب الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، لُقب بذلك لأنه الذي اتخذ المكيال المسمى بالقباع لأهل البصرة وهو مكيال ضخم؛ أو لأنهم أتوه بمكيال لهم صغير في مرأى العين أحاط بدقيق كثير، فقال: إن مكيالكم هذا القباع، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الذي كان مشتهراً بحب الثريا العبشمية من ذرية أمية الأصغر، يحكى أنها واعدته يوما. فجاءت فصادفت أخاه الحارث قد نام في مكانه، فألقت نفسها عليه فانتبه مذعوراً، وقال: أغربي فلست بالفاسق أخزاكما الله[4]، فانصرفت، وجاء عمر فأخبره، فاغتم لما فاته، وقال: أما والله لا تمسك النار أبداً، وقد ألقت نفسها عليك، فقال الحارث: عليك وعليها لعنة الله[1]، وكان عمر هذا شاعراً مجيداً في

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مرجع سابق، ص 5/615-616.

(2) السابق، ص 5/616.

(3) سبق تخريج ترجمته.

(4) ابن حجة الحموي: القصة في ثمرات الأوراق، مرجع سابق، ص 2/278.

قريش، حتى قيل: إن العرب كانت تسلم لقريش في كل شيء إلا الشعر، ولما جاء عمر سلمت لها في الشعر أيضاً، ولد عمر يوم توفي ابن الخطاب فكان يقال: أي حقٍّ رفع، وأي باطلٍ وضع، يعنونه لكثرة مجونه ومعاشرته النساء وتغزله فيهن، وأخباره شهيرة في الأغاني وغيره، وقال في حق أخيه الحارث:

أمير المؤمنين جزيت خيراً   أرحنا من قباع بني المغيرة[2]

ويروى «أمير المؤمنين أبا خبيب»، لكنه لم يوجد في شعر عمر، ونسب هذا القول أيضاً إلى أبي الأسود الدؤلي.

وتولى العراق بعده مصعب ابن الزبير وكتب إلى المهلب أن أقدم علي وَوَلِّ ابنك المغيرة ففعل، وجمع الناس وخطبهم خطبةً لطيفةً ومضى إلى المصعب فبقي عنده مدةً، وقاتل معه المختار بن عبيد الثقفي وعدة مواقع، ثم ولاه الموصل وسار هو إلى البصرة، وسأل عمن يكفيه أمر الخوارج ليفيد إلى أخيه عبدالله، وشاور الناس فأشار بعضهم بعبيد الله بن أبي بكرة وآخر بعمر ابن عبيدالله بن معمر، وقال قومٌ: ليس لهم إلا المهلب فاردده[4]، وبلغت الخوارج هذه المشورات فأداروها بينهم، فقال قطري بن الفجاءة وهو أميرهم[5]: بعد ابن الماخور أن جاءكم عبيدالله أتاكم سمح كريم مضيع لعسكره، وإن جاءكم عمر ابن عبيدالله أتاكم بطل مجرب، وإن أتاكم المهلب فهو من قد عرفتموه إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمده إذا أرسلتم، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدؤكم إلا إذا بدأتموه إلا أن يرى فرصةً فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ، والبلاء المقيم، فولى مصعب عمر بن عبيدالله فقاتلهم أياماً، ثم عُزل مصعب عن العراق، وولي حمزة ابن عبدالله بن الزبير، فردّ المهلب ثم رُد مصعب، وطالت المناجزات والحروب مع

(1) السابق والصفحة.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ص 172/1.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 346/3.

(4) أبو سعد الآبي: نثر الدر في المحاضرات، مرجع سابق، ص 151/2-152.

الخوارج، وأخيراً استشار مصعب الناس فأجمعوا على المهلب، فولاه وشخص إلى حروب عبدالملك، وبقي المهلب على قتال الخوارج إلى أن انقضى أمر الزبير، وقتل المصعب، واجتمع على أهل الشام أهل العراق على بيعة عبدالملك، فبايع المهلب الناس الذي معه لعبدالملك، وأتاه كتاب عبدالملك بولايته، ثم بعد مدة تولى العراق من قِبل عبد الملك خالد بن عبد الله بن أسيد أبي العيص وهو ابن أخي عتاب الذي ولاه النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة يوم الفتح[1]، وأراد خالد عزل المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل، وقيل له: إنما أمن أهل المصر، (يعنون البصرة) بكون المهلب بالأهواز، وعمر بن عبيدالله بفارس. وقد تنحى عمر فإن نحيت المهلب؛ لم تأمن البصرة، فأبى وعزله. فقدم المهلب البصرة وخرج خالد إلى الأهواز والتقى بهم بكربج دينار[2]، وأميرهم قطري فتحاربا ثلاثين يوماً، وكانت الهزيمة على خالد، فرجع إلى البصرة ثم تراجع الحرب؛ فولى عليها أخاه عبد العزيز في ثلاثين ألفاً فجعل عبدالعزيز يقول: يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب، فسيعلمون غداً[3]، قال صعب بن زيد: لما خرج عبدالعزيز عن الأهواز جاءني كردوس[4]، حاجب المهلب، وهو يومئذ أمير الأهواز فقال: أجب الأمير. فجئت إليه وهو في سطح وعليه ثيابٌ هروية، فقال: يا صعب، أنا ضائع كأني أنظر إلى هزيمة عبدالعزيز وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي؛ فابعث رجلاً من قبلك يأتيني سابقاً بخبرهم ، فوجهت رجلاً يقال له عمران معهم وأمرته أن يكتب لي خبرهم يومياً، وجعلت أورده إلى المهلب، وسار عبدالعزيز فلما قاربهم وهم بموضع يقال له دراب جرد[5] وقف وقفةً فقال له الناس: هذا يوم صالح، فينبغي أن تنزل أيها

(1) ابن حزم: **جوامع السيرة النبوية**، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 20.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 250/3.

(3) السابق، ص 252/3.

(4) السابق والصفحة.

(5) البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، بيروت، عالم الكتب، ط 3، 1403هـ، ص 249/2.

الأمير حتى تطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال: كلا الأمر قريب، فنزل الناس على غير أمره؛ فلم يستتم النزول؛ حتى ورد عليه طليعة منهم في خمسمائة فارس كأنهم خيط محدود فناجز بعضهم فواقفوه ساعة ثم انهزموا مكيدة، فاتبعهم فقال الناس: لا تتبعهم فإنا على غير تعبئة، فأبى وكان لهم كمين خرج عليه فانهزم شر هزيمة، وكان يوماً مشؤوماً على المسلمين، وبلغ ذلك عبدالملك فغضب على خالد وكتب إليه ما صورته: «أما بعد، فإني كنت حددت عليك حداً في أمر المهلب، فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك، فوليت المهلب الجباية، ووليت أخاك الحرب فقبح هذا رأياً تبعث غلاماً غراً لم يجرب الحرب، وتترك سيداً شجاعاً مدبراً حازماً مارس الحرب تشغله بالجباية، أما لو كافئتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري ما لا بقية لك معه، ولكني تذكرت رحمك فلفتتني عنك ، وقد جعلت عقوبتك عزلك»، وولى بشر بن مروان وكان بالكوفة وكتب إليه: «فإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم، وإن خالداً لا مجتمع له معي دون أمية، فانظر المهلب فوله حرب الأزارقة، فإنه سيدٌ بطلٌ مجرب فامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل»، فداخل بشراً ما داخل خالداً وامتنع وتعلل في توليته وراجع عبدالملك فلم يقبل منه[1]، فولاه وأمده بأهل الكوفة على ما في نفسه عليه، وجعل عبدالرحمن ابن محنف الأزدي على المدد، وخلا به وقال له: قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك، فكن عند ظني فيك، انظر هذا المزوني فخالفه وأفسد عليه رأيه فخرج من عنده يقول: ما أعجب ما طمع مني هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخاً وسيداً من ساداتهم، ولحق بالمهلب وكان معه على قتالهم حتى أبلى فيهم بلاءً حسناً، ولم ينشب أن مات بشر، فولي الحجاج فجاء حتى دخل الكوفة كما سبق ذكره، وأمد المهلب بالمدد المتوالي حتى قال المهلب قد ولي العراق رجل ذكر وكتب الحجاج إلى المهلب يقول: «إن بشراً استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك، وأنا أريك حاجتي

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 257/3.

إليك، فأرني الجد في قتال عدوك، ومن خفته على المعصية فاقتله، فإني قاتل من قبلي ومن كان ولى من هرب عنك أعلمني به، وبمكانه، فإني أرى أخذ الولي بالولي والسمي بالسمي»[1].

فأجابه: «ليس قبلي إلا مطيع، وإن الناس إذا خافوا العقوبة؛ كبر الذنب ،وإذا أمنوها صغر، وإذا أيسوا من العفو أكفرهم ذلك، فهب لي هؤلاء الذي سميتهم عصاةً فإنهم فرسانٌ أبطالٌ أرجو أن يقتل الله بهم العدو»[2]، ولما توالى عليه المدد ورأى كثرة الناس عليه قال: اليوم قوتل هذا العدو[3].

وكتب إليه الحجاج مرةً: «أما بعد فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد ابن حصين الحبطي، واخترتك من أهل عمان رجلاً من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا وإلا أشرعت إليك صدور الرماح»، فشاور الحجاج بنيه، فقالوا: إنه أمير، فلا تغضبه ،ولا تغلظ عليه الجواب[4].

فكتب ورد على كتاب الأمير: «تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبدالله بن حكيم وعباد الحبطي، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وعنائهما وبطشهما، واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري إن شراً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل، ولم تستقر في واحدة منها - يعني ثقيفاً - وزعمت أني إن لم ألقهم يوم كذا في مكان كذا أشرعت إلي صدور الرماح فلو فعلت لقلبت إليكَ ظهر المجن والسلام»[5].

أي لو كنت أريد العصاية لما باليت: لكني لا أريدها.

(1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 262/3.

(2) السابق والصفحة.

(3) السابق والصفحة.

(4) السابق، ص 263/2.

(5) السابق والصفحة.

وكتب إليه مراراً يستحثه وهو يرد رداً جميلاً، وتارة يُري الرسل محاربتهم فيذهبون ويخبرون الحجاج بما يشاهدونه من بأسهم وشدتهم.

وكتب إليه مرةً يستبطئه ويستعجزه وأنه إنما يبقيهم ليأكل بهم، فأجابه: «إن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى فإذا أمكنتني الفرصة انتهزتها وإلا توقفت. فأنا أدبر ذلك بما يصلحه، وإن أردت أن أعمل برأيك وأنا حاضر وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن خطأ فعلي فابعث من ترى، والسلام»[1].

وكتب إليه المهلب مرةً[2]: «إني أنتظر بهم إحدى ثلاث: موتٌ ذريع، أو جوعٌ مضر، أو اختلاف أهواء»، وطالت مدة حروبهم، وكان المهلب يحاربهم بنفسه وبنيه وجميع من معه، ويا صبرهم! ويقول لبنيه: لا تبدؤوهم حتى يبدؤوكم، ورأى أنه لا يتوفق لاستئصالهم ما لم تختلف أهواؤهم، فعمل على ذلك حتى كان من أسباب اختلافهم أن حداداً منهم يقال له أبزى[3] كان يعمل نصالاً مسمومة فيرمي بها المهلب وجيوشه، وأخبر بذلك فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري، وقال: اذهب فألق هذا الكتاب في العسكر واحذر على نفسك ففعل، وفي الكتاب: «أما بعد فقد وصلت نصالك إلينا، ووجهت إليك ألف درهم زدنا بها من هذه النصال[4]، فوقع الكتاب إلى قطري فدعا أبزي وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري! فقتله: فجاءه عبد ربه مولى بني قيس بن ثعلبة، فقال: قتلت رجلاً بلا حق ولا ثقة ولا تبين، فقال: قتل رجل في صلاح الناس غير منكر للإمام، وليس للرعية أن

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، ص 2/6.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 266/3.

(3) البغدادي: التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ص 243/8، 244.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 271/3.

تعترض عليه. فتنكر عليه عبد ربه، في جماعة ولكنهم ما فارقوه، وعلى إثرها دس المهلب إلى قطري رجلاً نصرانياً أن يسجد له إذا رآه فقال قطري: إنما السجود لله، فقال: إنما سجدت لك. فقال رجل منهم: قد عبدك من دون الله وتلا ﴿**إِنَّكُم وَمَا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾[1] الآية، فقال قطري: هؤلاء نصارى قد عبدوا عيسى فما ضره ، فقام رجل وقتل النصراني فأنكر عليه قطري، وقال: قتلت ذمياً[2].

ثم أرسل إليهم رجلاً سألهم فقال: أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه، فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما؟ فقال أحدهم: أما الميت فمؤمن، وأما الآخر فكافر، وقال آخرون: كافران وكثر الاختلاف ، فخرج قطري إلى حدود اصطخر والقوم في اختلاف، وبعد وقائع طويلة قتل عبد ربه وانفل جندهم وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس، وكتب المهلب إلى الحجاج بالفتح فكتب إليه بشكره ويذكر بلاءه ، ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف أحد بنيه فقدم فأجلسه معه على سريره وأظهر إكرامه وبره وقال: يا أهل العراق أنتم عبيدٌ عتقاء المهلب[3]، ثم قال أنت والله كما قال لقيط الإيادي:

وقلدوا أمركم لله دركمو ... رحب الذراع بأمر الحق مطلعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... همٌ يكاد جشاه يقصم الضلعا

حتى استمر على شرر مريرته ... مستحكم الرأي لا لحماً ولا ضرعا[4]

فقام رجل وقال : أصلح الله الأمير ، والله لكأني أسمع قطرياً يقول المهلب كما قال لقيط ، ثم أنشد هذا الشعر، فسُرَّ الحجاج حتى ظهر عليه[5].

(1) سورة الأنبياء: الآية (98).

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 271/3.

(3) السابق، ص 287/3.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مرجع سابق، ص 69/1.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 287/3.

والمهلب أول من اتخذ الرُّكب من الحديد[1] في أثناء حرب الأزارقة، وكانت قبيلاً من الخشب فأثرت في أرجل بعض الفرسان.

وسُئل ما أعجب ما رأيت في قتال الخوارج؟ فقال: رأيت رجلاً طعن بالرمح فجعل يمشي فيه، ويقول ﴿وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَى﴾[2].

وكانت مدة إقامته في حربهم تسع عشرة[3] سنة، ومات على فراشه سنة ثلاث وثمانين هجرية.

ومن أخباره: أن رجلاً قال له: أيها الأمير، ليس برأيي قتل هؤلاء الكلاب، والله لئن قتلتهم لتقعدن في بيتك، ولكن طاولهم لتأكل بهم، فقال: ليس هذا من الوفاء[4].

فائدة: المهلبية نوعٌ من الطعام يتخذ من دقيق الأرز وحليب البقر والسكر، أول ما صنعت للمهلب فنسبت إليه، كان أصابه مرض في معدته حتى كان يقذف الدم والطعام، فصنعها له طبيب يدعى كردوس من بابل فصح بها، قاله في (التذكرة)، وتقدم أن له حاجباً يقال له كردوس وهو اليوم لقب غلب على إسماعيل من ملازمي خدمة أمير مكة سابقاً سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا المرحوم الشريف عبد الله باشا وهو في الأصل من أولاد مجاوري مكة من الأتراك.

ولما مات المهلب خلفه ابنه يزيد على خراسان وكان من مشاهير الأجواد علت مناقبه وظهرت آثاره؛ فحسده الحجاج. وعمل على عزله وتولية قتيبة، ومما كتبه في حقه إلى عبد الملك أنه يميل إلى آل الزبير، فراجعه عبد الملك بأن ذلك وفاءٌ منه لهم، يدعوه إلى الوفاء لنا. فأكثر فيه الرمايات إلى أن عزل[5] ولكنه كره أن يواجهه بالعزل، فكتب إليه أن أقدم علي واستخلف أخاك، وعند قدومه سار إليها قتيبة،

---

(1) السابق، ص 269/3.

(2) سورة طه: الآية (84).

(3) في المخطوطة: تسعة عشر، وهو خطأ.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 259/3.

(5) زيادة يستقيم بها المعنى.

ولما رجع يزيد إلى العراق صار بينه وبين الحجاج منافسات يطول شرحها إلى أن أخذه وعذبه واستأصل موجوده وسجنه، فتوصل بلطف تحيله إلى أن رغب السجان واستماله وهرب إلى الشام[1]، وقصد سليمان بن عبدالملك والخليفة يومئذ أخوه الوليد، فبالغ سليمان في إكرامه ومكث عنده إلى أن كتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان ورأي أمير المؤمنين أشمل.

فكتب الوليد إلى سليمان بذلك فكتب إليه: إنما أَجَرْتُ يزيد بن المهلب وهو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديماً، ولم أُجِرْ عَدُوّاً لأمير المؤمنين، وإن الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف درهم ظلماً، وطالبه بعدها بثلاثة آلاف، وقد صار هذا الرجل إلى مستجير فأجرته وأنا أغرم عنه، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فعل منعماً[2].

فكتب إليه أن لابد من إنفاذه مقيداً مغلولاً، فأحضر سليمان ابنه أيوب فقيده وقيد يزيد وشد أحد القيدين بالآخر بسلسلة وغلهما وحملهما إلى الوليد، وقال: لقد هممت أن أكون ثالثهما، فإن هممت يا أمير المؤمنين بشيء في يزيد فبالله عليك تبتدئ بابن أخيك، فأطرق الوليد حياءً وقال: لقد أسأنا إلى سليمان، وأحضر حداداً وأزال عنهما القيد ووصل يزيد بعشرين ألفاً وكتب إلى الحجاج أن لا يتعرضه ولا يعاوده فيه[3].

روي أنه في سفره إلى العراق نزل في بعض المناهل على امرأة فأضافته، فلما نهض من عندها قال لغلامه ما معك؟ فقال :ثمانمائة دينار فقال: ادفعها إليها، فقال: ما عندك غيرها وإنها لا تعرفك، وإنك تصل العراق وأنت محتاج إلى المال والرجال! فقال: أما قولك: إنها لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، ومن أعطاناها سيعطينا غيرها[4] - أو كلاماً هذا معناه -.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ص 250/3، 251.
(2) ابن أعثم: الفتوح، مرجع سابق، ص 141/7.
(3) السابق والصفحة.
(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 115/1.

والعوض لفاء: اللفاء الحقير التافه، يقال: لفاه حقه إذا نجسه ، وهذا أيضاً تلميح إلى المثل: «**رضي من الوفاء باللفاء**»[1]، يضرب لمن رضي بالتافه الذي لا قدر له دون التام الوافي، وهذه الجمل كلها معطوفة على جملة إن الطمع.. إلخ، فهي مما ادعى أنه اعتقاده.

وقوله: ***وكل الصيد في جوف الفرا***[2]: عطف أيضاً عليه، وهذا مثلٌ يُضرب لمن يفضل على أقرانه، والفرا - بفتح الفاء - يجمع على فراء بكسرها مع المد[3]، وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً وآخر ظبياً والثالث حمار وحش وهو الفراء، فتطاول صائد الأرنب والظبي عليه فقال لهما : كل الصيد في جوف الفرا، أي أنه مشتمل على ما عندكما فإنه ليس مما يصاد ويؤكل أعظم منه، وتمثل - صلى الله عليه وسلم - بهذا المثل في تألف أبي سفيان فإنه استأذن عليه مرةً فحجبه، ثم أذن فقال له: ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهمتين أي جانبي البوادي، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «**يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا**»[4] يعني إذا حجبتك قنع كل محجوب، وأما الحمار الأهلي فغير مأكول، وكان حلالاً فحرم في غزوة خيبر[5]، وصح أنه - صلى الله عليه وسلم - أكل من حمار الوحش وهو محرم[6]، وقد صاده حلالاً في غزوة الحديبية، ووقع مثل ذلك في حجة الوداع لكنه لم يأكله؛ لأنه كان صيد له[7].

وإذا نظرت إلى أميري زادني   ضناً به نظري إلى الأمراء[8]

---

(1) سبق تخريج المثل.

(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 162/3.

(3) الهروي: **غريب الحديث**، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، حيدر آباد- الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1964م، ص 226/2.

(4) الملا قاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ص 6453/4.

(5) الإمام مسلم: صحيح مسلم، مرجع سابق، ص 1538/3.

(6) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 73/7.

(7) الإمام مالك: **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط 1، 2004م، ص 515/3.

(8) البيت لعدي بن الرقاع، انظر: الثعالبي: **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1983م، ص 68.

هذا البيت له أو تمثل به احتمال، وهو من تتمة الأسلوب قبله، أي إني إذا نظرت إليك يا أميري ورأيت ما أنت مفطورٌ عليه من الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة، ونظرت إلى من سواك من الأمراء؛ فرأيتهم عاطلين من كثيرٍ مما تحليت به من بهاء الصفات، زاد ظني بك، يعني أنه ضنين به أي لا يطرح مودته وانتسابه، وكلما نظرت إليه وإلى غيره، زاد ضنه به، ومن البديهي أن هذا البيت ليس من قبيل:

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد[1]

كما هو ظاهر ***وفي كل شجر ناد، واستمجد المرخُ والعفارُ***[2]: هذا ملتصق بالبيت ومؤيد لمعناه، وهو مثل يُضرب في تفضيل بعض الرجال على غيرهم، أي أن لكل واحدٍ منهم فضلاً ولكن ممدوحي له مزايا يفوق بها عليهم، وقال بعضهم: يضرب هذا المثل لمن ينكر الأشياء، ثم إذا رأى ما يعرف أقر به[3]، واستمجد ماضي مبني للفاعل، والمرخ والعفار مرفوع على الفاعلية ومعطوف عليه، أي استكثر أو أخذ من النار ما هو حسبهما شبهاً بمن يكثر العطاء طلباً للمجد؛ لأنهما يسرعان الورى فقد قيل: «ليس في الشجر كله أورى زناداً من المرخ، فربما كان مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله، ولم نر ذلك في بقية الأشجار» قال الأعشى:

زنادك خير زناد الملو ك خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح في ظلمة حصاء بنبع لأوريت نارا[4]

والزند الأعلى يكون من العفار، والأسفل من المرخ ، قال الكميت :

إذا المرخ لم يور تحت العفا ر وضن بقدح فلم تعقب[5]

(1) الدينوري المالكي: المجالسة وجواهر العلم، مرجع سابق، ص 125/8.

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 74/2.

(2) السابق والصفحة.

(3) ديوان الأعشى، ص 41.

(1) انظر: ديوان الكميت بن زيد، جمع وشرح وتحقيق، محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط 1، 2000م، ص619.

فما هذه البراءة ممن يتولاك؟ والميل عمن لا يميل عنك؟: استفهام إنكاري أراد به استعطافه، أي لا يحق منك أن تتبرأ مني وأنا أتولاك، أي اتخذك ولياً، ولا يحسن منك أن تميل عني وأنا لا أميل عنك، فهو ينكر عليه هذه الحالة ويحثه على خلافها بقوله: ***وهلا كان هواك فيمن هواه فيك!! ورضاك فيمن رضاه لك!!***: هلا أداة تحضيض، وهو الطلب الحثيث أي: كان ينبغي أن يكون هواك، أي ميل نفسك، فيمن هواه أي ميل نفسه فيك، وكان ينبغي أن يكون رضاك وإقبالك على من رضاه ومحبته لك، شأن الكرام، وتمثل لذلك بقوله أبي الطيب المتنبي:

يا من يعز علينا أن نفارقه وِجدانُنا كل شيءٍ بعدكم عدَمُ[1]

من قصيدة طويلة يخاطب بها سيف الدولة يعاتبه، أولها: واحر قلباه ممن قلبه شبمٌ، ومنها بعد البيت :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا عدمُ

إن كان سركمو ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكمو ألمُ[2]

ولعل ابن زيدون لمح إليهما ، وإلا فالبيت بعيدٌ عن السياق ومنها :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ[3]

ومنها :

ما لي أكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأممُ[4]

إن كان يجمعنا حب لغرته[5] **يا ليت أنا بقدر الحب نقتسمُ**[6]

أعيذك نفسي: انتقال إلى أسلوب عجيب في باب الاستعطاف يضارع قوله السابق «حاشا لك أن أعدل.. إلخ»، أي ألجئك وألجئ نفسي، وألوذ بك وبنفسي إلى الله

(1) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 333.

(2) السابق والصفحة.

(3) السابق، ص 332.

(4) السابق، ص 331.

(5) ورد الشطر الأول في المخطوطة على هذا النحو: إن كان يجمعنا في حبه، والصواب ما أثبتناه من الديوان.

(6) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 331.

تعالى ابتعاداً من حالة لا ترضي، وهي أن يكون مثلي ومثلك في كوني أقصد ذراك وأستعطف مزاياك هكذا **من أن أشيم خُلَّبًا**: الشيم النظر في السحاب هل يمطر؟ والخُلَّب[1] - بضم الخاء وتشديد اللام مفتوحةً - وفيه لمح إلى ما ينسب إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي نسبة إلى زبيد بالتصغير قبيلة من مذحج الصحابي المشهور:

لا تهني بعد إكرامك لي ... فشديد عادة منتزعه
لا يكن برقك برقاً خُلَّباً ... إن خير البرق ما الغيث معه[2]

أو استمطر جهاماً: الجهام السحاب لا مطر فيه ، أي أو أكون مثل من يطلب المطر من السحاب الذي لا ماء فيه.

أو أكدم في غير مَكْدم: مأخوذ من المثل السائر: «كدمت في غير مكدم»[3] والكدم العض والمكدم موضعه، يضرب لمن يطلب شيئاً من غير مطلبه.

وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرَّخم: لمح إلى قول أبي الطيب من قصيدة طويلة:

ولست تشكو إلى خلق فتشمتهم ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم[4]

العقبان: جمع عقاب، والرخم اسم جمع رخمة من الطيور الجوارح تأكل اللحوم من الجريح وغيره، فالجريح إذا شكى حاله عليها كأنه دلهما على نفسه، وكذلك المنكوب إذا شكى مصيبته على قرينه وحاسده كأنه فتح له باب أذيته.

ثم شرع يعلل ما حاوله من تنميق هذه الرسالة بأنواع الغرر، وشحنها بفرائد الدرر، وتفننه في أساليبها، واجتهاده في أحكام محاريبها وبأن ذلك إنما كان ليحصل على التفاته وتشرق بهجته أنوار مشكاته بقوله: **فما أبسست لك إلا لتدر**:

(1) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، (خلب).

(2) أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، مرجع سابق، ص 10/2.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 130/2، مع تغيير يسير.

(4) ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 498، وقد ورد الشطر الأول على هذا النحو: ولا تَشَكَّ إلى خلق فتشتمه.

الإبساس التلطف بالناقة لتدر، بأن يقال لها بسٌّ بسٌّ - بضم وتشديد السين - تسكيناً لها، وفي ذلك لمح إلى مثلٍ يضرب في المداراة عند طلب شيءٍ من أحد: «الإيناس قبل الإبساس»[1] وما أجدره بقوله الشاعر:

ولقد رفقت فما حظيت بطائلٍ لا ينفع الإبساس بالإيناس[2]

والبسوس الناقة لا تدر إلا على الإبساس، قيل ومنه المثل: «**أشأم من البسوس**»[3]؛ لأنه أصابها رجل من العرب بسهم في ضرعها فقتلها فقامت الحرب، والصواب: أن البسوس في المثل خالة جساس بن مرة الشيباني قاتل كليب بسبب أنه رأى ناقة لها في حماه، فرمى ضرعها فولولت، فانتقم لها، فهاجت الحرب بين بني بكر بن وائل أربعين سنة كما هو موضح في أخبار العرب، ومن الخرافات أن البسوس امرأة مشؤومة أعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابة، فقالت: اجعل لي واحدةً منها، ففعل، وقال: ما تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل نساء، فكانت، فرغبت عنه، فدعا بالثانية أن تكون كلبة، فكانت، فجاء بنوها، وقالوا ليس لنا قرار على تعيير بني إسرائيل، فدعا بالثالثة فعادت كما كانت، ولذا كانت مشؤومة أذهبت الثلاث الدعوات سدىً[4].

ولا حرّكتُ لك الحوارَ إلا لتحنّ: بمعنى الذي قبله عيناً، وإنما هو تفنن في العبارة وهو أيضاً مثل أصله: «**حرك لها حوارها تحن**»[5] والحوار، ولد الناقة مادام معها، فإذا فصل عنها فهو فصيل، قال هذا المثل سيدنا عمرو بن العاص لسيدنا معاوية حين أراد الاستنصار بأهل الشام.

ولا نبهتك إلا لأنام: مأخوذ من قول الشاعر:

---

(1) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 169/1.

(2) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، مرجع سابق، ص 348.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 348/1.

(4) جواد علي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 144/11، 145.

(5) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 191/1.

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثُمَّ نم
فتىً لا ينام على غِرَّةٍ ولا يشرب الماء إلا بِدَم[1]

وفي ذكري[2] أنه في حق سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولم أتثبته وليس مثلاً.

ولا سريتُ لك إلا لأحمد السرى لديك: هذا من المثل الشهير: «**عند الصباح يحمد القوم السرى**»[3]، وأصله أن الركب قد يمدون، أي يتابعون السير ليلاً فيجهدون فيذمون ذلك المسرى، ولكن إذا أتوا المنهل بكرة حمدوه؛ لأنهم حينئذٍ يعرفون أنهم لو لم يحثوا السير ليلاً؛ لتأخروا عن المنهل فلم يأتوه إلا وقد استحر النهار، ومن أحسن ما رأيته في التمثيل بهذا المثل قول البوصيري[4] في الهمزية:

حمد المدلجون غب سراهم وكفى من تخلف الإبطاء[5]

قال الميداني[6]: أول من قاله سيدنا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لما بعث إليه أبو بكر - رضي الله عنه - وهو باليمامة، أن سر إلى العراق، فأراد سلوك المفازة، فقال له رافع الطائي: قد سلكتها في الجاهلية، [وهي][7] خِمس للإبل الواردة، ولا أظنك تقدر إلا أن تحمل الماء، فاشترى مائة شارق، فعطشها، ثم سقاها حتى رويت، ثم كتبها - أي خط فرجها - وكمم أفواهها، ثم سلك المفازة حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل، وخشي أن يذهب ما في بطون الإبل، نحرها واستخرج ما في بطنها من الماء، فسقى الناس والخيل ومضى، فلما كانت الليلة الرابعة قال رافع: انظروا هل ترون سِدَراً عظاماً فإن رأيتموها

(1) أبو الحسن البصري: الحماسة البصرية، مرجع سابق، ص 180/1، وفيه دمنة مكان غرة.
(2) أي في اعتقادي.
(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 3/2.
(4) في المخطوطة: الأبوصيري، والصواب ما ذكرته.
(5) انظر: ديوان البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد، شرحه وقدم له الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م، ص 30.
(6) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 3/2.
(7) سقطت من المخطوطة.

وإلا فهو الهلاك، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس، ثم هجموا على الماء فقال خالد:

لله در رافع أنى اهتدى فوز من قراقر إلى سوى

خمساً إذا سرى به الجيش بكى ما سارها من قبله أنس يرى

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى [1]

وأنا أستغرب مثل هذه القصة ، فإن القِرَب موجودة في زمانهم وحمل الماء فيها على الإبل أقرب مما ذكر ، وأقل مؤنةً وأغنى عما في بطون الحيوان، والله أعلم.

وفي (الجمهرة) أن هذا المثل جاء في شعر للجميح يقول فيه[2]:

تسألني عن بعلها أي فتى خبٍ جبانٍ وإذا جاع بكى

لا خطب القوم ولا القوم سقى ولا ركاب القوم إن ضاعت بغى

ولا يوازي فرضه إذا اصطلى ويأكل التمر ولا يلقي النوى

كأنه غرارة ملأى خثى لما رأى الرمل وفئران الغضى

بكى وقال: هل ترون ما أرى أليس للسير الطويل مقتضى

قلت: أغر صاحبي ألا بلا عند الصباح يحمد القوم السرى

وتنقضي عنهم غيابات الكرى وإنك إن سنيت عقد أمر تيسرا

في (القاموس)[3]: سناه تسنية سهلّه وفتحه، قال شارحه وهو مجاز وأنشد الجوهري[4]:

واعلم علماً ليس بالظن إنه إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

وفي (المحكم)[5]: سنيت الشيء والأمر إذا فتحت وجهه، وأنشد البيت، انتهى، وكأن بشاراً أخذه فقال:

---

(1) السابق والصفحة.

(2) أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 42/2.

(3) مجد الدين الفيروزبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (سني).

(4) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مرجع سابق، (سنا).

(5) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، (غور).

فبالله ثق إن عز ما نبتغي وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا[1]

وكثيراً ما يقال: كيف يتسنى لك هذا الأمر؟ فهو منه.

يقول يريد ابن زيدون: إني لم أكلفك أمراً عظيماً عسراً بل أمري بيدك إن سهلته تيسر[2].

ومتى أعذرتَ في فك أسري لم يتعذر: أعذر يستعمل لمعانٍ مستوفاة في كتب اللغة ومنها (القاموس) وشرحه[3]، وأحسن ما يمكن إراداته هنا: أعذر: أبدى عذراً وبالغ في طلب عذره فالمراد هنا: إذا أردتَ إبداء عذر لفك أسري على فرض أن أحداً يلومك عليه لا يتعذر عليك فهذه الفقرة قريبة المعنى لما قبلها.

وعلمك محيط: أي لا أدعي أني أعرفك شيئاً أنت جاهل به، فمعلوماتك واسعة، وعلمك شامل ***بأن المعروف***، أي إسداء المعروف والبر إلى الغير، ***ثمرة النعمة*** التي أنعم الله بها على الإنسان، فينبغي لك أن تراعي ذلك بأن تعمل بمقتضى نعم الله عليك.

والزكاة شفاعة المروءة هذا على القلب أي ***الشفاعة زكاة المروءة***: والشفاعة تفسر بأشياء أحسنها هنا التجاوز عن ذنوب الجاني، أي مما ينبغي لمن أعطاه الله المروءة وحلاه برونقها أن يجعل زكاتها الشفاعة فيبذلها لمن يستحقها ، والمروءة كمال المرء أي كونه جامعاً لأوصاف بني جنسه الجميلة، كما أن الرجولية كمال الرجل والإنسانية كمال الإنسان.

وفضل الجاه يعود به صدقة: الجاه القدر والمنزلة عند السلطان والناس، مقلوب عن وجه أخرت الواو إلى موضع العين وكان سبيله جوه، بفتح الجيم وسكون الواو

---

(1) البيت لبشار بن برد في: الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، مرجع سابق، ص 355.

(2) لم يورد اللبني قول ابن زيدون في الرسالة: **بعد اليقين من أنك سَنَّيت عقد أمري تيسرَ**، وبادر إلى شرح العبارة مباشرة.

(3) مجد الدين الفيروزبادي: القاموس المحيط، مرجع سابق، (عذر).

إلا أنها تحركت لما ضعفت بما لحقها من القلب وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ويقال لصاحب الجاه: متوجه[1] لا متجوه فإنه متكلف الجاه وليس به، وقد يستعمل الوجه بمعنى الجاه. ففي حديث: «كان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة - رضي الله عنها -» أي جاه وحرمة[2]، وفضل هنا مبتدأ، والجاه مضاف إليه، وجملة يعود به صفة أو حال على ما تقدم مثله، وصدقة خبر أي إذا تفضل الإنسان بشيء من جاهه على غيره فعاد منه عليه نفعه فكأنه تصدق بشيءٍ من ماله وأكد ذلك بقوله:

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنها من ماله[3]

بل صنيعة الجاه أكبر من صنيعة المال لا شك في ذلك ولا ريب عند العظماء وأهل الشمم من الرجال، فقد رأينا كثيراً من الأجواد إذا التجى إليهم عائذ وقدروا على تخليصه وإنقاذه من ورطته ببذل المال فعلوا ولا يبذلون من جاههم شيئاً ما أمكنهم افتداؤه بالمال ويرون أنه من إراقة ماء الوجه بالسؤال.

ثم أخذ يختم كلامه ببيان أنه سيتوب عن تلك الزلة، على فرض وقوعها، وأنها زلة، وأنه سيبقى متمسكاً بأذيال سيده ساعياً بجده في كل ما يرضيه وأنه سيتخلق بآدابه، ويتلفع بجلبابه كما سيتضح من عبارته: ***لعلي ألقى العصا بذراك، وتستقر بي النوى في ظلك***، الذَّرا بفتح الذال: الكن، أي مكان الإنسان الذي يستكن فيه، قال الحريري:

ما عندنا لطارق إذا عرى ... إلا المبيت والمناخ في الذرا[4]

وقال الأصمعي[5]: الذرا كل ما استترت به، يقال: أنا في ظل فلان وفي ذراه، أي في كنفه وستره ودفئه، وقال أبو زيد: «إن فلاناً لكريم الذرا، أي الطبيعة». أما

(1) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ص 159/5.

(2) أبو الفرج بن الجوزي: غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1985م، ص 455/2.

(3) ديوان أبي تمام، مرجع سابق، ص 240.

(4) أبو محمد القاسم بن علي الحريري: مقامات الحريري، مرجع سابق، ص 47.

(5) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، (ذرا).

الذُرا (بضم الذال) فجمع ذروة بضمها وكسرها والفتح شاذ[1]، وهي من كل شيءٍ علوه وفي الحديث: «**أتى بإبل غر الذراري بيض الأسنمة**»[2] وفي آخر: «**على ذروة كل بعير شيطان**»[3].

ترجى ابن زيدون بما حاوله واجتهد فيه من تنميق هذه الرسالة أن يعطف عليه سيده، ويشمله بأنظاره؛ فيكون في كنف رأفته مستقراً بعد مكابدة مشقته في ظل عدالته، وليست هذه الفقرة حلاً، لقول الشاعر:

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر[4]

كما زُعم، بل هو استعانة بألفاظه كما يعلم من تفسيرهم الحل وضده العقد في علم البديع.

واستأنف التأدب بأدبك: يقال استأنف وائتنف استفعال وافتعال أي ابتدأ يقول: ولعلي أترك جميع ما أنا عليه وأتوب عن كل معصية وأبتدئ تأدباً يوافقك أغراضك. فهو داخل في حيز لعل.

وكذا قوله: ***والاحتمال على مذهبك***، أي وأحمل نفسي على التمذهب بمذهبك فلا أخالفك في شيءٍ ما.

فلا أوجد للحاسد مجال لحظة: هذه الفاء سببية واقعة في جواب ذلك الترجي، أي إذا فعلت ذلك لا يجد الحاسد في الإيقاع بي عندك مكاناً يجول فيه بمقدار لحظة من زمنٍ، وفيه إيماء إلى أن جميع ما وقع عليه من الحبس إنما نشأ عن إلقاء الحساد، وهو ما ادعاه في غضون هذه الرسالة.

(1) الرازي: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط 5، 1999م، (ذرا).
(2) أبو عوانة: **مستخرج أبي عوانة**، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 1998م، ص 32/4.
(3) أبو شيبة: **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 1409م، ص 91/6.
(4) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، مرجع سابق، ص 283/2.

ولا أدع للقادح مساغ لفظة: أي ولا أترك لمن يريد أن يقدح في ما يسوغ له لفظة واحدة.

والله مُيسِّرك من إطلابي بهذه الطلبة وأشكائي من هذه الشكوى: هذه الجملة خبرية لفظاً، إنشائية معنىً، فهي دعاء وطلب من الله تعالى أن ييسره له، ويسخره بأن يخلق فيه الأسباب التي تجعله يسعفه بمطلبه ويزيل شكايته من هذه النازلة.

بصنيعة تصيب بها مكان المصنع وتستودعها أحفظ مستودع: الباء متعلقة بميسر أو بإطلابي ، وهذا لمح إلى قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع[1]

فوائد فرائد: أنشد هذا البيت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال: هذا رجل يريد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً فإن أصاب موضعه فهو الذي تريد، وإلا كنت أحق به[2]، كان - رضي الله عنه - من الأجواد، قال له الحسن والحسين - رضي الله عنهما - يوماً: أسرفت في بذل الأموال! قال: بأبي أنتما وأمي، إن الله عودني أن يفضل عليَّ، وعودته أن أفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عادته[3]. ولد - رضي الله عنه - بالحبشة وأبوه وأمه أسماء بنت عميس مهاجران بها، وقدم أبواه من الحبشة يوم فتح خيبر، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «**بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**»[4] وقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - مرة: «**أشبهت خَلْقي وخُلقي**»[5]، فرقص طرباً أو كما ورد، وهذا ما أخذه الصوفية أصلاً في تواجدهم، ومات سيدنا جعفر في غزوة مؤتة شهيداً. وكان

---

(1) البيت لعبد الله بن جعفر في: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 115/1.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص 115/1.

(3) السابق والصفحة.

(4) أبو شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مرجع سابق، ص 381/6.

(5) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 184/3.

أميرها بعد زيد بن حارثة، ولما استشهد أخذ الراية عبدالله بن رواحة فاستشهد أيضاً ، فأخذها خالد بن الوليد، فكان الفتح على يده، وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك يوم الوقعة فكان من معجزاته، وبعد ثلاثة أيام من مؤتة أتى أهله وقال: لا تبكوا أخي بعد اليوم ائتوني بأبناء أخي وكانوا ثلاثة، فجيء بهم، فدعا الحلاق وحلقهم ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبدالله فشبيه خَلقي وخُلقي، ثم دعا لهم[1]، قال عبدالله ودعا لي وقال: اللهم بارك له في صفقة يمينه، فما بعت شيئاً ولا اشتريته إلا بورك لي فيه، وروي أنهم بقوا عنده يدورون معه بيوت نسائه ثلاثة أيام، ثم رجعوا إلى بيتهم، وتزوج الصديق أسماء بنت عميس فولدت له ابنه محمداً، وبعد الصديق تزوجها علي، وسمي جعفر بالطيار لما روي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوماً لعبدالله بن جعفر: «**هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء**»[2]، وروي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «**دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة له جناحان عوضه الله من يديه**»[3] - أي لأنه قطعت يداه في هذه الغزوة، ثم استشهد وهو ضام اللواء إلى صدره -، وكان عمره يومئذٍ ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان أسن من علي بعشر سنين، واختلف العلماء في الجناحين فرجح بعضهم أن المراد الحقيقة[4]، وأيد بما ورد في بعض الروايات من وصفهما بأنهما من ياقوت، وفي أخرى من كونهما مضمخين بالدم[5]، وقيل هما عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيهما، يقتدر بهما على الطيران، والأكثر على هذا؛ لأن الصورة الآدمية أشرف من صور سائر الحيوانات[6]، ولا يمنع من هذا التأويل ما ورد في الروايات المذكورة كما هو ظاهر.

---

(1) أبو شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مرجع سابق، ص 414/7.

(2) الطبراني: المعجم الكبير، مرجع سابق، ص 77/13.

(3) الطبراني: المعجم الأوسط، مرجع سابق، ص 86/7.

(4) العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 76/7، 77.

(5) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، ص 228/3.

(6) الحلبي: السيرة الحلبية، مرجع سابق، ص 100/3.

وكان سيدنا عبدالله بن جعفر هذا مع عمه سيدنا علي، كأحد أولاده، إلى أن استشهد. حتى إنه كان في شهر رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبدالله بن جعفر إلى أن كانت الليلة التي استشهد فيها، ثم كان له عند معاوية وسائر بني أمية كلمة نافذة وحرمة وجاه، ومن ذريته عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر المشهور بالهاشمي[1]، كان من أجواد بني هاشم وفصحائهم لكنه كان متهماً بالزندقة في الدين؛ لأنه صحب قوماً عُرفوا بذلك، ومنهم البقلي الذي قال: إن الإنسان كالبقلة إذا مات لا يرجع[2].

وترقى عبدالله هذا حتى اشتهر ذكره في آخر دولة بني مروان. فخرج عليهم، ودعا الناس لنفسه، وقيل للبيعة للرضا من آل محمد، وأظهر سيما الخير. وتعذر منه أغلب أهل الكوفة، فخرج إلى فارس ونواحي الشرق وجمع جموعاً خرج بهم وغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والري وقم وأصفهان، وكتب إلى الأمصار بذلك فقصدته بنو هاشم ،ومنهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي ووجوه قريش حتى من بني أمية فمن أراد عملاً ولاه ومن أراد صلة وصله، وكان سمح الكف كريم الأخلاق، ثم وجه إليه بنو مروان جيشاً كثيفاً فلما قرب منه وتثاقل عنه أصحابه، خرج دهشاً مع إخوته إلى خراسان وقد ظهر فيها أبو مسلم وطمع في نصرته فأخذه وحبسه عنده، وجعل عليه عيناً. فبلغه أنه يقول: ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه في شيء، والله ما رضيت الملائكة من ربها حتى قالت: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾[3]، فشدد عليه أبو مسلم ، وقال : أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس في أيدينا فكيف لو خرج وملكنا؟ ثم دبر في قتله ودس عليه سماً فمات، ووجه رأسه إلى مروان.

(1) شمس الدين الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1993م، ص 17/8.

(2) أبو الفرج الأصبهاني: **مقاتل الطالبيين**، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت، دار المعرفة، ص 153.

(3) سورة البقرة: الآية (30).

ومن أخبار ابن جعفر أنه خرج يوماً مع إخوان له عشية من عشايا الربيع، فأمطرت السماء مطراً أسال كل شيءٍ فقال لأصحابه: هل لكم في العقيق؟ وهو متنزه أهل المدينة في الأمطار، فأتوه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد فبينما هم على ذلك إذ جادت السماء وليس لهم جُنَّةٌ، فقال عبدالله: هل لكم في منزل طويس وهو قريبٌ منهم نسكن فيه ونستجن، ويحدثنا طويس ويضحكنا، وطويس في النظارة يسمع. فقال عبدالرحمن بن حسان: جعلت فداك! وما تريد من منزل طويس؟ عليه غضب الله، مخنثٌ شانٍ لمن عرفه؟ فقال عبدالله: لا تقل ذاك إنه خفيف الروح ولنا فيه أنس، واستوفى طويس الكلام كله فتعجل إلى زوجته وقال: جاءك سيد الناس عبدالله بن جعفر فما عندك؟، قالت: نذبح هذه العناق وكانت ربتها باللبن واختبزت رقاقاً فبادر ذبحها وعجنت وخرج وتلقاه مقبلاً وقال: ياسيدي هذا المطر هل لك في المنزل تستجن فيه إلى أن يكف؟، قال: ذاك أريد، قال: فامض على بركة الله فنزلوا وتحدثوا إلى أن أدرك الطعام، فاستأذنه وأتى به، فأكلوا وأعجبهم. ثم قال: ألا أغنيك يا سيدي؟ وكان طويس أول من غنى على الدف بالمدينة، فقال: بلى، فأخذ الدف وغنى[1]:

يا خليلي يا بني سهدي	لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل	أنس تلتذه كبدي[2]

فطرب القوم، وقالوا: أحسنت والله. فقال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا، قال: لرفاعة بنت حسان تعشق عبدالرحمن بن الحارث المخزومي وتقول فيه، فسكت القوم. وضرب عبدالرحمن برأسه فلو ثقبت له الأرض لذهب فيها، وعلم عبد الله أنه اقتضى منه[3].

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، مرجع سابق، ص 21/7.
(2) السابق والصفحة.
(3) السابق والصفحة.

وطويس هذا هو عيسى بن عبدالله مولى لبني مخزوم ويُكنى أبا نعيم، كان مخنثاً ماجناً ظريفاً، ويضرب به المثل في الشؤم؛ لأنه ولد يوم مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفُطِمَ يوم مات أبو بكر - رضي الله عنه -، وختن يوم مات عمر - رضي الله عنه -، وزوج يوم مات عثمان - رضي الله عنه -، وكانت أمه تمشي بالنميمة بين نساء الأنصار، وكان يظهر ذلك للناس غير محتشم، وهو أحد المخنثين الذين كانوا بالمدينة في عهدٍ واحدٍ، وهم: طويس، ودلال، ونسيم السحر، ونومة الضحى، وبرد الفؤاد، وظل الشجر[1]، وكان قبلهم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة وهم: هيت، وهرم، ومانع، وكانوا يدخلون على النساء ولا يحجبون[2]، فكان هيت يدخل على أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودخل يوماً دار أم سلمة ورسول الله عندها وعندها أخوها عبدالله بن أمية، فأقبل عليه وقال: إن فتح الله عليكم الطائف فسل أن تنفل بادية بنت غيلان فإنها مُبتَّلة هيفاء، شموع نجلاء، تناصف وجهها قسامة، وتجزأ معتدلاً في الوسامة، إن قامت تثنت، وإن قعدت تبنت، وإن تكلمت تغنت، أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإن أدبرت أدبرت بثمان، مع ثغرٍ كالأقحوان، وشيءٍ بين فخذيها كالقعب المكفأ، كما قال قيس بن الخطيم:

تفترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف

بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولا قضف[3]

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «**مالك سباك الله، ما كنت أظنك من أولي الإربة**»[4]، ثم نفاه إلى خاخ.

ويُحكى أن سليمان بن عبدالملك كان مفرط الغيرة، وكانت له جارية حضرته ليلة قمراء في حلي ومعصفر ، فسمعت سمير الأبلي يغني هذه الأبيات:

(1) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 251/1.

(2) السابق، ص 249/1.

(3) أبي عبيد البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، مرجع سابق، ص 422/1.

(4) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص 246/1، ولم أجد الحديث فيما لدي من مصادر.

وغـادة سـمعتْ صـوتـي فـأرقـهـا ... مـن آخـر الـلـيـل لمـا مـلـهـا الـسـهـر
تدنى على فخذيها من معصفره ... والحلـي دان عـلـى لـبـانـهـا خـضـر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق ... فـدمـعـهـا بـأعـالـي الخـد يـنـحـدر
في ليلة البـدر مـا يـدري معاينها ... أوجـهـهـا عـنـده أبـهـى أم الـقـمـر!
لـو خليت لمشـت نـحـوي عـلـى قـدم ... تكاد من رقة للشمس تنفطر[1]

فلما استوعب سليمان الشعر ظَنه في جاريته فدعا سميراً وأحضر حجاماً ليخصيه، فدخل عمر بن عبدالعزيز كلمه فيه، فقال: اسكت إن الفرس يصهل فتستودق الحِجر، وإن الفحل يخطر فتضبع الناقة، وإن التيس ينب فتستحرم العنز، وإن الرجل يغني فتشبق المرأة ، ثم خصاه ودعا بكاتبه وأمره أن يكتب إلى عامله بالمدينة ابن خرم الأنصاري أن أحص لي المخنثين بالمدينة، فوقعت نقطة على ذروة الحاء، صيرتها خاء، فورد عليه الكتاب فناوله كاتبه فقرأه: أخص المخنثين ، فقال لعله: أحص بالحاء، فقال عليها نقطة مثل تمرة، ويروى مثل سهيل، فجمعهم وخصاهم فقال كل واحد منهم كلمة، سارت عنه مثلاً[2]، قال طويس: ما هذا إلا ختان ثانٍ أعيد علينا[3]، وقال دلال: بل هو الختان الأكبر[4]، وقال نسيم السحر: بهذا الخِصاء صرت مخنثاً حقاً[5]، وقال نومة الضحى: بل صرنا نساءً حقاً[6]، وقال برد الفؤاد: استرحنا من حمل ميزاب البول[7]، وقال ظل الشجر: ما نصنع بسلاح لا يعمل[8]، ومر الخاصي لهم بابن أبي عتيق فقال: أنت الخاصي دلالا ؟ أما والله إن كان ليجيد:

لمـن طـلـل بـذات الجز ... ع أمسى دارساً خلقا[9]

(1) السابق ، ص 437/1.
(2) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 251/1.
(3) السابق والصفحة.
(4) السابق والصفحة.
(5) السابق والصفحة.
(6) السابق والصفحة.
(7) السابق والصفحة.
(8) السابق والصفحة.
(9) السابق والصفحة.

حزن عليه أن نالته هذه المصيبة لكونه كان يحسن الغناء بهذا البيت ،ومضى الخاصي فناداه ابن عتيق أن ارجع، فرجع، فقال: «إنما عنيت خفيفه» أشفق أن يكون الخاصي فهم أنه يحسن الغناء بالبيت المذكور بضربيه فيكون قد أساء في تفهيمه، فقيّده بخفيفه.

وابن أبي عتيق هذا هو عبدالله بن أبي عتيق بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، كان فيه مجون (رحمه الله)، يروى أنه بلغه قول عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة:

فأتتها طبة عارفة ... تمزج الجد مراراً باللعب

تغلظ القول إذا لانت لها ... وتراخى عند سورات الغضب[1]

فقال له: من للناس بخليفة مثل قوادتك هذه بعد عثمان ، وكان ذكر له زينب بنت موسى الجمحية ، فأطنب فيها فشبب فيها عمر بقصيدته التي مطلعها:

يا خليلي من ملامٍ دعاني ... وألما الغداة بالإظعان[2]

وبلغه، فلامه على ذكرها فقال :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... إن عندي عتيق ما قد كفاني

لا تلمني فأنت زَيَّنتَها لي[3]

فبدره ابن أبي عتيق فقال : أنت مثل الشيطان للإنسان، فقال عمر : والله هكذا قلت، فقال : أما علمت أن شيطانك ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانك كما يجد عندك من طاعته[4].

وكان للحسن بن علي بغلة فارهة ، وكان أمير المدينة مروان بن الحكم يتمناها لنفسه فذكر ذلك لابن أبي عتيق فقال : إذا كان الليل وسمر عندك الوجهاء، فسلني

---

(1) انظر: **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فايز محمد ، بيروت، دار الكتاب العربي، 1996م، ص 47، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة، مرجع سابق، ص 377.

(3) السابق، ص 378.

(4) الخزرجي: **بدائع البدائه**، القاهرة، 1861م، ص 35.

أن أذكر شيئاً من مناقب المهاجرين والأنصار، فحضروا وفيهم الحسن وذكر ابن أبي عتيق الناس وأعطى كلاً حقه، ولم يتعرض للحسن ، ولا لأبي الحسن، فقال مروان: مالك نسيت أبا محمد؟ يعني الحسن، فقال: إنما ذكرت سائر الناس أما الأنبياء فلم أتعرض لهم الآن ، ثم خرج الناس واستصحب الحسن ابن أبي عتيق ووهبه البغلة ، فأخذها وأتى بها مروان ، فاشتراها منه بمبلغٍ وافر.

حسبما أنت خليق له، وأنت منك حري به: أي ما تفعله من الصنيعة والمعروف هو كما أنت خليق، أي حقيق وجدير أو مخلوق ومفطور عليه ، وكما أنا حري جدير به منك؛ لأني من محبيك المخلصين في ولائك ، وهذا كقول عوام بلادنا «أنت تحرز وأنا أستاهل» إذا قال إنسان لمن يعده ويمنيه سأكرمك وأفعل بك كذا وكذا، من صنوف البر أي أنت تحفظ ما تقوله ولا تنساه وأنا أهل لأن تفعل معي المعروف، لأني محل الصنيعة.

وذلك - أي تيسيره إياك - ***بيده*** - سبحانه وتعالى - ***وهين عليه - عز وجل*** - وفي هذا من حسن المطلب بل من لطف المقطع ما هو غني عن البيان.

ثم إنه شفع نثره بنظم القصيدة الآتية فأراد أن يجعل لها ديباجة يدخل إليها منه إليه فقدر وفرض أن نثره ونظمه تباريا وتسابقا في إعطاف سيده، وحاول كلٌ منهما أن يكون هو الذي له السبق في هذا المطلب العزيز فقال: ***ولما توالت غرر هذا النظم واتسقت درره***: لفظ النظم لم يرد به معناه المصطلح عليه بل مطلق الكلام المنتظم المؤلف بعضه إلى بعض ، فيصدق على النثر الذي هو المراد، والغرر جمع غرة بضم الغين المعجمة البياض في جبهة الفرس ، ويُراد بها أول كل شيءٍ وأحسنه، وإضافتها إلى النظم من إضافة المشبه به للمشبه ، واتسق بمعنى انتظم، مجازاً كما في شرح (القاموس) وقوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[1] واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه، وأصله اوتسق، افتعال من وَسَق يسق وسقاً ، ووسوقاً ضم وجمع وحمل،

(1) سورة الانشقاق: الآية (18).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيلِ وَمَا وَسَق﴾[1] أي وما جمع من الجاد والجبال والأشجار، كأنه جمعها وشملها لما طلع عليها كلها وجللها ، وقول ضابئ البرجمي:

فـإني وإيـاكـم وشـوقـاً إليـكـم كقابض مـاء لم تَسِقه أنامله[2]

أي لم تحمله ولم تجمعه أنامله ، ووسق أيضاً بمعنى طرد ، والوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس.

فهز عِطف غُلوائه: العِطف بكسر العين الجانب، وعطفا الرجل جانباه من رأسه إلى وركيه، والغُلواء بضم الغين المعجمة وفتح اللام، وتسكن أول الشباب، شبه رسالته بشباب يهز عطفيه تيهاً، على طريق الاستعارة المكنية، يقال هو ينظر في عطفيه أي معجب بنفسه، وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطفِهِ﴾[3] أي رخي البال أو لاوى عنقه، يوصف بذلك المتكبر.

وجر ذيل خيلائه: بمعناه، والخيلاء بضم ففتح: الكبر ناشئاً عن تخيل وظن فضيلة في النفس، ولما كان المتكبر يطيل ذيل ثيابه غالباً ناسب أن يُستعار جر الذيل لإظهارها.

عارضه النظم مباهياً: جوابٌ لما، والنظم هنا بالمعنى المصطلح عليه، والكلام الموزون بأوزان البحور المعلومة عند العروضيين، والمباهاة المفاخرة، ومنه حديث: «**فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»[4] وحديث: «**عرفة تباهي بهم الملائكة**»[5].

بل كايده مداهياً: أي خدعه مظهراً فطنته وتيقظه، ولا يخفى ما في الكلام من الاستعارة التمثيلية حيث شبه مباراة نظمه ونثره ومجيء أحدهما عقب الآخر بهذه

(1) سورة الانشقاق: الآية (17).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (وسق).

(3) سورة الحج: الآية (9).

(4) البسام: **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الإمارات، مكتبة الصحابة، القاهرة، مكتبة التابعين، ط 10، 1426هـ - 2006م، ص 563/1.

(5) مسند أحمد، مرجع سابق، ص 563/1.

الصورة المخصوصة بشخصين يعارض أحدهما الآخر ويباريه ويسابقه إلى أمرٍ مرغوبٍ فيه، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وغير خافٍ أيضاً أن هذه أمور ادعائية ومحسنات كلامية، فلا يتقعر فيها بأكثر من ذلك، فافهم.

حين أشفق: الظرف متعلق بعارض، أي أشفق النظم وخاف ***من أن يعطفك استعطافه***، أي من أن يفوق فيفوز النثر بالقدح المعلى فيعطفك ما اشتمل عليه من الاستعطاف الرائق واللفظ الفائق.

وهذا هو معنى قوله: ***وتميل بنفسك ألطافه***، الباء للتعدية والألطاف جمع لطف فاعل تميل.

فاستحسن: بصيغة الأمر يقول لسيده: فعُدَّ هذه ***العائدة منه*** حسنة بأن تنظر إليها بعين الرضا، ومراده القصيدة الآتية، وسماها عائدة؛ لأنها عادت مرةً بعد أخرى، نظراً لما له من المدائح المشار إليها بقوله سابقاً: ألست الموالي فيك غر قصائد؟ ***واعتد بالفائدة له***، أي وأحضر له فائدتها أي جائزتها وهي عفوك وصفحك عنه.

ومازال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل: التفات من التكلم إلى الغيبة، والأصل ومازلت أستكد والسين والتاء للطلب، والذهن مفعوله أي ومازلت أطلب الكد والاجتهاد من الذهن العليل، وهذا منه إشعار بما لحقه من فهم الحادثة التي نزلت به من اعتلال ذهنه، وكلال أي تعب خاطره، دفع بذلك ما يمكن أن يسبق إلى الفهم من الكلام السابق من أنه في راحة بال، وتنعم أفكار، حيث ادعى مباهاة نظمه ونثره وتعارضهما.

حتى زف إليك عروساً مجلوة في أثوابها: جرت عادة الأدباء أن يستعيروا لفظ عروس للقصائد، فهي هي، وزف ترشيح وهو باق على معناه أو مستعار لما يلائم المستعار له وهو هنا تقديمها للممدوح، وكذا مجلوة فيستعار بالمناسبة لتهذيب القصيدة يقال: جلت الماشطة العروس وزينتها، ومجلوة اسم مفعول منه، وفي

أثوابها متعلق بمحذوف صفة لعروس لا متعلق بمجلوة إلا بتضمينه معنى آخر أو بجعل (في) بمعنى الباء ولا داعي له.

منصوصةً بحليها وملابها: الماشطة تنص العروس تقعدها على المنصة، وهي بكسر الميم ما ترفع عليه كسرير وكرسي لترى من بين النساء، مأخوذ من نص الشيء أظهره[1]، والحلي معلوم أنه ما تُحلى به العروس وتزين به، والملاب ضرب من الطيب كالخلوق أو هو الزعفران ، قال جرير يهجو بني نمير:

ولو وطئت نساء بني نمير على تبراك أخبثن[2] الترابا
تَطَلّ وهي سيئة المُعَرَّى بصنّ الوبر تحسبه ملابا[3]

ويقال لوبه خلطه بالملاب أو لطمه به.

وهذا أوان الشروع في القصيدة، وحل ألفاظها بقدر اللزوم ، وإيراد كل بيت أو بيتين أو أكثر معاً على حسب ما يناسب الحال:

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النعيم[4]

اشتمل هذا البيت على حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، فإنه مشعر بأنه يمدح ويستعطف من هواه فيه وحبه له ومناه عنده، والهوى مقصوراً العشقُ يكون في الخير والشر، وقيل يخص بالثاني حتى يقترن بما يخرجه، ويطلق على إرادة النفس ، ويجمع على أهواء، والمنى جمع منية بضم الميم وكسرها اسم من التمني كالأمنية التي تجمع على أماني ، قال الراغب :الأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء[5]:

سرنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديمِ[6]

(1) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مرجع سابق، (نصص).

(2) في المخطوطة : أخثن ، وهو خطأ.

(3) انظر: **ديوان جرير** ، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م، ص 62، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ.

(4) انظر: **ديوان ابن زيدون**، شرح: يوسف فرحات، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1994م ، ص 280.

(5) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص 780.

(6) انظر: ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 280.

أي كنا مسرورين بالعيش الرقيقة حواشيه، أي أطرافه الذي شملت الرقة أطرافه، وهو كناية عن كونه كله رغداً، لو للتمني على قلة، إذ الكثير أن تكون بعد فعل وَدَّ كـ ﴿وَدُّوا لَو تُدهِنُ..﴾[1] الآية، أي يا ليته يدوم لمن يطلب دوامه، أو شرطية وجوابه مدلول عليه بما قبله أي لسرنا، واستعمال الرقة في رغد العيش ضربٌ من المجاز، وفي الأصل الرقيق ضد الغليظ والثخين.

وطر ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه بالذميم[2]

أي ذلك العيش كان وطراً، أي حاجة في النفس استغرق زمناً عظيماً ما كان ذميماً ، فما انقضى ذلك الوطر حتى تقضى ذلك الزمن.

إذ ختام الرضا المسوغ مسك ومزاج الوصال من تسنيم[3]

إذ تعليلية أو ظرفية، أي لأنه كان أو وقت كان ذلك الزمن زمن رضا ووصال مشبهين بالشراب، فقد شبه الرضا بالشراب المسوغ، أي السهل تناوله ودخوله في الحلق، وحذف المشبه به ورمز له بشيءٍ من لوازمه، وهو ختام المسك، والختام ككتاب: الطين يختم به على الشيء، فمنه ما يختم به أواني الخمر، قال تعالى: ﴿يُسقَونَ مِن رَحيقٍ مَختُوم * خِتَامُهُ مِسكٌ﴾[4] أي لا طين ولا قار، قال ابن خلدون[5]: ويطلق (يعني الخاتم) على السداد الذي يسد به الأواني والدنان، ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسكٌ﴾[6]، وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام وقال: لأن آخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك، وليس المعنى عليه وإنما هو من الختام الذي هو السداد؛ لأن الخمر يجعل لها في الدن سداداً الطين أو القار

(1) سورة القلم : الآية (9).
(2) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 280.
(3) السابق والصفحة.
(4) سورة المطففين: الآية (25، 26).
(5) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ص326.
(6) سورة المطففين: الآية (26).

يحفظها ويطيب عرفها وذوقها، فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها المسك، وهو أطيب عرفاً وذوقاً من الطين والقار، والتسنيم ماء في الجنة يجري فوق الغرف أو عينٌ تتسنم عليهم من فوق[1].

وغريض الدلال غض جنى الصبـ ـوة نشوان من سلاف النعيمِ
طالما نافر الهوى منه غر لم يطل عهد جيده بالتميمِ
زاد مستخفياً وهيهات أن يخفى سنا البدر في الظلام البهيمِ
فوشى الحلي إذ مشى وهفا الطيـ ـب إلى حسن كاشح بالنسيمِ[2]

الواو واو رب، وغريض الدلال مبتدأ خبره جملة زار، والغريض الطري، والدلال من معانيه الشكل والهيئة، والصبوة جهلة الفتوة من اللهو و الغزل، والنشوان بين النشوة أي السكرة، والسلاف الخمر أو أخلصها أو أفضلها، وإضافته إلى النعيم من إضافة المشبه به للمشبه، والنعيم الخفض والدعة، والمراد أثاره، ونافر أي باعد الهوى، أي أهله، وغر فاعل نافر، وجملة لم يطل عهد جيده إلخ صفة غر، والتميم العوذة تعلق على الصبي، وهذا يذكر به ابن زيدون ذلك الزمن وما كان له فيه من الخلاعة والشطح، أي رب مليح طري الشكل والهيئة له صبوة جناها غض طري سكران، ذلك المليح من أثار النعيم الشبيه بالخمر، طالما كان المليح ينافر ويتباعد محبيه ومن يهواه ويطلب قربه حال كونه غراً صغيراً لم يجرب الأمور قريب عهد بالتمائم، زاد ذلك المليح طالباً أن تُخفى زيارته، وهيهات أي ذلك بعيد؛ لأنه يبعد أن يُخفى نور البدر في الظلام الحالك، وكيف يخفى وقد وشى به حليه لما مشى برناته؟!، وكيف يخفى وقد هفا الطيب؟!، أي ذهب طيب رائحته في الهوى بالنسيم فأحس به الكاشح ، وهذا المعنى استعمله ابن زيدون في شعره كثيراً، فمنه قوله من قصيدة يمدح بها المعتضد صاحب إشبيلية:

---

(1) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مرجع سابق، (سنم).

(2) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 280، 281.

فديتك إني زرت نورك واضح وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع وفرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطقت المشي خصرك مدمج وردفك رجراج وقدك أهيف[1]

الله أكبر سبحان المانح له هذه الملكة وقوله[2]:

ثلاثة منعتها عن زيارتنا خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما تبدي معاطفها من نشرها العبق
هب الجبين بفضل الكم تستره والحلي تنزعه ما حيلة العرق[3]

لطيفة : بعضهم ذاق جيداً فأتى بالحيلة الملتمسة وقال: تلطخ نفسها خراء.

أيها المؤذني بظلم الليالي ليس دهري بواجد من ظلوم[4]

آذنه الأمر وآذنه به أعلمه ، وكثيراً ما ينحى به نحو التنبيه أو التحذير ، والواجد اسم فاعل من وجد عليه يجد وجداً وجدة وموجدة غضب أو من وجد وجداً، حزن، وإسناد الوجد إلى اليوم مجاز عقلي، كليله صائم، ونهاره قائم، والمعنى: يا من يعلمني ويحذرني وينبهني من ظلم الليالي أي حوادث الزمان، أنا لست في يومي أحزن ولا أغضب من ظالم كثير الظلم ، يعني لا أتأثر من الحوادث، وهذا انتقال من أسلوب إلى آخر بلا مناسبة، ويُسمى اقتضاباً عند علماء البديع، ويقابله حسن التخلص، وشاهد الأول عندهم:

لو أراد الإله بالشيب خيراً جاورته الأبرار في الخد شيبا
كل يوم تبدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد عجيبا[5]

---

(1) السابق، ص 185، ولم أجد البيت الأخير ضمن القصيدة.

(2) يتضح من السياق أن اللبني ربما توهم أن الأبيات الآتية لابن زويدون.

(3) انظر: **ديوان المعتمد بن عباد**، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبدالمجيد، القاهرة، مطبوعات وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، إدارة نشر التراث القديم، المطبعة الأميرية، 1951م، ص 22، وفيه: تحوي معاطفها من عنبر عبق .

(4) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 281، وفيه بواحد مكان بواجد.

(5) ديوان أبي تمام، مرجع سابق، ص 26، وفيه: لو رأى الله أن في الشيب فضلاً .. جاورته الأبرار في الخلد شيبا.

فإنه بينما هو يذم الشيب انتقل إلى ثناء ممدوحه أبي سعيد بدون أن تنجر إليه به مناسبة خلاف التخلص، فإن الشاعر غالباً يفتتح قصيدته بالنسيب، ثم يسقط منه بأسلوب واختراع مبتكر إلى مدح ممدوحه، أو إلى ما هو داعية قصيدته، وإن أردت زيادة إيضاح في هذا الباب فعليك بشروح البديعيات ففيها العجائب:

قمر الأفق إن تأملت والشمـ ـس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو بالمصاب العظيم نحو العظيم[1]

هذا دليل ما قبله، أي لا تريعني حوادث الدهر؛ لأنها إنما تنتاب من كان ذا شأن وخطر، ففي السماء نجومٌ كثيرة لا تعد ولا تحصى، ولا يأتي الخسوف والكسوف إلا للشمس والقمر، والدهر دائماً لا يقصد بالحادث العظيم إلا الشخص العظيم، ثم أخذ في مدح سيده اقتضاباً فقال:

بوّأ الله جهوراً أشرف السؤ دد في السَّرْوِ واللباب الصميم[2]

ويمكن أن يدعي فيه حسن التخلص بأن يقال إنه لما ذكر أن النكبات إنما تحصل لمن كان عظيماً ذا خطر، فكان مصابه دليلاً على إكبار قدره أعظم دليل، ناسب أن يمدح ويذكر من أوقع به، أو يدعو له إن قلنا إن الجملة دعائية، وجهور اسم تسمى به جماعة منهم، جد بني جهور ملوك قرطبة ووزرائها بعد انقضاء الدولة الأموية كما سبق أول الكتاب، وبوأ: هيأ ومكَّن، والسرو السخاء والمروءة، واللباب الحسب الصميم الخالص، وهذه الجملة يصح أن تكون خبرية لفظاً ومعنىً، أو لفظاً فقط إنشائية معنى قصد بها الدعاء.

واحد سلم الجميع له الأمر فكان الخصوص وفق العموم
قلد الغمر ذا التجارب فيه واكتفى جاهل بعلم عليم[3]

أي هو واحد في بني جنسه كمالاً وجلالاً، سلم الناس جميعهم له الأمر خواصهم وعوامهم وغير المجرب، وهو الغمر قلد صاحب التجارب في تسليم الأمر، واكتفى الجاهل بعلم العالم فتم له الملك.

---

(1) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 280، 281.

(2) السابق ص 281.

(3) السابق والصفحة، وفيه العليم مكان عليم.

خطر يقتضي الكمال بنوعي   خلق بارع وخلق وسيم[1]

أي ذلك خطر، أي شرف وشأن وأمر عظيم، اقتضى أي دل على أنه ذو كمال في خلقه البارع وخلقه الوسيم.

أسوة الروض من بطيبك يحظى   نظري ما اعتمدته وشميمي[2]

أسوة خبر مقدم، والروض مضاف إليه، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر، وما بعده صلته، وهو يخاطب بذلك سيده يقول من يحظى بطيبك، أي يتقرب إليك، فهو أسوة الروض، أي مثال الروض المشتمل على ضروب الأزهار والأشجار، وأن ما اعتمدته وقلته هو ما نظرته بعيني، وشممته بأنفي، وأدركته بجميع حواسي.

أيهذا الوزير ها أنا أشكو   والعصا بدءُ قرعها للحليم[3]

خاطبه بالوزير بناءً على اصطلاح الأندلس ، فإنهم كانوا وزراء لبني أمية حتى ضعف أمرهم فاستبدوا بالأمر، والشطر الثاني مأخوذ من المثل الشهير: «**إن العصا قرعت لذي الحلم**»[4]، وهو مثلٌ يُضرب لمن إذا نبه انتبه، واختلفوا في مورده على أقوال كثيرة، ومراد ابن زيدون بإيراده أنه يعني نفسه ممن إذا نبه انتبه، وإن هذا القدر من العذاب والحبس يكفي في تأديبه.

ما عنانا أن يأنف السابق المر   بط في العتق [منه][5] **والتطهيم**[6]

ما اسم موصول بمعنى الذي مبتدأ، وجملة عنانا صلته، وعنانا أي أهمنا من عنيت أو عنوت، والمصدر المؤول من أن ويأنف خبر المبتدأ، ويأنف يستنكف أو يكره ذلك الأمر وتشرف نفسه عنه، والسابق أي الفرس السابق فاعل يأنف، والمربط

(1) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 281.

(2) لم أقف عليه في الديوان في طبعتي التي أعتمد عليها، وقد وجدته في : ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق : علي عبدالعليم ،مرجع سابق ، ص 360.

(3) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 281.

(4) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 37/1.

(5) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وفي الديوان : ماعَسِيٌّ أن يألف ...

(6) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 281.

مصدر ميمي مفعول يأنف، والعتق فرس عتيق عربي أصيل، ومطهم تام الحسن، ومثَّل بذلك لنفسه بقول: الذي أهمني أن الفرس الموصوف بالسبق في حال كونه عتيقاً مطهماً يأنف المربط، أي البقاء في محل واحدٍ، تشرف نفسه عن الرضا بذلك ، فتكرهي للحبس من هذه الجهة، وأردفه بقوله :

وتـــواء الحســـام بالجفن يثني   منه بعد المضاء والتصميم[1]

في مقام التعليل له، أي لأن بقاء الحسام - أي السيف - في جفنه - أي غمده - يذهب منه بعض رونقه بعد أن يكون ماضياً مصمماً.

أفصبر مئين خمس من الأيـ   ـام ناهيك من عذاب أليم!![2]

يعني أنه حبس خمسمائة يوم، فهو يستفهم على وجه الإنكار يقول: أيقال لذلك صبر جميل ممدوح ! لا بل هو عذاب أليم.

ومعنًّى من الضنى بهنات   نكأت بالكلوم قرح الكلوم[3]

مُعنَّى بالبناء لما لم يسم فاعله كمفدى من عنى تعب، والضنى المرض الثقيل، والهنات الداهية جمعه هنوت ، وفي حديث سطيح «**ستكون هنات**»، أي شدائد وأمور عظام، والأصوب كتبها بالتاء المربوطة كذا في (التاج)، لكن جمعه على هنوت ينافيه، والكلوم الأول الجروح بضم الكاف والثاني بفتحها صفة مشبهة، ونكأ القرحة قشرها قبل أن تندمل فتندى فيطول برؤها.

سقم لا أعاد منه وفي العا   ئد أنس يفي ببرء السقيم[4]

أي ما أنا فيه سقم، أي مرض ولكنه خلاف الأمراض المعهودة، فإن هذا المرض لا يعودني فيه أحد، ثم أرسل ما يناسب ذلك بقوله وفي العائد.. إلخ، أي أن الذي يأتي المريض يزوره من أحبابه وأخصائه فيه أي في زيارته أنس يفي أي يحصل به من الارتياح ما ينوب عن البرء في الجملة.

---

(1) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 281، وفيه بقاء بدل تواء.

(2) السابق والصفحة.

(3) السابق والصفحة.

(4) السابق ص، 282، وفيه : فيه بدل منه،

نار بغي سعى إلى جنة الأمـ ـن لظاها فأصبحت كالصريم[1]

مثَّل نفسه بمن كان من الأمن في جنة فبغى عليه فجاءت نار البغي ، أي آثار المحرقة إلى جنته فأحرقتها فأصبحت كالصريم ، وإذا كان هذا البيت ربما يشم منه أنه رمى سيده بأنه باغٍ وأن نار بغيه هي التي صيرته إلى هذه الحالة تلا ذلك بقوله:

بأبي أنت إن تشأ تك برداً وسلاماً كنار إبراهيم[2]

بأبي أنت كلمة ملاطفة ، وأصلها في التفدية ، أي أنت نار ، ولكن إن تشأ كنت برداً وسلاماً كنار إبراهيم.

للشفيع الثناء والحمد في صو ب الحيا للرياح لا للغيوم[3]

انتقال إلى مدح رسالته وقصيدته التي جعلها كالشفيع له عند سيده بقوله للشفيع الثناء وهو خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، ثم ضرب لذلك مثلاً ، والحمد... إلخ ، يعني إذا نزل المطر بأرض قوم فالغيوم هي التي أتت به وصوبته والرياح دفعتها إلى تلك الأرض فالذي يستحق الحمد هي الرياح الدافعة للغيوم لا هي.

وزعيم بأن يذل لي الصعب مثابي إلى الهمام الزعيم[4]

زعيم مبتدأ ومثابي خبره أو العكس، وزعيم الأول بمعنى متكفل ، والثاني بمعنى الرئيس، وفي البيت احتباك، أي رجوعي إلى الرئيس الهمام متكفل أن يذل لي الأمر الصعب فيطلقني من الحبس.

ودادُ يُغيّر الدهر ما شاء عن شوقه ولهو المقيم
وثناءُ أرسلته سلوة الظّا عِن ويبقى بقاء عهد الكريم[5]

---

(1) ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص 282.
(2) السابق والصفحة.
(3) السابق والصفحة.
(4) السابق والصفحة.
(5) السابق والصفحة.

أي إني أرسلت إليه بهذه الرسالة المشتملة على الثناء بهذا التركيب العجيب والأسلوب الغريب، بحيث إنها صارت سلوة الظاعن، أي أنها إذا طالعها المسافر البعيد عن أهله المشتاق إليهم تسليه مطالعتها عن شوقه، وإذا طالعها المقيم فهي لهو يتلهى بها عن همومه، وفيها من إظهار الوداد والمحبة ما يغير أطوار الدهر ما شاء الله أن يتغير به، ويبقى هذا الذكر وهذا الثناء على صفحات الأيام مدى الدهر بقاء عهد الكريم، أي كما يبقى عهد أفعال الشخص الكريم الجواد ، ففيه من لطف الإشارة ما لا يخفى.

فهو ريحانة الجليس ولا فخـ ... ـر وفيه مزاج كأس النديم[1]

أي ذلك الإنشاء ريحانة الجليس، أي يتخذه مشموماً، ويمزج به الكأس للمنادم، أي أنه في غاية اللطف والكلام على التشبيه والاستعارة.

لم يزل مغضياً على هفوة الجا ... ني مصيخاً إلى اعتذار المليم
ومتى يبدأ الصنيعة يولعـ ... ـك تمام الخصال بالتتميم[2]

انتقال إلى المدح أيضاً يقول: إن سيدي من دأبه وعادته أنه يغضي على هفوة الجاني ، ويصغي إلى اعتذار المعتذر المليم الذي أتى بما يُلام عليه، فجاء يعتذر وأنه متى بدأ في فعل صنيعه أتمها، فيعرفك ابتداؤه بها أنه سيتمم ما بدأه، وتفسيرنا (يولع) بـ (يعرف) تفسير باللازم وإسناده إلى تمام الخصال، أي استكمال خصاله الحميدة مجاز عقلي، ويمكن أن يكون البيت الأول دعاء بأن الله يجعله كذا ويأباه ما بعده.

وفي البيت الثاني من حسن المقطع ما لا يخفى، قال الأحنف بن قيس سيد بني تميم في زمانه، ومن ضرب به المثل في الحلم كما تقدم:

لم يزل مغضياً على هفوة الجا ... ني وبلائي من حادث وقديم
ومتى يبدأ الصنيعة يولعـ ... ـك جسدي مبتلى بقلب مشوم[3]

---

(1) السابق والصفحة.

(2) السابق والصفحة.

(3) الميداني: مجمع الأمثال، مرجع سابق، ص 2/257.

الذي يغلب على الظن أن هذه العبارة ملحقة من بعض النسَّاخ، ولا أرى لها مناسبة هنا[1] - والله أعلم - ***ها هي***: أي الرسالة أو القصيدة القريب الحديث عنها للتنبيه وهي مبتدأ.

وجملة ***أعزك الله***: دعائية يخاطب بها الملوك والأكابر عند بدء مخاطباتهم احتراماً لهم، ويُخاطب بها سائر الناس عند ذكر ما يستقذر.

وخبر المبتدأ قوله: ***يبسطها الأمل ويقبضها الخجل***، أي إذا قام بها الأمل انبسطت، وإذا استولى عليها الخجل انقبضت، فتجدها تقدم رجلاً وتؤخر أخرى في الوصول إليك والمثول بين يديك.

لها ذنب القصير: إذ لم تف بما يجب لمقامك من الاحترام وحسن الثناء ***وحرمة الإخلاص***، أي أنها وإن كانت مقصرة فيما ذكر؛ لكن لها ما يقتضي الأخذ بيدها من إخلاصها في الخصوصية بك.

فهب ذنباً لحرمة: أي كما هو المعهود فيك من الأخلاق الحميدة ومحو السيئة بالحسنة تجاوز واصفح عن ذنبها لأجل حرمتها: ***واشفع نعمة بنعمة***، الأولى ما منحك الله من الملك والنفوذ، والأخرى العفو والصفح عن المذنب والدفع بالتي هي أحسن، فإن من رزقه الله إياها وسنى له طرقاتها لحري أن يكون من الذين أنعم الله عليهم؛ ***ليتأتى*** أي ليتهيأ ***لك الإحسان من جهاته***، فتكون محسناً في جميع أمورك وتعد من المحسنين الذين الله معهم برأفته ورحمته، ***وتسلك*** - أي تصل - ***إلى الفضل***، والفضل اسم جامع لكل خير، لكنه غلب اليوم على ما كان من باب العلوم والمعارف، ***من طرقاته***، أي من جميع أبوابه، ***وكل شعابه إن شاء الله تعالى***، يقصد بهذه الجملة التبرك لا التعليق، ويتعين كتب أن مفصولة من شاء على أصول الكتابة، ولئلا يلتبس بإنشاء مصدر أنشأ ينشئ، فالأصل كتابة كل كلمة على حدتها ما لم يكن مقتضىً للوصل مما بين في محله، ولذا يخطئ من يكتب من طرف: منطرف، وعن قريب

(1) ربما قصد اللبني عبارة «ها هي».

عنقريب، وتحت يد تحتيد، ومن أراد بسط هذا الموضوع فعليه بكتاب (المطالع النصرية للمطابع المصرية) للفاضل المرحوم الشيخ نصر الهوريني، والله أعلم.

تم هذا الكتاب تبييضاً وتصحيحاً ومقابلةً على يد مؤلفه الحقير المفتقر إلى رحمة الله الغني ، جعفر بن أبي بكر اللبني المكي، القاضي حالاً بقضاء الليث من أعمال ولاية الحجاز، وكان الفراغ منه في يوم الأحد - السابع ذي الحجة الحرام من السنة المكملة ثلاثين بعد الثلاثمائة والألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ونقلت هذه النسخة من النسخة الأولى بخط مؤلفها أيضاً يوم الأربعاء الموافق سابع عشر ذي الحجة الحرام عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف 1331هـ.



الفهـــارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس القوافي
- فهرس الأعلام
- فهرس الأمثال
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل والأجناس
- فهرس المراجع

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	السورة	الآيــــة	رقمها	الصفحة
	النساء	أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا	54	106
		إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	58	101
6	الأنعام	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	164	158
7	الأعراف	قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ	12	62
		وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ.... إلى قوله تعالى: قِرَدَةً خَاسِئِينَ	من 163 إلى 166	67
		اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ	138	66
8	الأنفال	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ	41	121
9	التوبة	وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا	120	61
11	هود	رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي	45	65
		وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ	45	65
		إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ	46	65
12	يوسف	وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ	25	18
13	الرعد	لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	38	52
15	الحجر	إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ	95	193
16	النحل	وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى	60	225
18	الكهف	وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ....	39	169
		قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ	78	185
10	طه	وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى	84	251

رقم السورة	السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
21	الأنبياء	وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ	98	157
		إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	98	250
22	الحج	ثَانِيَ عِطْفِهِ	9	271
24	النور	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ	11	128
		وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ	22	128
		الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ	26	129
7	النمل	إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ	44	66
32	السجدة	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ	16	237
44	الدخان	يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ	16	121
47	محمد	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ	11	16
49	الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا	6	191
52	الطور	أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا	32	55
60	الممتحنة	تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ	1	19
61	الصف	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ	2	29
56	الواقعة	لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا	65	190
		لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا	70	190
67	الملك	ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ	4	59
68	القلم	وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ..	9	274

رقم السورة	السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	القلم	وَلَا تُطِعِ	10	193
		وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)	12-10	192
69	الحاقة	فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	5	208
		فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ	8	208
71	نوح	ولا تَذَرُنَّ وُدًّا	23	19
74	المدثر	ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13)	13-11	192
78	النبأ	عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ	1	211
83	المطففين	يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ	26	274
		خِتَامُهُ مِسْكٌ	26-25	274
84	الانشقاق	وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ	17	271
		وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	18	270

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث الشريف	الصفحة
16	«كل بني آدم سيد»	17
17	«ليلني منكم ذوو الأحلام والنهى»	55
18	«من اهتبل جوعة مؤمن كان له كيت وكيت»	52
19	«من بدا جفا»	237
20	«من كنت مولاه فعلي مولاه»	16
21	«مولى القوم منهم»	16

فهرس القوافي

الصفحات	القافيـــة	
259	الكرى	قافية الألف
259	مقتضى	
259	الغضى	
259	بغى	
259	بكى	
259	سوى	
259	النوى	
269	باللعبْ	قافية الباء
269	الغضبْ	
273	الترابا	
273	ملابا	
233	ومسحبا	
149	أقربا	
149	المهلبا	
233	كبكبا	
149	أشهبا	
276	عجيبا	
167	اليعاسيبا	
276	شيبا	

القافيـــة		الصفحات
قافية الباء	سحابها	237
	ترابها	237
	عاتب	53
	تعاتبه	53
	صاحب	53
	مشاربه	53
	مرازبه	145
	ثاقبه	55
	مسالبه	145
	ويجانبه	53
	مناهبه	145
	للمرء مذهب	206
	كأنه ذهب	181
	حين تنـوب	38
	الكتائب	168
	على الشبـاب	140
	قبل الحسـاب	141
	في التراب	141
	بالخضاب	140

القافيــــة		الصفحات
قافية الباء	خطابها	97
	بإعرابي	147
	أولى بها	97
	بالإياب	212
	يوم الإياب	141
	بذي ارتياب	141
	الحباحب	221
	المهذب	53
	كل التجارب	221
	أكلك للضبٍّ	204
	فلم تعقب	254
	ليس الغالب	72
	مثل مغلب	212+61
	بعد المهلَّبِ	241
قافية التاء	وأنفيتهــا	37
	فتمنيتهــا	37
	ذلّت	38
	حذرات	177
	معتجرات	177

الصفحات	القافيـــــة	
214	بأحسابنا الفقر	قافية الراء
214	والذكر	
80	بمكة سامر	
214	ولا خمر	
268	أم القمر	
80	والخير ظاهر	
268	ملها السهر	
154	البر مقبور	
154	وهو مهجور	
154	الدنيا لمَغْرُور	
241	أعور	
154	فَوْقَهُ المُورُ	
154	فيها الأعَاصِيرُ	
154	لِلنكْرَاء تَنكِيرُ	
36	اعتصاري	
40	من الأوغار	
40	في نار	
41	بدينار	
184	بأطهار	

القافيـــــة		الصفحات
	أواسي	124
	المواسي	124
	كراسي	124
	الإتعاس	124
	وتناس	124
	الإفلاس	124
قافية الشين	عشه	205+22
قافية الصاد	جهد الحريص	37
قافية الضاد	من بعض	59
قافية الطاء	رمت الشطط	53
	الخلط	183
	الفرط	183
	بالغيط	183
قافية العين	منتزعه	256
	الغيث معه	256
	ولا طبعا	239
	ضرعا	250
	أو وضعا	239
	الضلعا	250

القافيـــــة		الصفحات
قافية العين	مطلعا	250
	أربع وأربع	188
	بعدهن أربع	188
	المذرع	134
	مصرع	41
	فهو أنزع	180
	ففضلك أوسع	57
	لا أتضعضع	41
	لا تنفع	41
	ناقع	207
	المطامع	230
	المصنع	263
	لا تضيع	188
	غير تهجاعِ	180
	والطامعِ	29
	في السابع	29
قافية الفاء	عني وانصرفُ	49
	فيك أصفُ	49
	لها رشفا	222

القافيـــة		الصفحات
قافية الفاء	أحسن الوصفا	222
	مرجفُ	276
	أغدف	276
	نزف	267
	قضف	267
	ألوف	52
	أهيف	276
	عجافِ	182
	بعد صاف	182
	من الضعاف	182
	كافِ	182
	اختلاف	182
قافية القاف	دارساً خلقا	268
	سموقا	162
	العيوقا	162
	الصديقا	163
	إليك طريقا	163
	المبر حقيقا	163
	العبقُ	276

القافيـــة		الصفحات
قافية القاف	أي تفرق	63
	ولما أمزق	215+61
	الممزق	143
	أفقه	128
	تعلقي	63
	الأحمق	63
قافية اللام	سفح الجبل	157
	في الجبل	156
	الهُبَل	157
	المثل	157
	كالحجل	156
	والرجل	157
	وَرِجِل	156
	فقل	222
	فَاعْتَدَلْ	156
	لَو عَدَل	156
	البَأسُ نَزَل	157
	وَقْع الأَسَلْ	156+155
	الرُسُل	157

القافيـــة		الصفحات
قافية اللام	الأَشَلْ	156
	اتصل	87
	الفتى ما قد حصـل	86
	العصل	157
	بَطَلْ	156
	الْمُفْتَعَلْ	156
	الزغل	86
	رفل	157
	أو أقل	10
	وَمُقِل	156
	ذا الْغُلَلْ	156
	الهمل	157
	بهل	157
	الرهل	157
	بعد نهل	156
	أحيانا دول	156
	قد فعل	156
	وجه وقبل	156
	عليه بـلالا	48

القافيـــــة		الصفحات
قافية اللام	إلا لهـــا	109
	انتجعي بـــلالاً	46
	ناوحـت الشمـالا	46
	نوالا	48
	منه النوالا	48
	محلالا	239
	بدرا كاملا	115
	أن يتحولا	226
	ثقيلا	52+50
	غليلا	51
	أن يميلا	52+50
	وشمـائله	146
	حلائله	147
	استقالها	43
	أقاتله	147
	والرحلُ	228
	هو الذل	228
	ينـازله	147
	منازل	27

	القافيـــة	الصفحات
قافية اللام	وتواصله	146
	فاعله	147
	ما لا يفعل	30
	موكل	29
	بأني كامل	28
	أنامله	271
	هم الأهل	228
	يقاوله	147
	الرسول	166
	المصقول	142
	مأكول	179
	المراجيل	179
	المناديل	179
	وطفيل	119
	ومقيل	235
	الجميل	166
	الرجالِ	133
	الخلال	127
	مالي	133

	القافيـــة	الصفحات
قافية الميم	بذي الفهم	64
	بالكرم	58
	والدم	54
	العممْ	183
	الختاما	224
	منها الختاما	224
	قدامى	223
	ظلم النداما	73
	الندى ما	33
	حراما	224
	الكراما	73
	يراما	223
	ابتساما	224
	لا تسامى	224
	الحساما	224
	اللطاما	224
	عظاما	73
	تقيم النظاما	224
	افتتحت النظاما	224

القافيـــــة		الصفحات
قافية الميم	يخجل النظاما	223
	يزين النظاما	223
	الرغاما	73
	فقاما	224
	مقاما	73
	حاشا المقاما	223
	ذاك المقاما	224
	احتكاما	224
	السلاما	224
	أحلاما	223
	ظلاما	223
	إماما	224
	الحماما	223
	الذماما	223
	الزماما	224
	شماما	73
	الغماما	224
	أم سناما	224
	هماما	223

القافيـــة		الصفحات
قافية الميم	مناما	223
	الجهاما	50
	لهاما	223
	دواما	223
	مكتما	217
	الخزامى	33
	ومأثما	74
	أحجما	64
	أنجما	217
	لأخدما	64
	تقدما	54
	أكرما	64
	أحزما	64
	لعظما	64
	الظما	64
	لي سلما	64
	منمنما	217
	تجهما	64
	اللئامُ	30

الصفحات	القافيـــة	
30	القتام	قافية الميم
146	حرام	
183	الأقوام	
164	عثمثم	
255	عدم	
164	معدم	
255	نقتسم	
255	الحكم	
255	ألم	
164	مظلم	
255	الأمم	
229	الاحلون هُمُ	
27	صمم	
164	المصمم	
218	لديهم	
218	إليهم	
218	عليهم	
188	مظلومُ	
54	يشتمِ	

الصفحات	القافيـــة	
277	وفق العموم	قافية الميم
276	من ظلوم	
279	الكلوم	
280	للغيوم	
53	على اللئيم	
273	للمستديم	
281	وقديم	
281	النديم	
31	بالتحريم	
281	بالتتميم	
280	كالصريم	
280	عهد الكريم	
31	العزيز الكريم	
275	بالنسيم	
278	وسيم	
277	نحو العظيم	
277	الصميم	
31	قدر عظيم	
280	الزعيم	

قافية الميم	النعيم	275
	ذاك النعيم	273
	السقيم	279
	لهو المقيم	280
	اليم	279
	للحليم	278
	بعلم عليم	277
	المليم	281
	بالتميم	275
	بالذميم	274
	شميمي	278
	التصميم	279
	تسنيم	274
	كنار إبراهيم	280
	البهيم	275
	التطهيم	278
قافية النون	بعفوك عنه	58
	فكنه	58
	أعظم منه	58

القافيـــة		الصفحات
قافية النون	قرآنا	145
	ميزانا	181
	إنسانا	182
	بالحسن	11
	حطانا	182
	بنيانا	182
	رضوانا	181
	الوطنا	235
	فعدنان	182
	أن تلينا	44
	زبونا	44
	الجبينا	44
	راحمينا	190
	جنينا	131
	المكارم دونُ	189
	منها شؤون	207
	الحدثان	229
	المدان	213
	تراني	177

القافيـــــة		الصفحات
قافية النون	بالإظعان	269
	كفاني	212
	ابتلاني	213
	كل مكان	177
	ببيانِ	229
	عديم بيانِ	229
	هوان	229
	ذي يزن	239
	لليمن	239
	تعرفوني	147
	جوهر مكنون	189
	البرذين	22+206
	مسنون	189
	تكفيني	238
	لا يعنيني	233
قافية الهاء	كنت أرجوه	38
	ومكروه	38
قافية الياء	راضيا	14
	أخا ليا	14

القافيـــة		الصفحات
قافية الياء	بدا ليا	14
	أمانيا	37
	دويا	123
	تُبدي المساويا	14
	أمويا	123
	الدوي	147
	أعرابيّ	147
	كفايَ	269
	زينتها لي	269

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
37	الأزرقي	101
38	الأزهري	191-136
39	أسامة بن زيد بن حارثة	130
40	أسيد بن حضير	135
41	أسعد أفندي عتاقي	98
42	الإسكندر	64 ،15
43	أسماء بنت أبي بكر الصديق - ذات النطاقين	167-160
44	أسماء بنت عميس	264-263
45	إسماعيل - عليه السلام	79
46	إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق	138
47	إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس	40
48	أبي الأسود الدؤلي	245
49	الأسود بن الحارث بن قيس ابن عدي السهمي	193
50	الأسود بن عبد يغوث بن وهب	193
51	الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي	193
52	الأسيلم ابن الأحنف الأسدي	180
53	ابن الأشعث	183-178-177
54	الأصمعي	261-206-152
55	إمام الدين بن أحمد المتولي الفتوي	93

م	اسم العلم	الصفحة
56	إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي	98
57	امرؤ القيس	212-44
58	أمية الأكبر بن عبد شمس	83
59	أمية بن أبي الصلت	239
60	أمين أفندي السبحي ابن عثمان أفندي	92
61	الأمين بن الرشيد العباسي	59-39
62	أنس بن أنيس	154
63	أنس ابن مالك	160
64	أنمار الفضل	79
65	أنوشروان	153
66	أنيس (سائس الفيل)	71
67	أخو الأوس	180
68	إياد الشمطاء	79
69	بادية بنت غيلان	267
70	البحتري	217-218-57
71	البخاري (صاحب الصحيح)	127-108
72	أبو البختري	75
73	بخت نصَّر	66
74	العاص بن هشام بن الحارث	335

م	اسم العلم	الصفحة
93	أبي بيهس	209
94	تاج الدين ابن عبدالمحسن القلعي	109
95	تاج الدين المالكي	223-91
96	تاج الدين المالكي الشهير بابن يعقوب	106
97	تاج الدين الهندي النقشبندي	112
98	الترمذي	138
99	تقي الدين الزرعة	106
100	تقي الدين السنجاري ابن يحيى بن إسماعيل بن عبدالرحمن	99
101	أبو تمام	226-27
102	أبو تمام الطائي	45
103	الثريا العبشمية	244
104	جابر بن عبدالله	159 و160
105	الجاحظ	50
106	جارية بن قدامة	200-189
107	جالوت	69
108	جبريل	126
109	ابن جرموز	200
110	جساس بن مرة الشيباني	257
111	جعفر الصادق (الأول)	140-139-138-137

م	اسم العلم	الصفحة
166	حنيف الدين بن عبدالرحمن	95
167	أبو حنيفة	125
168	ابن حيان	14
169	حيي بن أخطب	125
170	خالد بن الوليد	143-129-114-100
171	خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان	121
172	أبا خبيب	245
173	خديجة بنت خويلد بن أسد	168
174	ابن خرم الأنصاري	268
175	الخفاجي	222
176	ابن خلدون	59
177	الخنساء	141
178	خولة ذات النحيين	119-72
179	الدار قطني	17
180	أبو داود الأنطاكي	197
181	داوود- عليه السلام	69
182	دخيل الله العواجي	35
183	درويش، أمين الفتوى	105
184	دهقان	133

م	اسم العلم	الصفحة
280	السيوطي	220-51
281	الشافعي	16
282	شبل بن عبدالله	123
283	شبيب ابن بجرة	150
284	أبو شجرة عمرو	141
285	الشمي الحطاب المكي المالكي	101
286	شمويل النبي - عليه السلام	68
287	الشهاب الخفاجي	31-30
288	أبي شوذب	169
289	شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجي	100
290	صادق بن أحمد بن محمد مير بادشاه	97
291	صالح بافضل	112
292	صالح بن صديق كمال	117-116
293	صالح عليه السلام	67
294	صبغة الله	108
295	أبو صخر ابن عبدالرحمن	196
296	صخر بن قيس بن معاوية بن حصن السعدي التميمي	197
297	صديق الغفوري	22
298	صعب بن زيد	246

م	اسم العلم	الصفحة
299	ابن صفار	209
300	صفوان ابن المعطل السلمي الذكواني	127
301	صفية بنت عبد المطلب	168
302	صواب الحبشي	122
303	ضابئ البرجمي	271
304	ضرار بن القعقاع الدارمي	206
305	ضمرة	169
306	ضمضم بن عمر الغفاري	120
307	أبو طالب بن عبد المطلبن بن هاشم	134
308	طالوت	69-68
309	طاهر بن الحسين	39-37
310	طاهر سنبل	107
311	الطبراني	222
312	طبرستان	140
313	الطبري	100-91
314	الطغرائي	228
315	طلحة بن قيس بن أشيم	196
316	حلحلة بن قيس بن أشيم	196
317	طلحة بن عبدالله بن عبد العز بن عثمان بن عبد الدار بن قصي	100

م	اسم العلم	الصفحة
318	طويس	268-267-266
319	ظالم بن سراق بن صبح الأزدي العني البصري	243
320	موسى بن ظفر السامري	66
321	ظل الشجر	268-267
322	عاتكة الجمحية	157
323	عاتكة بنت عبدالمطلب	76
324	العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى	75
325	العاص بن وائل السهمي	193
326	عائشة رضي الله عنها	126-21
327	عائشة بنت طلحة	169
328	عباد بن حصين الحبطي	248
329	عبادة بن الصامت	125
330	عبدالرحمن بن عبدالله	102
331	ابن عباس	135-129-41
323	العباس ابن المأمون	59
333	العباس ابن مرداس المسلمي	231
334	أبو العباس السفاح	123
335	عباس بن جعفر بن صديق	116
336	عباس بن عبدالعزيز ميرداد	99

م	اسم العلم	الصفحة
337	عبدالرؤوف الزمزمي	75
338	عبدالرحمن ابن عيسى المرشدي	84
339	عبدالحفيظ العجيمي	114-105
340	عبدالأشهل	135
341	عبدالرحمن بن محنف الأزدي	247266
342	عبدالرحمن بن الحارث المخزومي	166
343	عبدالرحمن بن حسان	47
344	عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب	96
345	عبدالرحمن بن الحكم	166
346	عبدالرحمن بن عبدالله	102
347	عبدالرحمن بن عثمان بن جمال	117
348	عبدالرحمن بن عثمان جمال	115
349	عبدالرحمن بن عوف	158-146-144-135
350	عبدالرحمن بن عيسى المرشدي	31
351	عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الملقب بالداخل	124
352	عبدالقادر أفندي	109-10
353	عبدالقادر الشيبي	104
354	عبدالقادر بن يحيى	109
355	عبدالكريم القطبي	93

م	اسم العلم	الصفحة
375	عبدالله بن أمية	267
376	عبدالله بن جعفر	266-265-264-187
377	عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	263-181
378	عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات	219
379	عبدالله بن حكيم المجاشعي	248
380	عبدالله بن رواحة	264
381	عبدالله بن طاهر بن الحسين	240
382	عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان	162
383	عبدالله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد	35
384	عبدالله بن قيس الرقيات	180
385	عبدالله بن محمد بن أبي عيينة	39، 40
386	عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيَّار	13 و14
387	عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المشهور بالهاشمي	265
388	عبدالله بن هاشم بن عبد العزيز بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي	219
389	عبدالله عبدالملك	148
390	عبدالله لبني ابن أبي بكر لبني	91
391	عبدالمطلب بن غالب	219-115
392	عبدالمطلب بن هاشم	71
393	عبدالملك القلعي	105

م	اسم العلم	الصفحة
394	عبدالملك بن مروان	160
395	عبدالملك خالد بن عبد الله بن أسيد أبي العيص	246
396	عبدالملك من عقيل بن علفة اليربوعي	132
397	عبدالنبي بن عبد اللطيف فاغية	94
398	عبد مناف بن قصي بن كلاب	82
399	ابن عبدالبر	101
400	عبدالجواد المنوفي	96
401	عبدالحفيظ العجيمي	105
402	عبدالحميد بن يحيى بن سعيد العامري	151
403	عبدالدار بن قصي بن كلاب	83-82
404	عبدالكريم عبداللطيف فاغية	94
405	عبدالله ابن عبد الرحمن سراج	116
406	عبدالله ابن بكر كمال	117
407	عبدالله ابن محمد	117
408	عبدالله ابن الزبير	199
409	عبدالله ابن صالح ميرداد	107
410	عبدالله أفندي عتاقي زاده	109-98
411	عبدالله بن الحسن	34
412	عبدالله البخاري	100

م	اسم العلم	الصفحة
450	أبو العتاهية	38
451	عتبة بن ربيعة بن عبد الشمس	121-84
452	عتيق بن عبدالنبي الشيبي	103
453	عثمان باشا الكردي	114
454	عثمان بن طلحة بن أبي طلحة	129-100
455	عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس	145
456	عثمان حميدان	113-100
457	عجلان	90
458	عدي بن حاتم	215
459	عدي بن زيد	36
460	عرار بن عمر بن شاس الأسدي	183
461	العراقي	42
462	عروة ابن أذينة	238
463	عروة ابن الزبير	169-167
464	عزة بنت جميل الكنانية	196
465	ابن عطاء الله	230
466	عقبة بن أبي معيط	193
467	عقيل بن علفة اليربوعي	132
468	أبو العلاء المعري	29،27

م	اسم العلم	الصفحة
488	عمر بن الخطاب	143-135-83
489	عمر بن سعد بن أبي وقاص	152
490	عمر بن عبدالعزيز بن مروان	159-153-47
491	عمر بن عبدالكريم عبدالرسول العطار	113
492	عمر بن عبدالله بن السيد علي الأوجاقلي	111
493	عمر بن عبيدالله بن معمر	245
494	عمران بن حطان	182-181
495	عمرة بنت علقمة الحارثية	122
496	عمرو بن الحارث الجرهمي	80
497	عمرو بن العاص	179-130-129-74
498	عمرو بن بكر التميمي السعدي	150
499	عمرو بن سنان الملقب بالأهتم	227-201
500	عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن مصعب بن علي بن بكر بن وائل	182
501	عمرو بن عتبة بن أبي سفيان	188
502	عمرو بن كلثوم	131-44
503	عون بن محمد	220-102
504	عمرو بن معدي كرب الزبيدي	256
505	عمير السعدي	133
506	عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي	146

م	اسم العلم	الصفحة
545	قطب الدين	102-93-92
546	قطري بن الفجاءة المازني	245-182-201
547	قيس بن سعد بن عبادة	161
548	قيس بن الخطيم	267
549	القلقشندي	101
550	قنبر	61
551	قيصر	70
552	كُثير عزة	38
553	كردوس	251-246
554	الكسائي	29
555	كسرى	239-198
556	كعب بن لؤي	77
557	أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	185
558	أم كلثوم بنت علي	150
559	الكميت	254
560	كيسان	139
560	لقيط الإيادي	250
562	أبو لهب بن عبد المطلب بن هاشم	193
563	أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة	143

م	اسم العلم	الصفحة
564	ماضي بن سرور بن ماضي	35
565	مالك	176
566	ابن مالك (صاحب الألفية)	45
567	مالك بن زيد بن مناة	164
568	المأمون بن هارون الرشيد ابن المهدي	58
569	مانع	267
570	المبرد	72
571	المتنبي	27-45-50-222-255
572	المثقب العبدي	215
573	مجاشع بن سعود السلمي	174
574	محسن بن حسين بن حسن	31
575	محمد ابن القاسم	73
576	محمد الإمام ابن علي بن عبد الله ابن العباس	141
577	محمد الباقر	137-138
578	محمد الحبيب	138
579	محمد الشامي	102-103
580	محمد الكتبي المصري السيواسي	114
581	محمد المهدي المنتظر	137
582	محمد النفس الزكية ابن عبدالله المحض ابن الحسن	134

م	اسم العلم	الصفحة
602	محمد علي ابن سليمان مرداد	107
603	محمد علي باشا	111
604	محمد قنق	111
605	محمد مير بادشاه	97
606	محمود أفندي الساعاتي	218
607	المختار ابن أبي عبيد الثقفي	140
608	مراد (السلطان العثماني)	73
609	مرشد الدين العمري	94
610	مروان بن الحكم بن العاص بن أمية	160
611	مسطح ابن أثاثة	128
612	محمد بن عبدالله النميري	177
613	مسعود ابن الحسن ابن أبي نمي	33
614	مسعود ابن الحسن أحمد بن غالب بن مسعود	33
615	مسعود ابن دخيل الله بن عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد	35
617	أبو مسعود	201
618	مسعود بن إدريس بن الحسن	34-32-74
619	مسلم (صاحب الصحيح)	127
620	أبي مسلم الخرساني	37
621	مسلم بن عقبة المري الغطفاني	156

فهرس الأمثال

م	المثل	الصفحة
18	الإيناس قبل الأبساس	257
19	بات بليلةٍ نابغية	207
20	بلغ السكين الحنجرة	60
21	الجرع أروى والرشيف أنقع	51
22	الحر يعطى والعبد ييجع استه	204
23	خامري أم عامر	230
24	خامري حضاجر أتاك ما تحاذر وأم عامر	230
25	رضي من الوفاء باللفأ	212-211
26	رضيت من الغنيمة بالإياب	212
27	الشاة المذبوحة لايؤلمها السلخ	167
28	صدقني سن بكره	202
29	العجز وطئ	230
30	العصا من العصية	79
31	عند الصباح يحمد القوم السرى	258
32	غمرات ثم ينجلين	45
33	قد بلغ السيل الزُّبى	60
34	قد يسبق جهد الحريص	37
35	قيل للبغل من أبوك؟ فقال: الفرس خالي	146
36	كدمت في غير مكدم	256

م	المثل	الصفحة
37	لا في العير ولا في النفير	121
38	لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت	204
39	لكل سيف نبوة ،ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة	46
40	لو بغير الماء غصصت	36
41	لو ذات سوار لطمتني	213
42	لو غير ذات سوار لطمتني	213
43	ما سرني بجوابك له سود النعم	155
44	ما يوم حليمة بسر	221
45	من الله عليك واستك	204
46	مايسرني بحلمك على حُمر النعم	155
47	والبدل منك أعور	240
48	والنقلة مثله	232
49	وبلغ الدماء الثنن	60
50	وبلغ منه المخنق	60
51	وجاوز الحزام الطبيين	60
52	وفي كل شجر ناد × واستمجد المرخ والعفار	254
53	وكل الصيد في جوف الفرا	253




فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان	الصفحة
18	البصرة	40-143-178-209-213-254-256-257-277
19	بطحان	125
20	بغداد	29-58-143-162
21	البقيع	89
22	البلقاء	133
23	البُهيّتاء	12
24	بيت المقدس	68
25	بيت عاتكة	27
26	بئر عروة	174
27	بيكند	253
28	تربة	36
29	التكية المصرية والحميدية	30
30	التنعيم	170
31	تهامة	11-24-25-36
32	التهم	36
33	ثنية الحجون	218
34	الثنية السفلى	218
35	جبل النور	117
36	جبل الهندي	112

م	المكان	الصفحة
56	حران	127
57	حروراء	158
58	حضرموت	88
59	الحطيم	168-167-153
60	حمير	71
61	حوران	166
62	حوش العَمْري	99
63	حوض أبي طالب	33
64	حوطة المساوى	32
65	حوطة ذات محراب	107
66	الحيرة	77
67	خراسان	278-263-254-252-251-250-190-162-143-58
68	خرم القُميع	25
69	الخرمة	36
70	خطم الحجون	77
71	دار الندوة	84-82
72	دراب جرد	258
73	دمشق	96
74	دومة الجندل	176-19

م	المكان	الصفحة
94	زقاق رضوان بك	99
95	زقاق غراب	106
96	الزيمة	24-23
97	ساحل البحرين	68
98	سامُرَّاء	69
99	سبأ	80-79
100	سُر من رأى	69
101	السراة	12-11
102	سِرف	88
103	سلجماسة	143
104	سلمى	148
105	سمرقند	254-253-132-54
106	السودان	89
107	سوق الليل	106-91
108	سوق بيشة	107
109	سوق ذي المجاز	119
110	سوق عكاظ	24
111	سوق مُجنة	119
112	سويقة	113-107-99-95

م	المكان	الصفحة
113	السيل	24
114	السيل الصغير	119
115	الشاذياخ	119-25
116	الشام	252
117	شُبرى	263-130-125-85-74
118	الشبيكة	25
119	شدّاد	32
120	شعب عامر	25
121	الشميسي	89
122	الشهدا	120-95
123	الشواق	88
124	شيراز	89-34
125	الصفا	95-84
126	صنعاء	102-99-97-35
127	الطالقان	116-72-70
128	الطائف	142
129	طبرستان	143-129-108-106-105-98-89-80-71-36-26-25-24-23-12
130	طليطلة	15
131	العالية	125

م	المكان	الصفحة
170	كُدى	218
171	كُدَيّ	218
172	الكُر	25
173	كربج دينار	257
174	كربلاء	164-156
175	كرمان	66
176	الكناسة	143-124
177	الكوفة	277-258-213-179-156-153-152-151-147-143
178	لعلع	83
179	لقيم	25
180	الليث	297-12-11
181	مُجنة	122
182	المحصب	88-75
183	المُدَّعى	91
184	المدينة المنورة	172-99-90-37-35
185	المروة	97-92
186	المزدلفة	92
187	المسجد الحرام	173-116-107-98-97-96-95-94-83-82-29-27
188	مصر	218-128-117-85-68-32

م	المكان	الصفحة
189	المعابدة	33
190	المغرب	143-105-102-88-85
191	المغمس	71
192	مقبرة المعلا	218
193	مكة	43-36-35-34-33-32-31-30-26-25-24-23-18-12
194	المليساء	25
195	منى	135-119-118-25
196	المهراس	127
197	نجد	247-227-87-26-23-11
198	نجران	69
199	نخلة	118
200	نخلة الشامية	23
201	نخلة اليمانية	23
202	نعمان	36
203	نهر الأردن	69
204	النهروان	153
205	نيسابور	251-250
206	همدان	277
207	الهند	117-107-78-77

م	المكان	الصفحة
208	وادي الشام	11
209	وادي الليمون	24-23
210	وادي المحرم	23
211	وادي اليمانية	24
212	وادي حِراض	24
213	وادي رك	248
214	وادي قرن المنازل	23
215	وادي ليه	36
216	وادي مر الظهران	95
217	وادي نعمان	23
218	اليمامة	270-254-249-40
219	اليمانية	25-23-12
220	اليمن	88-87-85-73-71-70-69-47-36-34-32-31-12-11
221	ينبع	109
222	اليونان	155

فهرس القبائل والأجناس

م	الاســـم	الصفحة
37	بنو شيبة	105-103
38	بنو عبدالدار	125-103-83-82-77-75
39	بنو كاهل	170
40	بنو لجيم	249
41	بنو مخزوم	279
42	بنو نمير	286
43	بنو يربوع	247
44	البواطش	100
45	الترك	78
46	تميم	295-236-210-209-207-183-157-79-72
47	تهامة	71
48	ثقيف	179-148-71
49	ثمود	178-79-67
50	جديس	79
51	جعفري (الجعافرة)	89
52	الجهاورة	15
53	حبشي (آل حبشي)	89
54	الحمديون	36
55	خثعم	79-71

م	الاســـم	الصفحة
56	خزاعة	12-79-80-85-129
57	الخزرج	120-121-125-128
58	ذوو حسن	88
59	ذوو زيد	35-118-227
60	ذوو سرور	35
61	ذوو عون	34
62	ذوو غالب	35
63	ذوو لؤي	36
64	ذوو هزاع	35
65	ذوي حسن بن عجلان	12-36
66	ذوي ناصر	35
67	الروم	77-78-101-136
68	سامرة	67
69	سبأ	79
70	سقاف	88
71	شنابرة	12
72	شهران	71
73	طسم	79
74	طيئ	222-223

م	الاســـم	الصفحة
94	المراشدة	94
95	المراغنه	118
96	مضر	194-79-73
97	معد	79
98	ناهس	71
99	النويريين	89
100	هذيل	243-79-72-71-12-11
101	الهنود	120-118-111-92
102	هوازن	79
103	وبار	79
104	الوهابيون	90

فهرس المراجع

1. الآبى، أبو سعد: **نثر الدر في المحاضرات**، تحقيق: خالد عبدالغني محفوط، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004م.

2. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: **تحفة القادم**، أعاد بناءه وعلّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1406هـ - 1986م.

3. الأبشيهي، شهاب الدين أحمد: **المستطرف في كل فن مستطرف**، بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1419هـ.

4. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري: **أسد الغابة**، بيروت، دار الفكر، 1409هـ - 1989م.

5. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1997م.

6. ابن الاثير: **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.

7. الأحوص، عبد الله بن محمد بن عاصم: **شعر الأحوص الأنصاري**، حققه وقدم له عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي ، ط 2، 1990.

8. الأخفش، أبي الحسن سعيد بن مسعدة: **معانى القرآن**، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1، 1411هـ - 1990م.

9. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط 2، 1982.

10. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله: **أخبار مكة**، تحقيق: شدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس.

11. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، بيروت، دار احياء التراث، ط 1، 2001.

12. الأزهري، خالد: **شرح التصريح على التوضيح**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م.

13. الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية 1975.

14. ابن إسحاق، أبو عبدالله محمد: **فتح الباب في الكنى والألقاب**، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، مكتبة الكوثر، ط 1، 1996م.

15. الأشعري، أبو الحسن: **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق: فوقية حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار، ط 1، 1397.

16. الأشعري، أبو الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط 1، 2005م.

17. الأشموني، أحمد أبو مدين: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1، 1998م.

18. الأصفهاني، أبو الفرج: **الأزمنة والأمكنة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417.

19. الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة العامة للتاليف والنشر.

20. الأصفهاني، أبو الفرج: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1420هـ.

21. الأصفهاني، عماد الدين الكاتب، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبدالله: **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، جميل سعيد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1375هـ - 1955م.

22. الأصمعي، عبدالملك بن قريب بن عبدالملك: **الأصمعيات**، تحقيق: احمد محمد شاكر - عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط 7، 1993م.

23. ابن أعثم، أبو محمد أحمد: **الفتوح**، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، ط 1، 1991م.

24. الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، (د.ن).

25. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، 1415هـ - 1995.

26. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، الرياض، دار المعارف، ط 1، 1992م.

27. امرؤ القيس، بن حجر الكندي، **ديوان امرئ القيس**: اعتنى به وشرحه: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ط 2، 2004.

28. امرؤ القيس، بن حجر الكندي: **ديوان امرئ القيس**، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ط 4، 2008م.

29. الأنباري، أبو بكر: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م.

30. الأندلسي، أبو حيان: **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420هـ.
31. الأنطاكي، داوود بن عمر: **أشواق العشاق**، القاهرة، المطبعة الأزهرية 1302.
32. الأنطاكي، داوود بن عمر: **تزيين الأسواق**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط 3، 1994.
33. الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب: **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، بيروت، دار الجيل، ط1، 1414هـ.
34. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: **ديوان البحتري**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف، ط3.
35. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله: **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط 1، 1422هـ.
36. البُرِّي: **الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة**، نقحها وعلق عليها: محمد التونجي، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ط 1، 1983م.
37. ابن بسام، أبو الحسن علي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، تونس، الدار العربية للكتاب، (د. ت).
38. البسام، أبو عبدالرحمن عبد الله: **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الأمارات، مكتبة الصحابة، القاهرة، مكتبة التابعين، ط 10، 1426هـ - 2006م.
39. البصري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري: **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1397.
40. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك: **شرح صحيح البخارى**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط 2، 2003م.
41. البعلي، محمد بن أبي الفتح: **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط 1، 2003م.
42. البغدادي، محمد الحسن بن محمد بن حمدون: **التذكرة الحمدونية**، بيروت، دار صادر، ط 1، 1417هـ.
43. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن عبدالحق: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، بيروت، دار الجيل،، ط 1، 1412هـ.
44. البغدادي، عبدالقادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1418هـ - 1997م.

45. البغدادي، ابو بكر احمد بن موسي بن العباس: **السبعة في القراءات**، تحقيق:شوقي ضيف،القاهرة، دار المعارف، ط 2، 1400هـ.

46. البكري، أبو عبيد: **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي]**، تحقيق وتنقيح: عبد العزيز الميمني، ، بيروت ، دار الكتب العلمية.

47. البكري، عبدالله بن عبدالعزيز: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ.

48. البلادي، عاتق بن غيث: **معجم المَعالم الجُغْرافِيَّة في السِّيرَة النَّبَوِيَّة**، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 1402هـ - 1982م.

49. البلادي، عاتق بن غيث: **معجم معالم الحجاز**، مكة المكرمة، دار مكة، ط 1، 1402.

50. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود: **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر ، ط 1، 1996م.

51. البلخي، مقاتل بن سليمان: **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط 1، 1423هـ.

52. ابن برد، أبو معاذ بشار بن برد: **ديوان بشار بن برد**، إعداد: هاشم مناع، بيروت، دار الفكر العربي، ط 1، 1994.

53. البيطار، عبدالرزاق: **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق: محمد بهجة البيطار، بيروت، دار صادر، ط 2، 1993.

54. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 3، 2003م.

55. التادلي، أحمد بن عبدالسلام الجراوي: **الحماسة المغربية**، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط 1، 1991م.

56. التبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب: **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط 3 ، 1405هـ - 1985م.

57. الترمذي، أبو عيسى محمد: **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1975م.

58. ابن تغري بردى، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

59. التلمساني، أبو العباس المقري: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالعظيم شلبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

60. التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبدالرحمن: **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط 2، 1414هـ.

61. ابن ثابت، حسان: **ديوان حسان بن ثابت**، شرحه: عبدأ علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1994.

62. الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، القاهرة، دار المعارف.

63. الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل: **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1982م.

64. الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: **لباب الآداب**، تحقيق: أحمد حسن لبج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1997م.

65. الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور: **المنتحل**، الإسكندرية، المطبعة التجارية 1319هـ - 1901م.

66. الثعالبيّ ، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل: **الكناية والتعريض**، بيروت ، دار الكتب العلمية، ، ط 1، 1984م، ص71.

67. الثعلبي، أبو الاسحاق: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت، **دار إحياء التراث العربي**، ط 1، 1422هـ - 2002م.

68. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423 هـ.

69. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط 1، 1914م .

70. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1424هـ.

71. الجاسر، حمد بن محمد: **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، الرياض، النادي الأدبي في الرياض، ط 1، 1401 هـ - 1981م.

72. الجعدي، النابغة: **ديوان النابغة الجعدي**، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، بيروت، دار صادر، ط 1، 1998م.

73. أبو جعفر، محمد بن حبيب: **المحبر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

74. الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد: **شرح أدب الكاتب لابن قتيبة**، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي.

75. ابن جوان الفسوي، أبو يُوسُف يعقوب بن سُفيان: **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1981م.
76. الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن: **أخبار الحمقى والمغفلين**، شرحه: عبدالأمير مهنا، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1990م.
77. الجوزي، أبو الفرج: **أخبار الظراف والمتماجنين**، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجان، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1997م.
78. الجوزي، أبو الفرج: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م.
79. الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1407هـ - 1987م.
80. الحاكم النيسابوري، أبي عبدالله محمد بن عبدالله: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1990.
81. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: **الثقات**، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية الدكن الهند، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، ط 1، 1973.
82. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك، بيروت، الكتب الثقافية، ط 3، 1417هـ.
83. ابن حجاج، مسلم: **صحيح مسلم**، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث، (د. ت).
84. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله: **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: عصام شقيو، بيروت، دار ومكتبة الهلال 2004م.
85. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله: **الصناعتين تهذيب اللغة**، تحقيق: عصام شقيو، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
86. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله: **القصة في ثمرات الأوراق**، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.
87. الحريري، أبو محمد القاسم بن علي: **مقامات الحريري**، بيروت، مطبعة المعارف، 1873م.
88. ابن حزم، علي: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1403/1983.
89. ابن حزم، علي: **جوامع السيرة النبوية**، بيروت، دار الكتب العلمية.

90. ابو الحسن البصري: **الحماسة البصرية**، تحقيق: مختار الدين احمد، بيروت، عالم الكتب.

91. الحسيني، ابن حمزة: **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، بيروت، دار الكتاب العربي.

92. الحسيني، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد: **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية، ط 3، 1408هـ - 1988م.

93. الحطاب، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمان: **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، القاهرة، دار الفكر، ط 3، 1992م.

94. الحلبي، علي بن برهان الدين: **السيرة الحلبية**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1427هـ.

95. ابن حماد، احمد بن فضلان بن العباس بن أسد: **رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أبوظبي**، دار السويدي، ط 1، 2003م.

96. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط 2، 1995م.

97. الحميري، محمد بن عبدالمنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط 2، 1980م.

98. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001م.

99. الحنفي، عبدالله الغزي المكي: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط 1، 2009.

100. ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله: **قلائد العقيان ومحاسن الاعيان**، القاهرة، 1866م.

101. ابن خالويه، الحسين بن أحمد: **الحجه في القراءات السبع**، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط 4، 1401هـ.

102. الخرائطي، أبوبكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل: **هواتف الجنان**، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1421هـ - 2001م.

103. الخركوشي، أبي سعيد: **شرف المصطفى**، مكة، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1424هـ.

104. الخزرجي، علي بن ظافر بن حسين الأزدى: **بدائع البدائه**، القاهرة، 1861م.

105. الخطابي، أحمد بن محمد بن إبراهيم: **غريب الحديث**، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، 1982م.

106. الخطفي، جرير بن عطية: **ديوان جرير**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.

107. ابن الخطيب، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي: **روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار**، حلب، دار القلم العربي، ط 1، 1423هـ.

108. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1408هـ - 1988م.

109. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

110. أبو الخير، عبدالله: **المختصر من نشر النور والزهر**، جدة، عالم المعرفة، ط 2، 1406هـ.

111. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر: **المؤتلِف والمختلِف**، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1986م.

112. دحلان، أحمد زيني: **بيان أمراء البلد الحرام**، اعتنى بطبعه: وقف الاخلاص، استانبول، 2002.

113. الدرامي، عبدالله بن عبدالرحمن: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1988م

114. ابن درهم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد: **نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار**، بيروت، دار العباد.

115. الدميري، كمال الدين: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1424هـ.

116. الدينوري، ابو حنيفه احمد بن داود: **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، ط 1، 1960.

117. الذهبي، شمس الدين: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1993م.

118. الذهبي، شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م

119. الذهبي، شمس الدين: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405هـ / 1985م.

120. ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن مسعود: **ديوان ذي الرمة**، شرح: أحمد بن حاتم الباهلي، رواية: أبي العباس ثعلب، تحقيق: عبدالقدوس أبي صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط 1، 1982.

121. الرازي: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط 5، 1999.

122. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط 1، 1412هـ.

123. ابن أبي ربيعة، عمر: **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فايز محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1996م.

124. الرقيات، عبيد الله بن قيس: **ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات**، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر.

125. الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية،(ب. ت).

126. الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م.

127. الزماكي، صلاح الدين: **شرح لامية ابن الوردي**، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1، 2006م.

128. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ - 99800م.

129. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، 1999م.

130. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط 1، 1412هـ، ص 434/1.

131. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط 2.

132. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 3، 1407هـ.

133. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **المستقصى في أمثال العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1987م.

134. الزهري، محمد بن سعد بن منيع: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط 2، 1408هـ.

135. الزهري، محمد بن سعد بن منيع: **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1990م.

136. ابن زيد، الكميت: **ديوان الكميت بن زيد**، جمع وشرح وتحقيق، محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط1، 2000م.

137. ابن زيدون، أحمد بن عبدالله المخزومي أبو الوليد: **ديوان ابن زيدون**، شرح: يوسف فرحات، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1994.

138. السبتي، أبي الفضل عياض بن موسى: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث.

139. السبتي، القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عمان، دار الفيحاء، ط 2، 1407هـ.

140. السخاوي، شمس الدين: **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، بيروت، الكتب العلميه، لبنان، ط 1، 1993م.

141. ابن السراج، أبو بكر: **الأصول في النحو**، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة.

142. السرخسي، شمس الدين: **المبسوط**، بيروت، دار المعرفة، 1414هـ/1993م.

143. السكري، أبي سعيد: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة دار العروبة.

144. ابن أبي سلمى، زهير: **ديوان زهير بن أبي سلمى**: شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م.

145. السمرقندي، علاء الدين: **تحفة الفقهاء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1994م.

146. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور: **الأنساب**، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، 1382هـ.

147. السنجاري، على بن تاج الدين: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، تحقيق: جميل المصري، ماجدة زكريا، مكة، جامعة أم القرى، ط 1، 1419هـ، ج 2.

148. ابن السني، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق: **عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العبا**، تحقيق: كوثر البرني، جدة / بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن.

149. السودوني، ابن قطلوبغا: **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ط 1، 1992م.

150. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1988م.

151. ابن سيده، علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ - 2000م.

152. ابن سيده، علي بن إسماعيل: **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1996م.

153. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي: **القانون في الطب**، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي.

154. السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، المكتبة العصرية.

155. السيوطي، جلال الدين: **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، وبهامشه: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري، بيروت، دار الفكر.

156. الشافعي، محمد بن عبدالله: **ديوان الإمام الشافعي**، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ط 3، 2005م.

157. الشافعي، محمد بن عبدالله: **الرد الوافر**، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 1، 1393.

158. ابن شاهنشاه، الأفضل أبو القاسم: **المختصر في أخبار البشر**، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ط 1.

159. ابن شداد، عنترة: **ديوان عنترة بن شداد**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1992.

160. أبو شكيب، محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي، **الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية**، ط 2، (د.ن).

161. الشرنبلالي، حسن بن عمار بن علي: **مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح**، اعتنى به ونشرته المكتبة العصرية، عام 2005م.

162. الشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي: **ديوان الشنفرى**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1996م.

163. الشوكاني، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، بيروت، دار المعرفة.

164. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد: **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 1409هـ.

165. الشيخ، ناصر بن علي عائض حسن: **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم**، الرياض، مكتبة الرشد، ط 3، 2000م.

166. الشيرازي أبو إسحاق: **طبقات الفقهاء**، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي

167. الصالحي، محمد بن يوسف: **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1993م.

168. الصبان، محمد بن علي: **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ /1997م.

169. الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، ط 17، 2005م.

170. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **نكت الهميان في نكت العميان**، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1428هـ/2007م.

171. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ- 2000م.

172. الصفدي، محمّد أبو الفضل إبراهيم: **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1969م.

173. صفوت، أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، بيروت، المكتبة العلمية.

174. ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن تقي الدين: **معرفة أنواع علوم الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1986م.

175. ابن أبي طالب، علي: **ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب**، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط1، 1988، (د.ن).

176. الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين: **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، بيروت، دار ابن حزم، ط 1، 1999م.

177. الطائي، ابو تمام: **ديوان أبي تمام الطائي**، فسر ألفاظه وقدمه للطبع: محيى الدين الخياط، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال، القاهرة، نظارة المعارف العمومية ، ط 1، (د.ت).

178. الطائي، حاتم: **ديوان حاتم الطائي**، برواية هشام الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1999م.

179. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.

180. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط 2.

181. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، بيروت، دار التراث، ط 2، 1387هـ.

182. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ - 2000م.

183. الطبري، علي بن عبدالقادر: **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، تحقيق : أشرف أحمد الجمَّال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ط 1، 1416هـ/ 1996م.

184. الطبري، محب الدين: **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2.

185. الطحاوي، أبو جعفر: **شرح مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415هـ.

186. الطهطاوي، رفاعة رافع بن بدوي بن علي: **نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز**، القاهرة، دار الذخائر، ط1، 1419هـ.

187. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المارزوي: **بلاغات النساء**، صححه وشرحه: أحمد الألفي، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، 1908م.

188. العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين: **الكشكول**، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م.

189. العاملي، زينب بنت علي: **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط1، 1312هـ.

190. ابن عباد، المعتمد: **ديوان المعتمد بن عباد**، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبدالمجيد، القاهرة، مطبوعات وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، إدارة نشر التراث القديم، المطبعة الأميرية، 1951م.

191. العبادي: عدي بن زيد: **ديوان عدي بن زيد العبادي**، حققه وجمعه: محمد جبار المعيبد، بغداد، دار الجمهورية للنشر، 1965م.

192. ابن العبد، طرفة: **ديوان طرفة بن العبد**، اعتنى به: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 2003.

193. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد: **بهجة المجالس وأنس المجالس وشح الزاهن والهاجس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني من القسم الأول.

194. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ.

195. عبدالجبار، عمر: **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة**، مكة المكرمة، مؤسسة مكة، ط2، 1385هـ.

196. أبو العتاهية، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم: **ديوان أبي العتاهية**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.

197. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: **شرح العقيدة السفارينية**، الرياض، دار الوطن للنشر، ط 1، 1426هـ.

198. ابن العجاج، رؤبة: **ديوان رؤبة بن العجاج**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، الكويت، دار قتيبة للطباعة والنشر.

199. ابن العديم، الصاحب كمال الدين: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

200. العراقي، أبو الفضل زين الدين: **ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية**، بيروت، دار المنهاج، ط1، 1426هـ.

201. ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م،

202. ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن: **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبدالحميد مراد، محمد مطيع، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط 1، 1402هـ - 1984م.

203. العسقلاني، ابن حجر: **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.

204. العسقلاني، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط 1، 1326هـ.

205. العسقلاني، ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 2، 1972م.

206. العسقلاني، ابن حجر: **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي، كامل محمد الخراط، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1997م.

207. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري **شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة ، 1379.

208. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله: **ديوان المعاني**، بيروت ، دار الجيل.

209. العسكري أبو هلال الحسن بن عبدالله: **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية، 1419هـ.

210. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله: **الأوائل**، طنطا، دار البشير، ط 1، 1408هـ.

211. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله: **جمهرة الأمثال**، بيروت، دار الفكر.

212. العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود،علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ- 1998م.

213. العكبري، ابو البقاء: **شرح لامية العجم**، دراسة وتحقيق: محمود محمد العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد (10)، العدد(1)، 2002م.

214. العكبري، ابو البقاء: **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبدالإله النبهان، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1995م.

215. أبو العلاء المعري، أحمد بن عبدالله بن سليمان: **معجز أحمد**، بيروت، دار الكتب العلمية.

216. علي، جواد: **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، ط 4، 1422هـ/ 2001م.

217. ابن الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبدالرحمن: **ديوان الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1411هـ - 1990م.

218. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد: **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ - 1997م.

219. غلام ثعلب، أبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي: **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: محمد بن يعقوب التركستاني، الرياض، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، 1423هـ - 2002م.

220. الفاسي الصوفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي – القاهرة، 1419 هـ.

221. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م.

222. الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبدالملك عبدالله دهيش، بيروت، دار خضر، ط 2، 1404.

223. أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد: **مقاتل الطالبيين**، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت، دار المعرفة.

224. أبو الفرج الجوزي، عبدالرحمن بن أبي الحسن: **أخبار النساء**، تحقيق: عبدالمعطي أمين القلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1985.

225. أبو الفرج الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن: **غريب الحديث**، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1982.

226. الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة : **ديوان الفرزدق**، ضبط معانيه وشرحها وأكملها: إيليا حاوي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1983م.

227. الفريجي، هاشم نعمة: **دراسة موسعة للجناس في الأبوذية**، على الشبكة العنكبوتية http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=269263 بتاريخ 1434/7/20هـ .

228. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8، 2005.

229. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

230. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت، المكتبة العلمية.

231. القاري، الملا علي: **شرح الشفا**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ.

232. القاري، الملا علي: **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**، تحقيق: محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، بيروت، دار الأرقم.

233. القاري، الملا علي: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ط 1، 2002م.

234. قاسم، حمزة محمد: **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف،مكتبة المؤيد،المملكة العربية السعودية، 1990م.

235. القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، ط 1، 1418هـ.

236. القالي، أبو علي: **الأمالي**، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، 1926م.

237. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم: **الإمامة والسياسة**، تحقيق: د. طه الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه.

238. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم: **الشعر والشعراء**، القاهرة، دار الحديث، 1423هـ.

239. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم: **عيون الأخبار**، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992م.

240. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم: المعارف، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ.

241. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم: **غريب الحديث**، تحقيق: عبدالله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط 1، 1397.

242. القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب: **جمهرة أشعار العرب**، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

243. القرطبي، ابن حيان: **المقتبس من أبناء الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1390هـ.

244. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت دار الجيل، ط 1، 1992م.

245. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط 2، 1984م.

246. القزويني، محمد بن عبدالرحمن جلال الدين: **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل.

247. القطبي، عبدالكريم بن محب الدين: **إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام**، (د. ن)، 1014هـ.

248. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: **أخبار العلماء بأخيار الحكماء**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2005م.

249. القَلْعي، حمد بن علي بن ابي علي: **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، الأردن الزرقاء، مكتبة المنار، ط 1.

250. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبنانية، ط 2، 1980.

251. القِنَّوجي، محمد صديق حسن خان: **الروضة الندية**، ضبط نصَّه وحقَّقه وَقَام على نشره: علي بن حسَن بن علي بن عَبدالحميد الحَلبيُّ الأثريّ، الرياض، دَارُ ابن القيِّم للنشر والتوزيع، ط 1، 2003م.

252. ابن قيس، ميمون: **ديوان شعر ميمون بن قيس مع شرح أبي العباس**، مطبعة آذلف هلز هوسن، 1927.

253. القيسي، الحسن بن عبدالله: **إيضاح شواهد الإيضاح**، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1987م.

254. ابن كثير، اسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1997م، 2003م.

255. ابن كثير، اسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، القاهرة، دار الفكر، 1986م.

256. ابن كلثوم، عمرو: **ديوان عمرو بن كلثوم**: حققه وجمعه وشرحه: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1991م.

257. اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط 8، 2003م.

258. ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

259. ابن مالك، مالك بن أنس: **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط 1، 2004م.

260. ابن مالك، محمد بن عبدالله: **الخلاصة النحوية**، مطبعة بومبي، 1916م.

261. ابن مالك، محمد بن عبدالله: **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط 1.

262. المالكي، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري: **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، بيروت، دار ابن حزم، 1419.

263. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا]**، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

264. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي ، ط 3، 1417هـ - 1997م.

265. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، بيروت؛ عالم الكتب.

266. المتنبي، أحمد بن حسين الجعفي: **ديوان المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.

267. المحبي، محمد أمين بن فضل الله: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، بيروت، دار صادر.

268. أبو محمد القاسم بن ثابت، السرقسطي: **الدلائل في غريب الحديث**، تحقيق: محمد بن عبدالله القناص، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 1، 2001م.

269. المرادي، ابن أم قاسم: **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 2008م.

270. المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1982م.

271. المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن: **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ - 2003م.

272. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1980.

273. المسعودي، أبو الحسن بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1982.

274. ابن المعتز، عبد الله بن محمد: **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1976.

275. المعتزلي: ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، 1381هـ.

276. المقدسي، مطهر بن طاهر: **البدء والتاريخ**، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.

277. المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد: **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1999م.

278. الملا العاني، عبدالقادر: **بيان المعاني**، دمشق، مطبعة الترقي، ط 1، 1965م.

279. ملا مسكنين، محمد الفراهي: **شرح كنز الدقائق: شرح ملا مسكين على كنز الدقائق**، عمان، مؤسسة الوراق.

280. ابن مليح، كثير بن عبدالرحمن بن الأسود: **ديوان كثير عزة**: جمعه وشرحه: إحسان عباس ، بيروت، دار الثقافة، 1971م.

281. أبو المنذر، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي: **كتاب الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، 2000م.

282. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط 3، 1414هـ.

283. الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.

284. النابغة الذبياني، زياد معاوية بن ضباب بن جناب: **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 3، 1996م.

285. النبهاني، القاضي يوسف بن إسماعيل: **الشرف المؤبد لآل محمد**، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

286. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق: **الفهرست**: تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1417هـ /1997م.

287. النسابوري، أبو الحسن: **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1411هـ.

288. النسائي، أحمد بن شعيب: **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1986م.

289. نكري، القاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمد: **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000م.

290. أبو نواس، الحسن بن هانئ: **ديوان أبي نواس**، شرح غريبه ووضح غامضه: محمد أفندي واصف، القاهرة، المكتبة العمومية، ط 1، 1898م.

291. النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، 1423هـ.

292. النيسابوري، أبو الحسن: **طبقات الصوفية**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م.

293. النيسابوري ، أبو الحسن: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ.

294. النيسابوري، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: **مستخرج أبي عوانة**، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 1998م.

295. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية.

296. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، تحقيق: لجنة من الجامعيين، بيروت، مؤسسة المعارف.

297. الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: **الأمثال**، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط 1، 1980.

298. الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: **غريب الحديث**، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، حيدر آباد - الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط 1، 1964م.

299. الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: **إسفار الفصيح**، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط 1، 1420هـ.

300. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين: **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، السهيلي، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 2000م.

301. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين: **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

302. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمدالله، دمشق، دار الفكر، ط 6، 1985.

303. الواقدي، محمد بن عمر: **كتاب المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط 3، 1989.

304. الوطواط، جمال الدين: **غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة**، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1429هـ - 2008م.

305. اليوسف، عبدالرحمن بن عبدالخالق: **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ط3، 1986.

306. اليوسي، الحسن بن مسعود: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط 1، 1981م.

307. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 15، 2002م .

308. الساعاتي، محمود، **ديوان محمود أفندي صفوت**، جمعه: مصطفى رشيد بك، القاهرة، مطابع الفجالة، 1329هـ/ 1911م .

309. البوصيري، شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد، **ديوان البوصيري**، شرحه وقدم له الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1995م .

310. ابن زيدون، أحمد بن عبدالله، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، شرح وتحقيق: علي عبدالعليم، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط 3، 2004م .



د.سعيد بن مسفر المالكي

أستاذ مشارك بجامعة الملك عبدالعزيز - قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية .

المؤهل العلمي

- دكتوراه في الأدب الأندلسي من إسبانيا (جامعة كومبلوتنسي) بمدريد٢٠٠٧م .
- ماجستير في الأدب الأندلسي من إسبانيا (جامعة كومبلوتنسي) بمدريد٢٠٠٤م .
- ماجستير في الأدب الأندلسي من جامعة أم القرى ٢٠٠٢م .
- بكالوريوس لغة عربية من جامعة الملك عبد العزيز ١٩٩٨م .
- دبلوم الموهبة والتفوق العقلي من جامعة الملك عبدالعزيز ٢٠١٣م

المهام الإدارية

- الملحق الثقافي السعودي بإسبانيا ٢٠١٤ م
- عميد معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها ٢٠١٣-٢٠١٤م .
- المشرف على كرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي .
- مستشار غير متفرغ بوكالة الجامعة للأعمال والإبداع المعرفي .
- مستشار غير متفرغ بمعهد البحوث والاستشارات .
- نائب رئيس النادي الأدبي الثقافي بجدة .
- رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ١٤٣٠ ـ ١٤٣٢هـ

الجوائز

- جائزة جامعة الملك عبدالعزيز للترجمة للعام ٢٠١٣م .
- جائزة جامعة الملك عبدالعزيز لأفضل كرسي علمي للعام ٢٠١٣م .



ISBN 978-614-02-1100-1
9 786140 211001